الدّكتور يوسف درويش غوانمه

تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي

١٩٨٢

بدعم من جامعة اليرموك

تاريخ نيابة بيت المقدس
في العصر المملوكي

دار الحياة
للنشر والتوزيع

الأردن - عَمّان
ص.ب: ٩٩١٢

الإهداء

الى الشعب العربي الفلسطيني أينما وجد . والى كل شهيد قضى على ثرى فلسطيننا الحبيبة . والى قدسنا الصامدة التي وقفت شامخة تتحدى المعتدين والغاصبين واحتفظت بعروبتها على مر العصور . والى أمتنا العربية من المحيط الى الخليج التي آن لها أن تصحو وتتحد وتحطم آفة الفرقة والخلاف .

اهدي هذا الكتاب ، فايماني بأمتنا العربية دون حدود .

المؤلف

المقــدّمَـة

تفتقر المكتبة العربية الى دراسات متميزة عن بيت المقدس ، فالدراسات عن تاريخ مدينة القدس باللغة العربية محدودة ومعدودة . ومن المؤسف أن المدينة لم تلق مثل ذلك الاهتمام الذي كانت تحظى به في العصور الوسطى حيث قامت دراسات ومؤلفات عديدة عن القدس وفضائلها وخططها وعلمائها . وعلى النقيض من ذلك نجد المكتبة الاوروبية زاخرة بعشرات الكتب عن مدينة القدس ، حتى أنهم يقومون بإعادة طباعة كتب الرحالة الذين زاروا فلسطين والقدس في القرون الوسطى والعصر الحديث عدة مرات وترجمتها الى لغات جديدة . ناهيك عن الدراسات والمؤلفات العديدة ذات الطباعة الانيقة عن القدس ، وهدفهم من ذلك إثبات ما يدعونه من حقوق في فلسطين الغربية .

ونسمع أحياناً نداء مبحوحاً لبعض كتابنا يتساءلون قائلين ، لم هذا الاهتمام في التراث والكتابة في الماضي ؟ فنحن أبناء الحاضر والتاريخ هو ابن الساعة وأحداثها . وأقول لاولئك ، ان ما يربطني بأمتي ووطني هو تراث خالد منذ آلاف السنين ، هذا التراث هو جذور الامة في أعماق تاريخها ، فالامة التي لا جذور لها ولا تاريخ ، ليس لها حاضر ولا مستقبل . فالتراث هو دراسة للماضي ونظرة أمل للمستقبل وبناء في الحاضر ، ومن هنا يتوجب علينا الاهتمام بذلك التراث وتحقيقه ، كي نعرف ماضينا والذي من خلاله نهتدي لمستقبلنا . فالقدس وبلاد الشام عامة كانت منذ فجر التاريخ مطمعاً للغزاة والمعتدين ، ولكن أمتنا كانت الرابحة في كل العصور ، وبقيت القدس عربية الهوية والطابع .

ان التحدي الذي يواجهنا اليوم يماثل تحدي الفرنج لأمتنا في العصور الوسطى ، وان الحالة المريرة التي وصلت اليها أمتنا تشابه أحوال العرب والمسلمين في الماضي ، تفرقة عنصرية ومذهبية وطائفية ، وخلافات وانقسامات وصراعات سياسية وأطماع توسعية ،

ولجوء الى العدو والتحالف معه ضد الأخوة والأهل ، وتآمر ومؤامرات داخلية وخارجية ، وانحلال خلقي ، وتقاعس واذلال ومهانة حتى ذبح الفرنج العرب والمسلمين في بيت المقدس ذبح الشياه . ولم يفق العرب والمسلمون من هول صدمة الاحتلال الصليبي إلا بعد أن قيض الله لهم القائد المخلص الذي نذر نفسه للجهاد ولم الشمل وتوحيد الصفوف ، فكان عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي . ولم ينتصر صلاح الدين ويحرر القدس الا بعد أن وحد الجبهة العربية الاسلامية ، وجمع الجيوش من مصر والشام والعراق وسارت تحت قيادة واحدة ، وحدد هو زمان ومكان المعركة ، فانتصر وأعاد القدس الى حظيرة الحكم العربي الاسلامي . ونحن اليوم أحوج ما نكون الى توحيد الجيوش العربية مصرية وشامية وعراقية ، وان تكون الجيوش العربية الأخرى ظهيرة جيوش المواجهة ترفدها بالمال والرجال والعتاد ، عندئذ سيكون النصر حليفنا أن أخلصنا النية لبعضنا ولأمتنا الواحدة ، ان حاضرنا أسود مشين والتاريخ لن يرحم .

وتجدني في هذه الدراسة أسير في خط واضح بيّن ، وهو إبراز أهمية القدس في تاريخنا الوسيط ، وإهتمام السلاطين المماليك بها ، حتى أنهم جعلوا منها نيابة مستقلة . وكانت لها في نفوسهم موضعاً خاصاً ، فالسلطان قلاوون نعت نفسه في إحدى معاهداته مع الفرنج (بسلطان بيت المقدس) دليل افتخاره بهذه المدينة العريقة ، ولكي يدلل على أهميتها ومكانتها في نفسه ونفوس العرب والمسلمين .

ودراستي هذه هي أول دراسة عن (نيابة بيت المقدس) ، تناولت فيها تأسيس النيابة ، وطرحت قضية خالفت فيها بعض المؤرخين ، وهو ما يتعلق بتأريخ التأسيس : ثم عن دار النيابة ومتى أصبحت المدرسة الجاولية داراً للنيابة ومكان سكنى لنواب القدس ، وكان هذا هو الفصل الأول .

أما الفصل الثاني فقد جعلته للحديث عن الوظائف في نيابة بيت المقدس ، فتحدثت أولاً عن الوظائف العسكرية كنائب السلطنة ونائب القلعة ووالي المدينة والحاجب والدوادار . وكانت نيابة بيت المقدس تشتمل على ثلاث ولايات هي : ولاية الخليل وولاية نابلس وولاية الرملة ، وفي أحيان كانت نيابة بيت المقدس تشتمل أيضاً على الصلت ومنطقة الاغوار . وكتشريف خاص فقد كانت النائب يجمع بين النيابة ونظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل ، ثم تحدثت عن الوظائف الدينية والديوانية في النيابة . ولم أغفل جيش النيابة ، فجعلت الحديث عنه في فقرة خاصة ، فأوضحت أن

جيش النيابة بالاضافة الى ذوده عن المدينة المقدسة ضد الاخطار التتارية والفرنجية ، فقد اشترك في قمع الفتن في بلاد الشام ، واشترك مع الجيش المملوكي في حرب العثمانيين وذلك في أواخر دولة المماليك الثانية .

وخصصت الفصل الثالث للحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس ، فتحدثت عن نظام الاقطاع في النيابة بخاصة وفلسطين بعامة . ثم تحدثت عن المحاصيل الزراعية في النيابة ، وعن الفلاحين ومعاناتهم الاجتماعية والأساليب الزراعية المتبعة آنذاك . وكان للتجارة الداخلية والخارجية نصيب كبير حيث تطرقنا لأسواق بيت المقدس والرملة والخليل ونابلس ، والسلع التي تباع فيها . وكان للسياحة أهمية وتأثير في التجارة الداخلية ، حيث يفد الزائرون من مسلمين ونصارى ويهود الى القدس للزيارة ، فتقام لهم الاسواق الخاصة في يافا والرملة والقدس وبيت لحم ، وتعود بالنفع على تجار تلك المدن والمناطق المجاورة . واهتم المماليك بهؤلاء السياح الاجانب وخصصوا لهم تراجمة (أدلاء سياحيون) يساعدونهم ويرشدونهم في زيارة الاماكن المقدسة . وقد وفرت الدولة لهم كل وسائل الراحة ، وتمتعوا بالحرية التامة والخدمات الصحية العالية ، وعرفت المدينة المقدسة ما نسميه الآن (بالتأمين الصحي) لهؤلاء السياح والزائرين . وكانت حركة التبادل التجاري مع الدول الاوروبية قائمة ، فأصبح الساحل الشامي والفلسطيني في العصر المملوكي باب الشرق على الغرب . وكانت لفلسطين علاقاتها التجارية مع الدويلات الايطالية وأقيمت الوكالات في كل من يافا والرملة وعكا وبيت المقدس ، حتى أن بعض الشركات الايطالية وجد لها فروع في بيت المقدس . وتطرقنا للحديث عن الاوزان والمكاييل وكذلك عن الموارد المالية في النيابة كالمكوس والخراج والجوالي ومتحصل كنيسة القيامة والأوقاف التي أدت خدمات دينية وإنسانية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية كبيرة .

أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن النشاط السكاني والمؤسسات الاجتماعية في النيابة ، فتحدثت أولاً عن الديموغرافية وعناصر السكان ، وقمت بدراسة سكان المدينة المقدسة وتحديد عدد سكانها ، وأشرت الى حدوث تخلخل في عدد السكان نتيجة للظروف السياسية والحربية والطبيعية التي مرت بالمدينة المقدسة . أما عن عناصر السكان فكانوا في معظمهم مسلمين ونصارى ، أما اليهود فكانوا قلة ، ففي فترة الاحتلال الصليبي للقدس لم يكن فيها يهودي واحد ، ولكنهم بلغوا في أواخر العصر المملوكي

خمسمائة يهودي . ثم تحدثت عن طبوغرافية المدينة فذكرت حاراتها وشوارعها ودورها ونظام بناء تلك الدور ، أما مؤسساتها الاجتماعية فقد قمت بدراسة البيمارستانات في القدس والخليل والرملة ، وتطرقت في الحديث الى الحمامات ونظامها ووظائفها .

وأفردت الفصل الخامس والأخير للحديث عن الحياة العلمية في النيابة ، فكان الحديث أولاً عن إزدهار الحركة العلمية في القدس ، وكيف أصبحت مركز إشعاع علمي وحضاري في العصر المملوكي . وتعرضت الى المدارس ونشوء المدرسة في الاسلام وباعتقادنا أن المدينة المقدسة كانت من أوائل المدن التي شهدت المدرسة في الاسلام . ثم تحدثت عن مدارس القدس بادئاً بتلك الموجودة داخل الحرم ثم بتلك الموجودة خارجه وما زالت ، مهتدياً بفهرس المهندس بورغوين من المدرسة البريطانية للآثار في القدس .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه كلمات الشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة اثناء اعدادي هذا البحث ، وأخص بالذكر صديقي محمد محمود طه وزوجته ، الذي استضافني في رام الله وكان وزوجه مثالاً كريماً نبيلاً . وأقدم الشكر كذلك لكل العاملين في دائرة الأوقاف بالقدس والمتحف الإسلامي الذين سهلوا مهمتي عندما سافرت الى القدس صيف عام ١٩٨٠م ، وخصوصاً الاستاذ مروان أبو خلف الذي مكنني من الإطلاع على وثائق المتحف الإسلامي ، والسيد عبدالله كلبونه من قسم الآثار الإسلامية في الحرم والرسام والخطاط عبدالله العزة والرسام مرشد الجمل . ولن أنسى ما قدمه السيد رمزي أبو غربية (أبو جلال) من مساعدة ومصاحبته إياي في زيارة الأماكن الأثرية في المدينة ، فله شكرى الخاص لما عاناه من تعب ومشقة في تنقله معي في طقس شديد الحر . وأقدم الشكر لزوجتي التي رافقتني في رحلتي للقدس ، وكانت عوناً لي في مرحلة الاعداد والكتابة . وأخيراً أقدم الشكر للدكتور جون ولكنسون (John Wilkinson) مدير المدرسة البريطانية لعلم الآثار الذي سمح لي الاطلاع على مخطط المدرسة الجاولية (دار النيابة) وزودني بنسخة منه .

الفصل الأول

النيابة وتأسيسها

١ — تأسيس نيابة بيت المقدس .
٢ — دار النيابة .

(١)
تأسيس نيابة بيت المقدس

تمكنت دولة المماليك الناشئة في مصر من بسط سيطرتها على بلاد الشام بعد إنهيار المقاومة الايوبية . وتصديهم للتتار وتدمير قواتهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) . فورث المماليك والحالة هذه إملاك أسيادهم الايوبيين ، وتشكلت في بلاد الشام ست نيابات قامت على إنقاض الممالك والامارات الايوبية التي كانت قائمة فيها . ولم تتكون هذه النيابات دفعة واحدة بل جاءت على فترات تبعا للظروف التي كانت توجب إقامتها ، وهذه النيابات هي : نيابة دمشق ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماة ، ونيابة الكرك ، ونيابة صفد[١] .

ولكن الناصر محمد بن قلاوون أقام نيابة جديدة في غزة[٢] ، وعين عليها الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي (ت ٧٤٥ هـ) نائباً[٣] ، وأضاف إليه ولاية القدس والخليل ونابلس وقاقون ولد والرملة ونظر الحرمين الشريفين[٤] . وعهد إليه مهمة توصيل الماء من الخليل الى القدس والقيام ببعض المنشآت في القدس ، ثم ندبه في سنة ٧١٣ هـ

---

(١) القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط مصورة عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، ج ٤ ص ٩١ . ١٨٠ . الخالدي . كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الانشا ، مخطوط مكتبة جامعة القاهرة . لوحة ٧ .

Cohen & Lewis,
Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton, 1978, p. 9.

(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ . ويقول أبو المحاسن (حتى أن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة . وكانت قبل كآحاد البلاد الشامية . وجعل لها نائباً وسمي بملك الامراء . ولم تكن قبل ذلك الا ضيعة من ضياع الرملة) (ج ٩ ص ١٩٣) .

(٣) ابن حبيب . درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ج ١ لوحة ٩٨ (مخطوط) ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .

(٤) أبو المحاسن . المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) ، الحنبلي . الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . ط مكتبة المحتسب . عمان . ١٩٧٣ ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٣١٣ م) لعمل الروك في الشام[٢] . وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد ندبه قبل ذلك لتعمير مدينة الكرك ، فبنى فيها سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) جامعاً ومدرسة وبيمارستانا وحماماً وداراً للنيابة[٣] . وكان القدس قبل أن يتولاه علم الدين سنجر الجاولي نيابة صغيرة تابعة لدمشق ، وممن تولوا نيابته الامير كراي المنصوري في عهد السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وقد قدم هذا الامير المساعدة للناصر محمد بن قلاوون أثناء ثورته بالكرك وسار الى دمشق بقواته مناصراً السلطان[٤] . ونتيجة لذلك كافأة الناصر محمد فعينه نائباً للشام سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) ثم عزله وسجنه وبقي في السجن الى أن توفي بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م)[٥] .

وهكذا فان نيابة القدس كانت تابعة لنائب دمشق الا أن الناصر محمد بن قلاوون ربطها بنيابة غزة ، وأصبح نائب غزة هو نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين . إلا أن الناصر محمد بن قلاوون ربط جميع نواب الشام بنيابة دمشق في سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) ، وجعل مكاتبة النواب إليه تتم عن طريق نائب دمشق الامير تنكز بن عبدالله[٦] ، وقد رفض بعض الامراء هذا الاجراء ومن بينهم نائب غزة الامير علم الدين سنجر الجاولي (لأنه كان يظن أنه يتقدمه وسابقته لا يتقدم عليه تنكز)[٧] ، عندئذ انتزعت منه نيابة القدس ، وعندما حاول الهرب الى اليمن إعتقله السلطان الناصر محمد سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وسجنه في الاسكندرية ، وبقي في السجن حتى أطلق سراحه سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) حيث عفا عنه وامّره وجعله في أمر المشورة[٨] . ومما يؤكد إن

---

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .
الروك : كلمة قبطية تعني قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها أي تقدير درجة خصوبتها لتقدير الخراج عليها .
(النجوم الزاهرة ج ٩ حاشية (ص ٤٢) .
(٣) أبي حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ص ٢٦٦ .
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٨ ، ٢٦٨ .
(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٣ ، ٣٤٥ .
(٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٨ .
(٧) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٧ .
وأنظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٩٠ .

نيابة القدس انتزعت من الجاولي وضمت الى دمشق أن الناصر محمد بن قلاوون زار القدس سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) وطلب من الامير تنكز نائب دمشق أن يلقاه بالإقامات وليكون في استقباله هناك[١] ، وكانت التولية في معظم وظائق نيابة بيت المقدس تتم من قبل نائب دمشق[٢] . وبقيت على هذا الحال حتى أصبحت نيابة مستقلة كغيرها من نيابات بلاد الشام . وقد تضاربت الآراء حول تحديد التاريخ الذي أصبحت فيه نيابة مستقلة ، ثم ماهي الأسباب التي دعت السلاطين المماليك جعلها كذلك ؟

فالنصوص التي لدينا متضاربة فأبو المحاسن ذكر أن الأمير كراي المنصوري كان نائباً للقدس سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وابن حبيب وأبو المحاسن ومجير الدين الحنبلي ذكروا أن الناصر محمد بن قلاوون ولي الامير علم الدين سنجر الجاولي نيابة غزة (ونظر الحرمين الشريفين والنيابة بالقدس الشريف وبلد الخليل عليه السلام) بحدود سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)[٣] . وذكر مجير الدين أيضاً أن الأمير تمراز المؤيدي كان يتولى هذا المنصب في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م)[٤] . وفي سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) تولاه الأمير بدر الدين حسن بن عماد الدين العسكري ، أما الامير ناصر الدين محمد بن بهادر فكان متولياً لنيابة بيت المقدس في سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) . وذكر أيضاً أن الأمير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن تولى النيابة في سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) ، ثم شغل هذا المنصب في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) الامير بلوى الظاهري ، وفي السنة التالية ٧٩٦هـ (١٣٩٣ م) تولاه ثلاثة أمراء هم : الأمير جانتمر الركني الظاهري ، وفي جمادي الأولى منها تولاه الامير قردم الحسيني بأمر من السلطان برقوق[٥] ثم تولاه الأمير شهاب الدين أحمد اليغموري[٦] .

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٥٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٣) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ١ لوحة ٩٨ . أبو المحاسن ، المنهل الصافي ، ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) ، مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٢ . وأنظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٣٨٨ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ق ٣ ص ٨١٢ .

(٦) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

أما الخالدي فذكر في كتابه المقصد الرفيع المنشأ أن نيابة دمشق فيها ست نيابات هي : نيابة القدس ، ونيابة صرخد ، ونيابة بعلبك ، ونيابة حمص ، ونيابة عجلون ، ونيابة مصياف . ولكن نيابة القدس أصبحت طبلخاناه في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ هـ) ، وفيما بعد صار متوليها من الأبواب الشريفة في القاهرة ، ويضاف إليه الرملة ونابلس (١) .

ويذكر القلقشندي في صبح الاعشى أن النيابة في بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ونيابتها أمرة طبلخاناه ، وجرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس والخليل (٢) .

ولكن المقريزي يذكر في أحداث سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، ان السلطان برقوق أنعم في جمادي الأولى من هذه السنة على (قردم الحسيني بنيابة القدس) (٣) بينما كان في غزة في طريقه لمحاربة التتار بقيادة تيمورلنك الذي أخذ يضغط على الحدود الشرقية للدولة المملوكية (٤) .

ومن المعروف أن المماليك ورثوا عن أسيادهم الايوبيين مهمة الجهاد ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام ، وخاض سلاطينهم معارك طاحنة ضدهم ، حتى تمكن السلطان الأشرف خليل من فتح عكا آخر المعاقل الصليبية في فلسطين (٥) ، وبذلك تم تطهير بلاد الشام من الفرنج نهائياً سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١) م . ولكن الصليبيين لم ييأسوا ، بل أخذوا يقومون بأعمال عدوانية ضد المماليك منطلقين من قبرص حينا ، ومن الدويلات الاوروبية أحياناً أخرى . ثم زادت اتصالاتهم بالتتار ، وصاروا يعملون على

---

(١) الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ص ١٩٩ .

أمير طبلخاناه : هو الامير الذي يكون بخدمته أربعون مملوكاً ، وتدق بابه بعد صلاة المغرب كل يوم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وتوقد المشاعل . والطبلخاناه تعني الفرقة الموسيقية السلطانية وهي مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في الدولة المملوكية . (ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣) .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .

(٤) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٨١٣ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧٦٤ وما بعدها .

Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, New York, 1970, p. 30.

يوسف غوانمه : تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى ، القسم السياسي ، ص ١٣٤ .

أقامة خلف معهم كي تبقى حدود دولة المماليك الشرقية في خطر مستمر[1] ، ولتمكين الصليبيين استعادة الاراضي التي فقدوها في بلاد الشام وعلى رأسها بيت المقدس ، وفعلاً أقيم تحالف بين التتار والغرب الاوروبي ومملكة أرمينية الصغرى والقوى الصليبية في بلاد الشام لهذه الغاية[2] .

اذن فكرة السيطرة على بيت المقدس ظل أملاً يراود الفرنج طيلة العصر المملوكي فبعد سقوط عكا قاموا بحصار إقتصادي ضد المماليك ، كما شنوا الغارات المتكررة على سواحل مصر والشام لتحقيق هذه الغاية[3] . وأعنف هذه الغزوات ، تلك التي شنها بطرس لوزجنان سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) على مدينة الاسكندرية ، فاجتاحت قواته المدينة ثلاثة أيام ، وقتلت ودمرت وأسرت الكثير من أهالي المدينة ، وبعد أن تم لهم ما أرادوا غادروا الاسكندرية الى بلادهم[4] . وفي سنة ٧٦٩هـ (١٣٦٧م) قام الفرنج بحملة ضد طرابلس الشام ، فدخلوا المدينة ونهبوا بعض الأسواق وحملوا معهم بعض الأسرى وقتلوا آخرين من سكان المدينة[5] . وهكذا دخلت الدولة المملوكية حرباً بحرية مع الفرنج ، ناهيك عن الحصار الاقتصادي الذي أيده البابا وباركه .

ونتيجة لغزوة بطرس لوزجنان على الاسكندرية ، استلزم الامر ان يتولى الاسكندرية أمير كبير ، كي يتمكن من الوقوف في وجه الاخطار الصليبية فولى السلطان الاشرف شعبان الامير بكتمر الشريقي نيابة الاسكندرية (وهو أول نائب ولي نيابة الاسكندرية من النواب)[6] .

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، سلسلة إعلام العرب ، ص ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٥ .

(٢) سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٩٦ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٥٢ .Atiya, op. cit., pp. 36-38

(٤) النويري الاسكندراني : كتاب الالمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، الهند ، ١٩٧٠م ، ج ٢ ص ١١٣ .
المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٠٦ .Atiya, op cit., pp. 354-366

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٤٩ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٥٢ .

(٦) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٣٠ . ويقول المقريزي (وهو اول من باشرها نيابة سلطنة) . (السلوك ج ٣ ق ١ ص ١١٥) . وانظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

لقد اظهر المماليك تفهما كبيراً للخطرين الصليبي والتتاري ، واستعدوا لذلك ، فالظاهر بيبرس اقام خطا دفاعيا قويا على الحدود الشرقية لدولته وشحنة بالرجال والعتاد واحكمه بشبكة اتصال قوية تربطه بالقاهرة ، كما اقام خطا دفاعيا آخر يمتد من الشوبك والكرك جنوباً الى اعالي العاصي شمالا ، كي يقف في وجه الخطرين التتاري والصليبي معا[(١)] . فالصليبيون هددوا السواحل المصرية والشامية ، واجتاحوا مدنه وعطلوا حركة التجارة والاتصالات البحرية المملوكية . أما التتار فكانوا يعبرون الفرات في طريقهم الى بلاد الشام والديار المصرية ، ولكن سرعان ما تتصدى لهم القوات المملوكية فيعودوا القهقري الى بلادهم ، وان كانوا قد وصلوا الى غزة واجتاحوا دمشق بقيادة محمود غازان سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م)[(٢)] . ثم اجتاحوها مرة اخرى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) بقيادة تيمورلنك ، وسفكوا دماء الكثير من سكانها وسكان المدن الفلسطينية الاخرى ، ولكنهم لم يدخلوا بيت المقدس فسلم من عبثهم وتدميرهم .

ان الهدف الحقيقي من وراء الهجمات الصليبية وتحالفهم وتعاونهم من التتار اعادة سيطرتهم على فلسطين وبيت المقدس بالذات ، فغزوة القبارصة على الاسكندرية سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) كان غرضها الوصول الى بيت المقدس عن طريق القاهرة[(٣)] . وبعد فشلهم حول الفرنج نشاطهم نحو بلاد الشام ، فها جموا طرابلس ونهبوها ، ثم هددوا بيت المقدس نفسه ، حيث اجتاحت قواتهم يافا فرضة القدس على البحر المتوسط في سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م)[(٤)] ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تسللت قوات

---

(١) سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٩٤ .
أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ، ص ٢٠٨ .
يوسف غوانمه : تاريخ شرقي الاردن (القسم السياسي) ، ص ٥٧ .

(٢) يقول المقريزي (امتدت التتر الى القدس والكرك تنهب وتأسر) . السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٠ ، ويقول ايضا : (نهبت التتار الاغوار حتى بلغوا الى القدس وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا الى دمشق وقد اسروا خلقا كثيرا) . السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٦ . وانظر : أبو المحاسن ، والنجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ١٢٢ .

(٣) Atiya, op. cit., p. 357. ويذكر النويري الاسكندراني ان الذين اشتركوا مع القبارصة في غزوة الاسكندرية : البنادقة ١٤ غرابا ، الجنوية ٧ غرابين ، الروادسة ١٠ غربان ، الفرنسيسيين ٥ غربان .
(الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ٢٣٠) .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

فرنجية الى القدس نفسه عن طريق الحج[1] ، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق حلمهم القديم .

ولما أدرك السلطان الاشرف شعبان عظم الخطر الذي يهدد بيت المقدس من الصليبيين ، عمد الى رفع مرتبة نائبها فجعله برتبة طبلخاناه[2] ، ولكن النيابة بقيت مرتبطة بنائب دمشق . وقد زود السلطان نائب بيت المقدس بالقوات والعتاد كي يتمكن من صد الاخطار التي تهدد البلد المقدس . الا ان المقريزي ذكر في سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، أن السلطان الظاهر برقوق أنعم على الامير قردم الحسيني بنيابة القدس ، وذلك في غزة اثناء توجهه لمحاربة التتار بزعامة تيمورلنك .

وهذا النص الذي اورده المقريزي ، هو اول اشارة صريحة عن تولية نائب لنيابة بيت المقدس من قبل السلطان في القاهرة ، وسببه الخطر التتاري الذي أخذ يهدد دولة المماليك وبلاد الشام ويضغط عليها بشدة . ان خوف الظاهر برقوق على المدينة المقدسة ، دفعه الى استحداث نيابة مستقلة فيها ، كي تستطيع الوقوف في وجه الاخطار الداهمة ، تماما كما فعل السلطان الاشرف شعبان بعد غزوة بطرس لوزجنان للاسكندرية ، فاستحدث نيابة الاسكندرية وجعل فيها اميرا كبيرا وزوده بالرجال والعتاد ، للوقوف في وجه الخطر الفرنجي الذي ما فتىء يهدد السواحل الشامية والمصرية معا .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ، ان مجير الدين الحنبلي ذكر ان تولية النيابة والنظر في بيت المقدس كان يتم من قبل نواب الشام ، ولم يزل الامر كذلك الى نحو ٨٠٠ هـ ، (١٣٩٧ م) ، فأصبح تولية النائب من قبل السلطان في القاهرة[3] . والملاحظ هنا ان التاريخين لدى المقريزي والحنبلي متقاربان ، مما يدعم وجهة النظر التي ذهبنا اليها .

---

(١) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) وقد أيد ذلك المؤرخان الخالدي ، والقلقشندي معا ، اما التاريخ الذي ذكره القلقشندي من ان نيابة بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ، فاننا لا نميل الى الاخذ به ، فمن دراستنا للاحوال السياسية والعسكرية في هذه السنة ، لم نجد فيها من الامور الهامة التي دفعت السلطان لاستحداث نيابة في بيت المقدس ، فلا يوجد ما يبرر هذا العمل .
(القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ،
الخالدي : المقصد الرفيع ، لوحة ١٤٧ مخطوط) .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٢ .

وزيادة في التأكيد فقد عمد السلطان الظاهر برقوق الى ترميم دار الوكالة في مدينة بيت المقدس سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) وعهد ذلك للامير سيف الدين بيدمر الخوارزمي نائب دمشق ، واثبت ذلك في نقش ذكر فيه ان هذا الترميم تم (بنيابة مولانا ملك الامراء بيدمر كافل الممالك بالشام)[١] . ولم يذكر انه تم بنيابة نائب بيت المقدس ، بدليل ان نيابة القدس آنذاك كانت لا تزال تحت اشراف نائب دمشق . اضف الى ذلك ان المقريزي وأبا المحاسن يشيران بعد هذا التاريخ الى تولية نواب في نيابة بيت المقدس كغيرها من نيابات بلاد الشام[٢] . في سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ذكر المقريزي النيابات في بلاد الشام على النحو التالي : نيابة الشام ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماه ، ونيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس ، ونيابة الكرك[٣] ، أما أبو المحاسن فزاد عليها نيابة ملطية[٤] . ومن هنا نجد انه اصبح في فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة بيت المقدس ونيابة غزة ، وهذا يناقض ما ذهب اليه لويس وغيره من الباحثين من ان فلسطين في العصر المملوكي كانت تشتمل على نيابتين فقط هما نيابة غزة ونيابة صفد[٥] . ويحاول المستشرقون اثبات ان القدس لم يلق الاهتمام الكافي في العصر

---

(١) Van Berchem, Corpus Inscriptionum (Jerusalem Ville), Le Caire, 1922, p. 300. وبيدمر هذا عزله السلطان برقوق في نفس السنة وعين عوضه في نيابة دمشق الامير استقتمر الماريني الذي كان يقيم في القدس بطالا .
(السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٦٨٧) .

(٢) وعلى سبيل المثال انظر : المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٨ . ج ٤ ق ١ ص : ٨١ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٣٨ ، ١٨٨ ، ٢٦٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥١ ، ٤٨٣ . ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، ج ٤ ق ٣ ص ١١٦١ . وانظر ايضا : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٢٣١ ، ج ١٣ ص ٧٥ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ . ج ١٤ ص ١٠ ، ٢٦٢ ، ج ١٥ ص ٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٤٤٨ ، ٥٣٢ ، ج ١٦ ص ١٢٧ ، ١٣٠ . وانظر كذلك : ابن الصيرفي : نزهة النفوس والابدان ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٣٤٨ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١٢٠٠ .

(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٢٢٦ .
ملطية أو ملاطية : بلدة كبيرة حصينة ، تقع على سفوح جبال اللكام ، وهي احدى الحصون المنيعة منذ العصر العباسي ، تكثر حولها التلال المكسوة بالاشجار والسهول الخصبة .
(لي سترانج : فلسطين في العهد الاسلامي ، ص ٤٨٠) .

(٥) Cohen & Lewis, op. cit., p. 9.

الاسلامي كبقية المدن الاخرى ، بدليل ان القدس لم يكن عاصمة لدولة ، أو مركزاً لحكم . ولكننا في هذه الدراسة نثبت عكس ذلك ، فمدينة القدس كانت تتمتع بمكانة روحية لدى المسلمين ،' وكان الاهتمام بها كبيرا على مدى العصور ، فبنوا فيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة اثرا خالدا ما زال حتى الوقت الحاضر. اما في العصر الايوبي والمملوكي فقد لقيت المدينة المقدسة العناية والرعاية ، فمهرها المماليك بمنشآتهم العديدة ثم جعلوا منها نيابة مستقلة وعينوا فيها الامراء الكبار واصبحت مركز حكم كغيرها من المدن الهامة في بلاد الشام ، بل فاقتها في الاهمية لمكانتها الروحية والدينية لدى الجميع ، وتمكنت القدس بنائبها وقواتها ان تقف بقوة وحزم في وجه الاخطار والاطماع الصليبية والتتارية معا .

(٢)
دار النيابة

جعل السلطان الظاهر برقوق من بيت المقدس نيابة مستقلة ، وكان القدس قبل ذلك ولاية أو نيابة صغيرة تابعة لنائب دمشق ، وجرت العادة ان يقيم هذا الوالي أو النائب في قلعة بيت المقدس الواقعة في الجهة الغربية من المدينة عند باب الخليل[١] . ولكن بعد استقلال نيابة بيت المقدس صار نوابها ينزلون في زاوية الدركاة قرب البيمارستان الصلاحي[٢] ، وبقي الامر هكذا مدة ثم صار النواب يسكنون في دار النيابة نفسها .

وتقع دار النيابة في الزاوية الشمالية الغربية من سور المسجد الاقصى ، وتتصل بمنارة الغوانمة[٣] ، ويتصل بها من الشرق المدرسة الصبيبية ، ولدار النيابة هذه خمسة شبابيك تطل على ساحة المسجد الاقصى[٤] . ويظهر من مخطط البناء المطل على ساحة الحرم ان الاسس الاولى لدار النيابة اقيمت فوق منطقة صخرية مرتفعة عن مستوى الحرم ، لذا فلا يوجد اروقة اسفل دار النيابة كتلك الموجودة في السور الغربي للحرم ، فطبيعة الارض الصخرية لم تساعد على اقامة تلك الاروقة . ولا تشير الدلائل الى وجود باب يوصل المبنى بساحة الحرم ، وأكد هذا ابن فضل الله العمري ، فقال اثناء تحدثه عن

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني . الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٦٥م . ص ١٤٥ .
الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ج ٥٥ . ٢٧١ .

(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ .

(٣) الغوانمة : ينتسبون الى غانم بن علي الانصاري من رجال صلاح الدين وشيخ الخانقاه الصلاحية ، خدم ابناؤه واحفادهم المدينة المقدسة وكان منهم العلماء والفقهاء . تقلدوا عدة مناصب في القدس منها مشيخة الخانقاة الصلاحية وخطابة المسجد الاقصى ، ونظر الحرمين في القدس والخليل . ولعائلة الغوانمة آثار باقية في المدينة المقدسة منها منارة الغوانمة ، وباب الغوانمة ، وحارة الغوانمة .

(٤) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق أحمد زكي . دار الكتب . القاهرة ١٩٢٤م ، ج ١ ص ١٥٩ .

المدرسة الجاولية (ليس لها استطراق الى الحرم)[1] . وهكذا فالوصول الى دار النيابة من داخل الحرم يكون بالخروج من باب الغوانمة ، ثم الاتجاه يمينا عبر درج وحارة الغوانمة حتى تصل الى طريق الآلام . وبعد السير شرقا في طريق الآلام تتجه يمينا في طريق جانبي ترقي اليه صعودا بامتار قليلة فينتهي الى بوابة كبيرة . ومن خلالها يمكن الولوج الى ساحة كبيرة تحيط بها ابنية عديدة ، ومن مجموعة هذه الابنية تتكون دار النيابة ، وتقع في الجزء الغربي من الساحة الحالية ، ويمكن الدخول الى هذه الدار بواسطة درج خاص يقع في الجهة الشمالية منها ، ثم الى الباب والدركاه ثم الصحن . وفي صدر هذا الصحن من جهة القبلة يوجد ايوان كبير له خمسة شبابيك تطل على ساحة المسجد الاقصى وهي التي اشار اليها ابن فضل الله العمري[2] . وهذا الايوان (القاعة الكبيرة) مسقف بالعقود المتقاطعة ، واستخدم في بنائه الحجر المنحوت المصقول ، والايوان هذا كان يجلس النائب في صدره للنظر في امور الناس وحل مشاكلهم . ووجد ايوان للحكم في معظم النيابات المملوكية في مصر والشام وهو ما يطلق عليه (دار العدل) ، يجلس النائب فيه ومعه القضاه لفض المنازعات والنظر في المظالم المرفوعة اليه والتي لم يقبل اصحابها بحكم القضاة فرفعوها الى النائب من باب الاستئناف[3] . وجرت العادة ان يجلس النائب بدار العدل هذه مرتين في الاسبوع للنظر في القضايا الكبيرة ، ويستقبل النائب فيه ايضا السلاطين والزائرين القادمين لزيارة بيت المقدس . الا ان بعض السلاطين كانوا يفضلون الاقامة في المدرسة التنكزية بباب السلسلة ففي سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) قدم السلطان سيف الدين شيخ المحمودي لزيارة بيت المقدس فأقام في هذه المدرسة ، أما الامراء والمباشرون الذين كانوا صحبته فقد توزعوا في مدارس وخوانق المدينة المقدسة[4] . وجدد

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٤ م ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٢٧٦ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ١٧٣ .
للباحث ، عمان حضارتها وتاريخها ، ١٩٧٩ ص ١٩٦ .

(٤) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ج ٢ ص ٣٩٥ .

بناء هذا الايوان الكبير (دار العدل) الامير شاهين الشجاعي نائب بيت المقدس ، واثبت ذلك بنقش نسخي جميل على عتبة مدخل الايوان هذا نصه :

شاهين رسم بتجديدها المقر الشجاعي

وقد تولى شاهين الشجاعي نيابة بيت المقدس في عهد السلطان الاشرف برسباي بعد سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م)[١] .

وحدثت اضافات اخرى الى دار النيابة ، ففي سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) ، بني الامير خضر بك نائب بيت المقدس مقعدا خاصا ملاصقا لايوان الحكم من جهة الشمال ، وسقفه بالخشب المدهون ، وجعله على طريقة مجالس الحكام في الديار المصرية ، فصار النائب واعوانه يجلسون فيه ، وكانوا قبل ذلك يجلسون في صدر الايوان[٢] . ونصت الوثائق على وجود (مجلس الحكم) في بيت المقدس ، فالوثيقة رقم ١٣٨ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس اشارت الى ذلك المجلس[٣] .

ودار النيابة هذه كانت في الاصل تدعى (المدرسة الجاولية) ، بناها الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي[٤] ، في حدود سنة ٧١٣ هـ (١٣١٢ م) في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . في هذه السنة كان سنجر الجاولي نائبا في غزة[٥] ، وبالاضافة الى نيابة غزة عهد اليه السلطان ولاية القدس وبلد الخليل ونابلس وقاقون ولد

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) وثائق المتحف الاسلامي بالقدس وثيقة رقم ١٣٨ .

(٤) هو أبو سعيد سنجر بن عبدالله الجاولي ، ولد بآمد سنة ٦٥٣ هـ ، وقد اشتراه احد الامراء المماليك يقال له جاول فنسب اليه . تدرج في سلك الدولة المملوكية حتى اصبح استادارا ، وتقلد عدة مناصب منها نيابة الشوبك وحماة وغزة ، ثم شد الدواوين . استنابه الناصر محمد في سنة ٧١١ هـ لبناء عدة منشآت في الكرك فبنى فيها قصرا للنيابة والجامع والحمام والمدرسة الشافعية والبيمارستان وخانا للسبيل ، ثم عهد اليه في سنة ٧١٣ هـ بروك البلاد الشامية . له عدة منشآت في مصر والشام منها الجامع بالخليل ومدرسة بالقاهرة واخرى في غزة وخانا في بيسان . ويذكر السبكي انه كان رجلا فاضلا صنف شرح مسند الشافعي ، وسمع على دانيال بالكرك ، توفي سنة ٧٤٥ هـ . (السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٦ ص ١٠٦ ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٦٨) .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٣٦ .

والرملة[1] . ثم انتدبه السلطان في نفس السنة لإيصال الماء من عين مدينة الخليل الى القدس (ولم يزل مجدا في العمارة مصرا على اعتماد الاشارة الى ان فار الماء بالبيت المقدس بعد فراره)[2] ، ومن المرجع انه قام ببناء مدرسته في السنة نفسها . ثم تحولت المدرسة فيما بعد الى دار للنيابة وسكني للنواب ، وقد اشار بعض الباحثين الى ان المدرسة الجاولية تحولت الى دار للنيابة سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) على يد نائبها شاهين الشجاعي[3] . ولكننا نرى خلاف ذلك ، فشاهين الشجاعي كان نائبا للقدس بعد سنة ٨٣١ هـ ، وهو الذي جدد ايوان الحكم وكتب ذلك في لوحة تأسيسية مثبتة على مدخل الايوان الكبير (دار العدل) . ولكنه لم يحول المدرسة الى دار للنيابة ، فباعتقادنا ان المدرسة تحولت الى دار للنيابة بعد سنة ٧٩٦ هـ ، اما عن اتخاذها سكني للنواب فكان ذلك في اواخر القرن التاسع الهجري في حياة مجير الدين الحنبلي حيث يقول : (وهي التي صارت في عصرنا مسكنا للنواب بالقدس الشريف)[4] .

ولا يوجد لدينا ما يثبت اتصال دار النيابة بساحة المسجد الاقصى مباشرة ، فمدخلها يقع خارج الحرم من جهة حارة الغوانمة وطريق الآلام ، ولكننا نميل الى القول بأن دار النيابة هذه كانت متصلة اتصالا مباشرا بساحة الحرم بواسطة طريق خاصة ، خصوصا وانها اصبحت سكني للنائب فالامر يستلزم دخوله للحرم مباشرة في اوقات الصلاة ولا شك ان ذلك كان يتم بواسطة باب خاص ، وهذا الباب ربما كان من جهة المدرسة الصبيبية المحاذية لدار النيابة شرقا أو انه يقع من جهة منارة الغوانمة غربا[5] .

---

(١) ابو المحاسن ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) .
قاقون : حصن يقع في فلسطين قرب الرملة ، ويتبع لقيسارية . (لي سترانج ، ص ٤٣٨) .

(٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ج ١ لوحة ٩٨ (مخطوط) .

(٣) كامل العسلي ، معاهد بيت المقدس ، عمان ، ١٩٨١ م ، ص ٢٢٣ .
وقع لديه لبس بين شاهين الشجاعي وشاهين الذباح الذي كان نائبا في القدس سنة ٢٨٢٨ هـ (الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤) .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) وتشغل المدرسة العمرية مجموعة من المباني من ضمنها دار النيابة (المدرسة الجاولية) ، وقد قمت في صيف عام ١٩٨٠ م بزيارة هذه المدرسة واطلعت على اقسامها وابنيتها الحديثة والقديمة ، فمعظم الجزء القديم يحتاج الى الترميم والصيانة وخصوصا تلك الاجزاء الجنوبية والغربية المتصلة بمنارة الغوانمة .

وتشغل المدرسة العمرية الحالية مجموعة من الابنية من ضمنها دار النيابة موضوع البحث ، وهناك تساؤل هل الباب الحالي للمدرسة العمرية هو الباب الاصلي لمجموعة الابنية هذه ، ام ان هناك بابا آخر غيره ؟. فقد لاحظت في الجدار الشمالي للمدرسة الواقع في درب الآلام وعلى بعد عدة امتار من المدخل الحالي باتجاه الشرق ، آثار بوابة كبيرة مغلقة ، أبطل استخدامها في عهود لاحقة فاغلقت البوابة بالحجارة . ويمكن ملاحظة ان الحجارة المستخدمة في اغلاق فراغ الباب تختلق عن تلك المستخدمة في بناء الجدار الشمالي ، ثم انها بنيت بطريقة اقل دقة ، ومن حجارة الدبش ، بينما بقية الجدار مبني بالحجارة المدقوقة المشهرة يحيط بها افريز مستطيل الشكل منحوت بطريقة فنية جميلة[١] . فعلى سبيل الافتراض اذا كانت دار النيابة تشتمل ايضا بعض ابنية العمرية الحالية ، فالمدخل يجب ان يكون كبيرا واسعا مهيبا يتناسب ودار النيابة ، لذا فاننا نميل الى الاعتقاد بأن مدخل النيابة كان في الاصل من الجهة الشمالية ولكنه اغلق وبطل استعماله فيما بعد ، وبقي المدخل الحالي لتلك الابنية . وهذا يجرنا الى القول بأن دار النيابة اشتملت على ابنية اخرى زيارة على المدرسة الجاولية وربما كل ابنية العمرية الحالية .

(١) انظر الصورة الفوتوغرافية لهذا الباب .

الفصل الثاني

الوظائف في نيابة بيت المقدس

الوظائف في نيابة بيت المقدس

أولاً : الوظائف العسكرية (أرباب السيوف) :

١ — نائب السلطنة .

٢ — نائب القلعة .

٣ — والي المدينة .

٤ — الحاجب .

٥ — الدوادار .

ثانياً : الوظائف الدينية :

١ — ناظر الحرمين الشريفين .

٢ — مشيخة الصلاحية .

٣ — القضاه .

٤ — الخطابة .

٥ — التداريس .

٦ — المحتسب .

٧ — ناظر البيمارستان .

ثالثاً : الوظائف الديوانية :

١ — كاتب الدست .

٢ — ناظر بيت المال .

٣ — ناظر الجيش .

رابعاً : جيش نيابة بيت المقدس .

خامساً : القلعة .

سادساً : ولاية نابلس والرملة والخليل .

الوظائف في نيابة بيت المقدس
أولاً : الوظائف العسكرية (أرباب السيوف)

١ ــ نائب السلطنة :

أصبح بيت المقدس نيابة مستقلة سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، على رأسها أمير كبير ولايته بمرسوم شريف من القاهرة . وكان نائب السلطنة يقيم في (دار النيابة)[١] ، الواقعة بجانب الرواق العلوي من المسجد الأقصى بجوار منارة الغوانمه[٢] . وكان النائب يجلس في صدر الايوان الخاص المسمى (ايوان الحكم) ، ليحكم بين الناس وللنظر في شؤون النيابة . ولكن نائب بيت المقدس خضر بك بنى مقعداً ملاصقاً لإيوان الحكم من جهة الشمال ، وصار يجلس فيه على عادة (مجالس الحكم) في الديار المصرية[٣] . ودار النيابة هذه أقيمت مكان المدرسة الجاولية التي بناها الامير علم الدين سنجر الجاولي سنة ٧١٣ هـ ، وخصصها للمذهب الشافعي ، وتحولت الى دار للنيابة بعد سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ثم سكن للنواب وكان نواب بيت المقدس قبل هذا التاريخ يقيمون في زاوية الدركاة بجوار البيمارستان الصلاحي وهي من أوقاف الأمير شهاب الدين غازي بن العادل الايوبي صاحب ميافارفين[٤] .

وكان لنائب بيت المقدس أقطاع خاص ، يشتمل على عدة قرى ، وذكرت المصادر أن من بين هذا الاقطاع مدينة اريحا في غور الاردن[٥] . وفي أحيان كان يجمع اليه نظر

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) المنهاجي السيوطي : أتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، مخطوط جامعة برنستون ، لوحة ٧٤٥ . الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) الحنبلي ، نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ ، ميافارفين : مدينة من الجزيرة وهي قاعدة ديار بكر كثيرة المياه والبساتين . (صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٢٠) .

(٥) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ ، ٣٢٣ . اريحا : عاصمة الغور ويعتبرها اليعقوبي من البلقاء ، وتبعد مسافة يوم عن القدس . (لي سترانج : ص ٣١٥) .

الحرمين الشريفين القدس والخليل فيطلقون عليه (ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس الشريف وبلد سيدنا الخليل) وهذا إمتياز لم يحظ به أي نائب من نواب بلاد الشام ، وبذا نال النائب قوة وتشريفاً . وفي أحيان كان النائب يجمع بين : كاشف الرملة ، وكاشف نابلس ، واستادار الأغوار ، ومتولي الصلت وعجلون ، كما حدث سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) في دولة الإشراف برسباي ، الذي جمع للامير طوغان العثماني بين هذه الوظائف[١] ، وهو أقصى اتساع بلغته نيابة بيت المقدس .

أما تولية النائب فكانت تتم بمرسوم سلطاني ، وعندما يتولى هذا المنصب أو تجدد نيابته مرة أخرى ، يدخل المدينة مرتدياً خلعة النيابة ، يحف به القضاة والمماليك وأعيان المدينة فتزين الأسواق وتدق البشائر ، ثم يدخل المسجد الأقصى حيث يقرأ المرسوم السلطاني على المجتمعين[٢] . وكانت الطبلخاناة تدق على باب بيته كل ليلة[٣] ، تماماً كما يحدث للامراء الكبار في الديار المصرية . ومن واجبات النائب النظر في أحوال نيابته ، وتفقد أحوال الرعية صغيرهم وكبيرهم ، ورفع الحيف والظلم عنهم ومراجعة السلطان في بعض الأمور التي هي من مصلحة رعيته ، والنظر في القرى والغلات وإيصال الحقوق الى مستحقيها ، وتعيين فقيه في كل قرية ليعلم أهلها أمور دينهم[٤] .

ولنيابة السلطنة في بيت المقدس ثلاث ولايات :

١ — ولاية الخليل .

٢ — ولاية نابلس .

---

(١) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج ٣ ص ٣٨٣ . الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٥ .

الكاشف : من وظائف أرباب السيوف ، ويحكم على جميع البلاد التي يتولى كشفها فيجتمع الى الامراء ويمد السماط ويحضره القضاه وتقرأ القصص بين يديه . (القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٥) .

الاستادار : من وظائف أرباب السيوف ، وتعني الأمير الذي يتولى قبض مال السلطان ، أو الأمير وصرفه ، وكان يتولى أمر البيوت السلطانية كلها ، وصاحبها أمير كبير . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٥٧) .

(٢) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٢١ ، ٢٢ .

٣ ـــ ولاية الرملة[١] ، وفي أحيان كان المرسوم السلطاني ينص على توليته (نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس)[٢] .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ، تولى نيابة بيت المقدس نواب اشتهروا بالظلم والقسوة ، فأساؤا الى النيابة وسكانها ، ومنهم من تولاها بمال بذله الى السلطان في القاهرة ، ففي سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) تولى النيابة ونظر الحرمين بالقدس الأمير دقماق (ببذل عشرة آلاف دينار للخزائن الشريفة ، غير ما تكلفه لأركان الدولة)[٣] .

٢ ـــ نائب القلعة :

لبيت المقدس قلعة وصفت بأنها (حصن عظيم البناء) تقع في الجهة الغربية من القدس بجانب باب الخليل ، وكانت هذه القلعة حصينة جداً واشتهر من أبراجها برج عظيم البناء سمي (برج داود)[٤] . وتعرضت هذه القلعة للهدم من قبل الملك المعظم عيسى في العصر الايوبي أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، اذ خشي أن يحتلها الفرنج ويحتموا خلف أسوارها[٥] . ثم أن الكامل محمد سلطان مصر سلم بيت المقدس للفرنج في الحملة الصليبية السادسة سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)[٦] . وقد استغل الفرنج حالة الفرقة والنزاع بين صفوف الايوبيين فعمدوا الى تحصين بيت المقدس وجددوا بناء القلعة ، مما دعا الملك الناصر داود أمير إمارة الكرك الايوبية الى تحرير القدس منهم

---

(١) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ط القاهرة ، ١٣١٢ هـ ص ١٧٧ .
الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ ، لوحة ١٢٨ ، ١٤٧ (مخطوط) .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، وأنظر :
ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٥ .

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٢ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ص ٤٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٤٢ .
Roger of Wendover,
The Crusade of Fredrick II, From Sources of Medieval History, Edited by Edward Peters, U.S.A., 1971, p. 152.

فهاجمهم بقواته سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) وأخرجهم منها وأعادها الى حظيرة الحكم الايوبي [١] .

وللقلعة نائبها الخاص يكون تعيينه بمرسوم سلطاني [٢] ، ونيابته مستقلة عن نيابة السلطنة ، ومقره في القلعة ، وكان ولاة بيت المقدس ونوابها يقيمون في القلعة قبل أن يتحول القدس الى نيابة مستقلة [٣] . ومن اختصاص النائب صيانة القلعة وحفظها وعمارة ما وهى من عمارتها ، وخزن أنواع الأسلحة والزرد خاناه ، بالإضافة الى أشرافه على الأجناد المقيمين في القلعة الذين يحرسون المدينة ويقومون بمهمة الدفاع عنها [٤] .

ويرتب النائب في القلعة طبلاً يدق ليلاً لاستعلام الوقت على عادة القلاع في البلاد الشامية والديار المصرية [٥] . ووضع تحت تصرف نائب القلعة (الحمام الزاجل) لا بلاغ السلطان بكل ما يستجد في النيابة ، فهو عين على النائب وجميع موظفي الإدارة في النيابة وأعمالها . وممن تولوا نيابة قلعة القدس : شرف الدين موسى الردّادي [٦] ، وبدر الدين حسن بن حشيم (ت ٨٧٠ هـ) [٧] .

٣ — والي المدينة :

وكان يطلق على من يتولى هذا المنصب في العصر الإسلامي صاحب الشرطة ، ويذكر القلقشندي أن تولية هذه الوظيفة كانت من نائب دمشق عندما كانت نيابة بيت المقدس مجرد نيابة صغيرة تابعة لدمشق . وبعد أن تحولت القدس الى نيابة مستقلة صارت تولية والي المدينة تتم من قبل نائب بيت المقدس [٨] ، وأصبحت فيما بعد من اختصاصات السلطان في القاهرة ، وقد نقل إلينا القلقشندي توقيعاً بولاية القدس من

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، ج ٣ ص ٢٣٢ .
(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٣٢٥ .
(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥٥ .
(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٦ .
(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٥ وأنظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٨٥ .
(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٥ .
(٧) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .
(٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

انشاء ابن نباته[1] ، وتولى الأمير شرف الدين المرجاني هذا المنصب سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م)[2] .

ومن اختصاصات والي المدينة حفظ الامن ومطاردة اللصوص والمفسدين ، والمحافظة على ارواح الناس واموالهم ، وكان من حقه جلد المخالفين من السكاري بالعصا[3] . ولا يسمح له بالتجسس على الناس وهتك حرمات بيوتهم بحجة البحث عن المنكر ، ويساعده في مهمته عدد من رجال الشرطة والحراس والعسس .

٤ ــ الحاجب :

وكان في نيابة القدس امير حاجب كغيرها من النيابات الاخرى في بلاد الشام[4] ، ومن مهامه الحكم بين الناس وفض المنازعات ، كما ترفع اليه الامور المتعلقة بأرباب الجرائم وغيرها من الامور التي ترفع الى حكام الشرطة . ويقوم الحاجب ايضا بعرض الجند وتقديم من يرد الى النائب والاستئذان لهم ، وينوب عن النائب في حال غيبته[5] . وممن تولوا هذا المنصب في القدس الشريف الامير شاهين الحاجب ، وشهاب الدين احمد بن شرف الدين موسى الذي شغل منصب حجوبية القدس سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) ، ثم ابنه ناصر الدين محمد التركماني (ت ٨٥٢ هـ) وناصر الدين صرصر العلمي[6] .

٥ ــ الدوادار :

ذكرت المصادر عن وجود وظيفة الدوادار في بيت المقدس ، والدوادارية موضوعها تبليغ الرسل عن النائب وابلاغ عامة الامور ، وتقديم القصص اليه والمشاورة فيمن يحضر

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٣٠ . وأنظر النص في الملاحق .
(٢) ابن صرصري ، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم برنير ، كالفورنيا ، ١٩٦٣م ، ص ١٤٦ .
(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٦١ ، ٦٢ .
وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ــ القسم الحضاري ، ص ١١ .
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .
(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩ .
(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .

لمقابلته . ومن مهامه ايضا تقديم البريد الى النائب واخذ خطه على عامة المناشير والتواقيع والكتب الصادرة من نائب السلطنة[1] . وكان النائب يكلفه في مهمات حربية ، ففي سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) كلف الامير جان بلاط نائب القدس الامير جانم دوادار القدس في مهمة بقرية بيت لقيا فقتل هناك بايعاز من نائب غزة بسبب خلاف وقع بين النيابتين[2] . ومن الملاحظ ان وظيفة الدوادار لم تكن موجودة في نيابة الكرك ، بل وجد فيها مهمندار مهمته تلقي الرسل وامراء العربان الواردين الى النيابة ، والتحدث في القيام بأمرهم[3] .

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩ .
(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧١ .
(٣) للباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٢ .

(٢)
ثانيا : الوظائف الدينية

١ ــ ناظر الحرمين الشريفين :

تعتبر وظيفة ناظر الحرمين من اقدم الوظائف الكبرى في بيت المقدس ، فوجدت في العصر الايوبي ومنذ اوائل العصر المملوكي ، فكان الناظر في عهد الظاهر بيبرس الامير علاء الدين ايدغدي الصالحي [١] . ويتولاها امير كبير برتبة طبلخاناة ، ففي سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) تولى نظر القدس والخليل الامير أحمد بن آل ملك [٢] ، وفي سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وليها الامير بوري الاحمدي [٣] . وفي احيان يتولاها عالم جليل برتبة قاضي القضاة ، عرف فضله بالعلوم والفلاح ، نذكر منهم الامير ناصر الدين محمد بن عمر الشهير بابن العطار (ت ٨٠٨ هـ) ، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الهروي (ت ٨٢٩ هـ) [٤] ، وربما جمع النائب بين النظر والنيابة [٥] . وتولية الناظر تكون بمرسوم سلطاني من القاهرة فيخلع عليه السلطان ويدخل مدينة القدس وهو يلبس هذه الخلعة ، فيتلقاه النائب والقضاة واعيان النيابة ، ويدخل الى المسجد الاقصى حيث يتلى مرسول السلطان [٦] . وكان نظر الحرمين في القدس والخليل يضاف الى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ويكون متوليها ناظر واحد ، كما حدث في عهد السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين حيث ولي في سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب نظر الحرمين الشريفين مكة والمدينة وحرمي القدس والخليل [٧] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ٢٢١ ، ٢٢٤ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ٣٣٨ .
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ١٣١ ، ١٣٦ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٨١ ،
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٧١ .

ومن اختصاصات ناظر الحرمين الاشراف عليهما وبناء واصلاح ما يحتاج الى اصلاح ، اضف الى ذلك اشرافه على الاوقاف الخاصة بهما ، وتثمير تلك الاوقاف لصالح الحرمين [1] . اما اموال الاوقاف الزائدة فكان يحتفظ بها في صندوق الصخرة[2] ، وكان بعض السلاطين يعملون على العناية بأوقاف الحرمين فيرسمون بعمارة ما يحتاج الى عمارة وترميم واصلاح ما يحتاج الى اصلاح من اموال الدولة[3] .

٢ ــ مشيخة الصلاحية :

تعتبر المدرسة الصلاحية من اقدم المدارس في بيت المقدس ، انشأها السلطان صلاح الدين الايوبي بعد تحريره بيت المقدس من الفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)[4] ، مكان كنيسة قديمة تعرف بكنيسة صند حنة (St. Ann) ، والقديسة حنة هي والدة السيدة مريم العذراء وكانت قد سكنت في هذا المكان[5] . وتقع المدرسة الصلاحية داخل اسوار مدينة القدس وخارج الحرم من جهته الشمالية ، قرب باب الاسباط فلا تبعد عنه سوى امتار قليلة ، وجعلها لتدريس المذهب الشافعي .

والمشيخة الصلاحية من (الوظائف السنية بمملكة الاسلام)[6] ، ولا يتم توليتها الا بمرسوم سلطاني من القاهرة[7] ، وعند التعيين يدخل شيخ الصلاحية المدينة ويشق اسواقها وقد ارتدى التشريف السلطاني ، يحف به العلماء والفقهاء والنائب والناظر وينتهي الى المسجد الاقصى حيث يقرأ المرسوم السلطاني[8] . وشيخ الصلاحية أحد الثلاثة الكبار الذين يصرفون شؤون نيابة بيت المقدس ، أما الآخران فهما نائب السلطنة وناظر الحرمين

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٨١ .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٤) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ١٤٥ ، ٦١٢ ، الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤١ .

(٥) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem Ville), p. 91.

(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤١ .

(٧) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١١٧ .

الشريفين . وفي احيان يتقلد شيخ الصلاحية منصب قاضي القضاة الشافعية في بيت المقدس[1] ، أو يجمع بين نظر الحرمين الشريفين ومشيخة الصلاحية[2] .

وكان بعضهم يجمع بين مشيخة الصلاحية وخطابة المسجد الاقصى ، أو بين المشيخة ونصف الخطابة بالمسجد الاقصى ، ونصف مشيخة الخانقاة الصلاحية ، من هؤلاء محب الدين بن جماعة ، وشيخ الاسلام النجمي[3] ، وكان البعض ينيب عنه في نصف المشيخة احد الشيوخ المقيمين في القدس بينما يظل هو مقيما في القاهرة[4] .

ولشيخ الصلاحية منزلة خاصة لدى السلاطين ، وهذا دلالة على ما لهذه المدرسة وشيوخها من احترام وتقدير لدى الدولة ورجالها . فاذا قدم الشيخ الى القاهرة ، يخرج امير كبير لاستقباله ويصعد به الى السلطان بقلعة الجبل ، فيقبل عليه السلطان ويكرمه ويجلسه عن يمينه[5] . ففي سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) قدم الى القاهرة شيخ الصلاحية شمس الدين محمد بن محمود الرازي الهروي ، فأمر السلطان المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي الامير الطنبغا العثماني فتلقاه خارج القاهرة وصعد به الى قلعة الجبل ، فأقبل عليه السلطان واكرمه ، ثم انزله في دار خاصة اعدت له . واثناء اقامته في القاهرة رتب له السلطان في كل يوم مبلغ مائتي درهم ومن اللحم ثلاثين رطلا ، وانعم عليه بفرس اسرج بسرج ذهب والهدايا والثياب الفاخرة ، اضافة الى ما اهدى اليه من رجال الدولة[6] .

٣ ــ القضاة :

يعتبر قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابة بيت المقدس ، ويشغل هذا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٠ ، ٤٨٣ ، ٥٢٥ .
(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٤) المقريزي ، السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٥٨ .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣١٢ .
(٦) المقريزي ، السلوك ، ص ٣١٢ .

المنصب قاضي القضاة الشافعية الذي كان يجمع الى جانب ذلك منصب شيخ الصلاحية وفي احيان اخرى منصب ناظر الحرمين الشريفين(١) .

وأول من ولي هذا المنصب بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد ، تولاه من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) ، فكان يجمع بين قضاء القدس وقضاء العسكر والنظر على اوقاف بيت المقدس(٢) .

وفي العصر المملوكي جعل السلطان الظاهر بيبرس القضاء في اربعة قضاة ، وقد عمم هذا النظام في معظم النيابات في البلاد الشامية والديار المصرية . اما في بيت المقدس فقد اقتصر الامر على قاض شافعي ، ثم تطور الامر تدريجيا حتى اصبحوا اربعة قضاة . فمنصب قاضي القضاة الحنفية احدث في سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، اما المالكي فأوجد في سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) ، وكان آخرها الحنبلي حيث احدث هذا المنصب سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م)(٣) . ولقاضي القضاة نائب في كل من نابلس والرملة والخليل ، وفي احيان تنفرد كل مدينة بقاضيها(٤) .

وكان التعيين في منصب قاضي القضاة بمرسوم شريف من السلطان ، وكعادة الموظفين الكبار في النيابة ، يدخل القاضي المعين مدينة بيت المقدس مرتدياً خلعة السلطان ، ويقرأ توقيعه في المسجد الأقصى بحضور النائب والناظر وبقية القضاة وأعيان النيابة(٥) . ثم صار القضاة يبذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة في بيت

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٢) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٦١٢ ،
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٢ ، ١١٨ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ .
وذكر مجير الدين أن شيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية في القدس سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) هو شيخ الإسلام نجم الدين أبو البقاء محمد بن جماعة ، أما قاضي القضاة الحنفية فهو جمال الدين عبدالله بن الديري ، وقاضي القضاة المالكي هو شمس الدين أبو عبدالله محمد المعزاوي ، أما قاضي القضاة الحنبلة فهو شمس الدين أبو عبدالله محمد العليمي . (الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٣) .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٧٠ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٥٢٥ .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٨ .

المقدس ، ففي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) تولى منصب قاضي القضاة الحنفي القاضي جمال الدين الديري (بعد مال كبير بذله في الولاية)[١] .

ويساعد القاضي في وظيفته (المباشرون)[٢] ، وهم الذين يقومون بمساعدة القاضة في الأمور المتعلقة بوظيفته كالكاتب والحاجب وأمناء القاضي والشهود[٣] . أما الحاجب فهو الذي يستأذن على القاضي ويرفع الأمور إليه ، أما الامناء فهم الذين يحتفظون في أموال اليتامى والغائبين ويصرفون زكاة اليتيم لمن يعينها القاضي . أما الشهود العدول فهم الذين يختارهم القاضي لمساعدته في عمله القضائي ، ويختصون عادة بالنظر في صحة الاجراءات القضائية ، ونصت الوثيقة رقم ١٤١ تاريخ ٧٩٥هـ على وجود (الشهود العدول بالقدس الشريف)[٤] . وكان من أعيان الشهود العدول في بيت المقدس تاج الدين عبد الوهاب ابن القاضي برهان الدين ابراهيم الصلتي الشافعي (ت ٨٧٣هـ) وصفه الحنبلي بأنه كان من (أعيان العدول بالقدس الشريف وكانت القضاة والحكام يعظمونه)[٥] ، ونجم الدين محمد بن محمد بن بقيرة السوداني الحنفي (ت ٨٥٦ هـ)[٦] .

٤ ـــ الخطابة :

ونعني بالخطابة ، خطابة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمسجد الابراهيمي في الخليل ، والخطابة من أجل الوظائف الدينية في النيابة وأعلاها رتبة (اذ كان النبي ﷺ يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم)[٧] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) عن وظيفة المباشرين أنظر :
القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٩ .

(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٨٥ — ٨٩ .

(٤) وثائق المتحف الاسلامي في القدس ، وثيقة رقم ١٤١ تاريخ ٧٩٥هـ .

(٥) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٩ ، وأنظر : ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٢٧ .

ويتم التعيين في أمامة وخطابة المسجد الأقصى والمسجد الابراهيمي من قبل قاضي القضاة[١] ، ثم من ناظر الحرمين في بيت المقدس ، وأخيراً صار السلطان يتدخل في التعيين في أمامة المسجد والصخرة[٢] ، فيأتي التقليد والمرسوم من القاهرة ، فيدخل الإمام المقدس وهو لابس خلعة السلطان وهي تشريف وطرحة على العادة ، ويقرأ كتاب التقليد في المسجد الأقصى أمام جمهور المصلين والحضور هناك[٣] .

وفي بعض الاحيان كان شيخ الخانقاة الصلاحية في بيت المقدس يتولى مشيخة الحرم الشريف[٤] ، وكان بعضهم يجمع بين مشيخة الصلاحية وقضاء الشافعية وخطابة المسجد الأقصى منهم قاضي القضاة شيخ الاسلام نجم الدين أبو البقاء محمد بن برهان الدين ابراهيم بن جماعة[٥] . ثم صارت الأمامة والخطابة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة يتقاسمها إثنان ، لكل نصف الخطابة أو الأمامة ، ويتم التعيين من السلطان

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٩٨ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١١٠ ،
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٩٧ .

(٣) الحنبلي ، ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٩ ، ٤٩٥ ، وأنظر :
السلوك ج ٤ ق ١ ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ج ٣ ق ٢ ص ٩٢٣ .
التشريف : هو الخلعة التي يلبسها السلطان أو يمنحها لأحد رجال الدولة كي يلبسها عند قراءة التقليد وتسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التي منحت من أجلها مثل : (خلعة النيابة ، خلعة الوزارة ، خلعة السفر ، خلعة الرضا) . ورفض ثوب التشريف يعتبر اساءة خطيرة ، والخلعة عادة تكون (كاملية) من الصوف مبطنة بفروسمور ، أو ثوباً من الأطلس الأبيض به بنود مطرزة .
(ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٠٨ — ١١١) .
الطرحة : وهي عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين وكان هذا الزي إمتيازاً للطبقة الرفيعة من رجال الدين والموظفين . (ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٩٣) .

(٤) أول من تولى مشيخة الخانقاة الصلاحية غانم بن علي بن حسين الانصاري الخزرجي من قبل صلاح الدين الأيوبي بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ، وتولاها من بعده العديد من ابنائه وأحفاده . ولعائلة الغوانمه المنسوبة إليه آثار جليلة في المسجد الأقصى والمدينة المقدسة ، وقد تولوا خطابة المسجد الأقصى مدة طويلة وبقيت مشيخة الخانقاة الصلاحية بأيديهم الى سنة ٨٩٨هـ .
(الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٦ ، ٣٧٥ ، ٤٨٢ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٥٤٣ ، وأنظر : أبو الفلاح ، شذرات الذهب ، ج ٥ ص ١٥٥) .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١١٧ .

بالقاهرة[١] ، وفي أحيان تولى الخطابة بالمسجد الأقصى أربعة شيوخ لكل ربع الخطابة[٢] .

ووجد في المسجد الأقصى وظيفة رئيس المؤذنين ، وممن شغلها العدل شهاب الدين أحمد بن محمد الخليلي الشافعي (ت ٨٧٤ هـ) ، وكان أيضاً أحد الشهود العدول في بيت المقدس[٣] . وجرت العادة أن تصرف الجامكيات (الرواتب) الى هؤلاء الخطباء والمؤذنين ، ووقفت القرى العديدة في منطقة القدس لهذه الغاية فالوثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ نصت على وقفية لقرية بأعمال القدس ، وكان يسلم ربع وقفها جامكية للخطيب والمؤذن ومضالح السقاية المنصورية على يد (الجناب الكريم العالي السيفي سيف الدين البدري)[٤] .

٥ ـ التداريس :

ويقوم بهذه الوظيفة اساتذة وشيوخ مشهود لهم بالعلم والفضل ، وأنواع هذه التداريس : الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والعلوم العقلية وغيرها من العلوم[٥] .

وشهد بيت المقدس في العصر المملوكي نهضة علمية رائدة ، ونتيجة للإهتمام الزائد التي أولاها السلاطين للمدينة المقدسة ، فقد قاموا بانشاء المدارس حتى بلغت نيفا وأربعين مدرسة ، ما عدا المدارس الأخرى المنتشرة في مدن النيابة كالخليل ونابلس والرملة وغيرها . وبعد سقوط بغداد على يد التتار هجرها العديد من العلماء فاستقروا في مدن بلاد الشام والديار المصرية[٦] ، ولكن البيت المقدس استأثر بالعديد من هؤلاء العلماء ووضعوا أسس نهضته العلمية . ثم أن البيت المقدس كان هدف هجرة علمية

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ص ١١٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ .

(٢) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .

(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) وثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
سيف الدين بهادر بن عبدالله البدري ، أحد الامراء الكبار في مصر تولى عدة مناصب منها نيابة الكرك ، ثم نفي الى طرابلس وتوفي فيها سنة ٧٤٠ هـ .
(النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٢٤) .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٩ .

(٦) المقريزي ، السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

أخرى مغربية وأندلسية أمتدت سنين طويلة ، حيث كان القدس (محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم)[1] . وقد اهتم المشارقة بأخوانهم المغاربة المهاجرين ، فأعدوا لهم الاحياء الخاصة وقدموا لهم كل عون ومساعدة ، وكانت الردة الاسبانية (المسيحية) قد بدأت في الاندلس في نفس الوقت الذي بدأت فيه الحروب الصليبية في المشرق . واستقطبت دمشق بادىء الأمر جموع المغاربة ، ونقل الينا الرحالة الاندلسي ابن جبير صورة عن اهتمام المشارقة بالمغاربة من مهاجرين وطلاب علم ، ففي سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) زار دمشق وكان القدس ما زال تحت الاحتلال الصليبي فوصف لنا ما يلاقيه المغاربة في دمشق من عناية ورعاية حتى أن نور الدين زنكي خصص للمغاربة (زاوية المالكية) ، وجعل لها أوقافاً كثيرة منها : طاحونتان وسبعة بساتين وحمام ودكانان بالعطارين . وبلغ دخل هذا الوقف خمسمائة دينار سنوياً تصرف على المهاجرين المغاربة وطلاب العلم منهم[2] . أما بيت المقدس فقد كان وجود المغاربة فيه واضحاً اذ خصص لهم منذ وقت طويل حارة المغاربة وسمي أحد أبواب الحرم القدسي بإسمهم . ونتيجة لاستقطاب بيت المقدس لهذا العدد الكبير من العلماء والفقهاء ورجال العلم ، فقد أصبح في العصر موضوع الدراسة محج طلاب العلم يأتون اليه من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي ، يدرسون في مدارسه ويأخذون العلم عن علمائه . وقد شمل السلاطين المماليك رجال العلم برعايتهم واسبغوا عليهم فيضاً من تشجيعهم وعنايتهم ، وتقربوا من الفقهاء والعلماء بسبب شعورهم بالغربة عن البلاء وأهلها . هذا الشعور جعلهم بحاجة ماسة الى دعامة قوية يستندون عليها ويستعينون بها على ارضاء جماهير المواطنين . وكانت المدارس في ذلك العصر أشبه ما تكون بالمعاهد العلمية العليا أو الجامعات في العصر الحاضر[3] ، أما هيئة التدريس فكانت تتكون من : المدرس والمعيد والمفيد والمنتهي[4] .

وكانت المدرسة الصلاحية على رأس هذه المدارس ، فوظيفة شيخ الصلاحية في قمة الوظائف الدينية في بيت المقدس ، ويكون تعيينه بمرسوم سلطاني من القاهرة[5] . ولا

---

(١) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٦١ .

(٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٥٧ .

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٥٠ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٥١ — ١٥٥ .

ولمزيد من التفاصيل عن مهمة كل أنظر للباحث تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٣٤ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٥٢٥ .

يتولاها الا من أتصف بصفات خاصة ، وكان من خيرة العلماء وأشهرهم له التصانيف والمؤلفات ، وعرف بالعفة والصلاح .

ومن شيوخ الصلاحية نذكر شيخ الإسلام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن عبدالله الدمشقي ثم المقدسي ، ولد بدمشق سنة ٦٩٤ هـ ، وسمع الكثير ورحل في طلب العلم وبلغ عدد شيوخه ٧٠٠ شيخ . ويقول مجير الدين الحنبلي أنه (أخذ عن مشايخ الدنيا وأجيز بالفتوى وجد واجتهد حتى فاق أهل عصره) [١] ، درّس في دمشق ثم في القدس مدرساً بالصلاحية سنة ٧٣١ هـ . وأضيف إليه تدريس الحديث بالمدرسة التنكزية بالقدس من تصانيفه :

١ — القواعد ، كتاب يستمل على علمي الاصول والفروع .
٢ — الوشي المعلم فيمن روى عن ابيه عن جده عن النبي ، في مجلد .
٣ — عقيلة الطالب في ذكر اشرف الصفات والمناقب في مجلد .
٤ — المراسيل والكلام على حديث ذي اليدين في مجلد .
٥ — منحة الرائض بعلوم آيات الفرائض .
٦ — كتاب في المدلسين .
٧ — كتاب تنقيح المفهوم في صيغ العموم .

وتوفي في القدس سنة ٧٦١ هـ (١٣٦٠ م) [٢] .

وقد خصصت الاوقاف الكثيرة لهذه المؤسسات العلمية لينفق منها على المدرسة ومدرسيها وطلابها ، ففي سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) رتب السلطان الاشرف قايتباي لمدرسته في القدس ٦٠ صوفيا ، وجعل لكل صوفي في كل شهر ١٥ درهما ، اما الطلبة فخصص لكل طالب في كل شهر ٤٥ درهما ، اما شيخ المدرسة فجعل له في كل شهر ٥٠٠ درهم [٣] .

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٦ .
(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٧ .
(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

٦ — المحتسب :

الحسبة هي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله[١] ، قال تعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . وهي وظيفة خلقية وسلوكية أوجدها الاسلام لتدعيم اوجه التعاون والتضامن بين الجميع . والمحتسب يشرف على التجارة الداخلية والاسواق والمكاييل والاوزان ، ويمنع الغلاء والاحتكار والغش والتدليس[٢] . كما يراقب سلوك المجتمع فيمنع الفسوق والفجور والتبرج وتعاطي المسكرات ، ويسترط في المحتسب ان يكون حرا عدلا ذا رأي وصراحة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة[٣] ، ومن صفاته ايضا الرفق في القول وطلاقة في الوجه وسهولة في الاخلاق .

اما محتسب القدس فكان نائبا عن محتسب دمشق عندما كان القدس ولاية ونيابة تابعة لدمشق[٤] ، الا انه استقل فيما بعد عندما اصبح بيت المقدس نيابة مستقلة . والى جانب محتسب القدس وجد في نيابة بيت المقدس محتسب في الخليل والرملة ونابلس وكانت تولية هؤلاء من نائب القدس وحدث في سنة ٨٨٠ هـ ان اصبح تعيين محتسب الخليل بمرسوم شريف من القاهرة لان النائب كان يفرض على محتسب الخليل مقدارا من المال ، فيضطر هذا الى التسلط على الفقراء من المتسببين والتجار لجمع هذه الاموال ، ثم الغي هذا وعاد الامر الى ما كان عليه سابقا[٥] .

٧ — نظر البيمارستان :

أنشأ صلاح الـدين الايوبـي البيمارستـان الصلاحي في بيت المقـدس سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م مكان الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بقرب كنيسة القيامة ، وزوده بكل ما يحتاج اليه من العقاقير والادوية ، كما رتب فيه الاطباء الذين يقومون بعلاج

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٠ .
(٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .
(٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ ، ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٢٥ .
(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .
(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

المرضى . ووقف على هذا البيمارستان عدة مواضع ، وجعل النظر على اوقاف هذا البيمارستان واوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاة الصلاحية الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد لعلمه وكفاءته[1] .

ومن المعروف ان الايوبيين والمماليك اهتموا في اقامة البيمارستانات وتدريس الطب وقاية لاهل البلاد من الاوبئة والطواعين ، واصبحت البيمارستانات بالاضافة الى مهمة التداوي ، تقوم بمهمة التدريس . فكان البيمارستان ينقسم الى اربعة اقسام ، قسم للجراحة ، وقسم للحميات ، وقسم للرمد ، وقسم للنساء . وكان يخصص لكل مريض تخت مستقل لنومه . وبلغ عدد الاطباء في احدى هذه البيمارستانات في العصر الايوبي ستين طبيبا[2] . وكان في كل بيمارستان عدد من الصيادلة لاعداد الادوية المركبة وتوزيعها على المرضى حسب امر الطبيب .

وكان يعين في كل بيمارستان ناضر خاص برتبة اميركبير ، يقوم بمهمة ادارته ، ووجد في بيت المقدس ناظر البيمارستان ، ووصف القلقشندي هذه الوظيفة بأنها (من أجل الوظائف واعلاها)[3] .

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٦١٢ ،
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ١ ص ٣٩١ ، ج ٢ ص ١٠٢ .
(٢) بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ،
وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٣٨ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٨ .

(٣)
ثالثا : الوظائف الديوانية

١ ــ كاتب الدست :

ويقوم مقام كاتب السر في الرد على الكتب الواردة والصادرة عن النيابة[١] ، وقراءة الكتب الواردة على النائب وكتابة اجوبتها ، واخذ خط النائب عليها ، بالاضافة الى تصريف المراسيم الواردة والصادرة الى النيابة . وكان يشغل هذه الوظيفة في القدس اكثر من كاتب دست ، نذكر منهم شمس الدين محمد بن خضر بن داوود بن يعقوب (ت ٨٤١ هـ) ، وصف بأنه كان دينا خيرا ، روى وحدّث واسمع سنين عديدة[٢] .

٢ ــ ناظر بيت المال :

ولا يتولى هذه الوظيفة الا ذو العدالة من أهل العلم والديانة ، ومهمته النظر في اموال النيابة حيث يرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله بالتصرف فيه اما قبضا أو صرفا[٣] . وذكرت الوثيقة رقم ١٣٤ تاريخ ٧٨٥ هـ عن وجود (ناظر بيت المال) في القدس الشريف ، اما الوثيقة رقم ١٤٨ تاريخ ٧٤٠ هـ فقد نصت على وجود (وكيل بيت المال بالقدس الشريف)[٤] ، وكان يقوم بهذه الوظيفة احيانا ناظر الحرم الشريف ، ووجد في بيت المقدس بيت المال ونعتته وثائق المتحف الاسلامي في القدس (ببيت المال المعمور بالقدس الشريف)[٥] . وذكر القلقشندي ان معظم الوظائف كانت موجودة في نيابة بيت المقدس[٦] ، مثلها في ذلك نيابة دمشق والكرك وصفد وغزة وغيرها .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٤٦٥ .
(٢) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٢١٤ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣١ ، ج ٥ ص ٤٦٥ .
(٤) وثائق المتحف الأسلامي في بيت المقدس رقم ١٣٤ تاريخ ٧٨٥ هـ ، ورقم ١٤٨ تاريخ ٧٤٠ هـ .
(٥) وثائق المتحف الاسلامي في بيت المقدس رقم ١٣٨ ورقم ١٣٩ تاريخ ٧٤٥ هـ ورقم ١٤٩ تاريخ ٧٩٥ هـ .
(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

٣ ــ ناظر الجيش :

وموضوعها التحدث في الاقطاعات الخاصة بنيابة بيت المقدس ، والكتابة بالكشف عنها ، واخذ خط النائب عليها بعد أخذ رأيه ، وضبط الاقطاعات للامراء والاجناد في النيابة . ثم الكتابة الى السلطان عن الاقطاعات المتوفرة عن اصحابها بالموت ونحوها ، حيث تحمل الى ديوان الجيش بالديار المصرية ، وبمقتضى ذلك يخرج المنشور السلطاني بشأن هذه الاقطاعات[١] . ولهذه الوظيفة ديوان خاص يثبت فيه المناشير الخاصة بالاقطاعات المقطعة في النيابة ، والصادرة من السلطان في القاهرة ، ويساعد الناظر في مهمته كتاب وشهود[٢] .

---

(١) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(٢) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣١ .

(٤)
رابعاً : جيش نيابة المقدس

تردد في المصادر عن وجود قوات في نيابة بيت المقدس ، مما يؤكد أن جيشاً خاصاً وجد بها ، مثلها في ذلك مثل بقية نيابات بلاد الشام . ولدينا إحصائية بعدد جيوش نيابات بلاد الشام أوردها ابن شاهين الظاهري ، ولكنه لم يورد شيئاً عن عدد جيش بيت المقدس[١] . وبذا لا نستطيع اعطاء رقم صحيح لعدد هذا الجيش ، وان كنا نرى بالمقارنة بجيوش نيابات كل من حماة وصفد والكرك[٢] ، ان جيش نيابة بيت المقدس كان بحدود الألف فارس ما عدا الرجالة ورجال القبائل العربية في جبل القدس والخليل وجبل نابلس .

وقد اشتركت قوات بيت المقدس في قمع الفتن في النيابة نفسها وفي خارجها ، وفي التجاريد والحروب التي خاضها المماليك ضد العثمانيين . ففي سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ثارت عربان بني عقبة في شرقي الاردن على نائب الكرك ، فطلب السلطان الى نائب القدس ونائب غزة نجدة نائب الكرك[٣] . الا أنه في نفس الوقت أسرّ لنائب غزة القاء القبض على نائب الكرك ، فألقى النائبان القبض عليه حسب رغبة السلطان ، وأرسل مع نائب القدس الى دمشق حيث سجن بقلعتها[٤] . وفي سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) اشتركت قوات القدس بقيادة نائبها الامير شاهين الذباح في قتال نائب دمشق تنبك البجاسي الثائر في دمشق ، بالاشتراك مع قوات مصر وصفد ، وتمكنوا من القاء القبض وعليه ، واعتقاله في قلعة دمشق[٥] . ثم اشتركت قوات بيت المقدس مع قوات مصر

---

(١) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩٤ م ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) ابن شاهين الظاهري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ ،
وللباحث : تاريخ شرقي الاردن (القسم الحضاري) ص ٢١ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ .

(٤) المقريزي : المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ٤٥١ .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٢٦٥ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ص ٣٩ ، ٤٤ . وأنظر : الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

وصفد في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) لمحاربة الامير اينال الجكمي نائب دمشق الخارج عن الطاعة ، فحاربوه وهزموه وألقوا القبض عليه(١) .

وفي أواخر دولة المماليك الثانية قام المماليك بإرسال التجاريد لمحاربة شاه سوار وأعوانه الذين صاروا يضغطون بشدة على حدود دولتهم الشرقية والشمالية . وقد اشتركت القوات من بلاد الشام في هذه التجاريد ، وخصوصاً الرجال المجندون من جبل القدس والخليل وجبل نابلس(٢) . ففي سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) اشتركت قوات بيت المقدس بقيادة نائبها الامير يوسف الجمالي في قتال شاه سوار صحبة القائد الأمير يشبك الدوادار . فهزما شاه سوار والقيا القبض عليه ، واستولت القوات المملوكية على البلاد التي كان قد استولى عليها ، وكانت قوات بيت المقدس قد عادت من هذه التجريدة في ٢٣ شعبان ٨٧٦ هـ(٣) .

وفي سنة ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) بدأت الخلافات بين السلطان الأشرف قايتباي والسلطان بايزيد بن عثمان ملك الروم(٤) ، فجهز الاشرف قايتباي القوات لقتال ابن عثمان وحليفه علي دولات أخي سوار ، وأرسل يطلب القوات من بلاد الشام . فقام الامير جانم نائب القدس بإعداد القوات من القبائل العربية وأهالي جبل نابلس والقدس ، وسار بهم الى الرملة حيث التقى مع الجيش المملوكي القادم من مصر بقيادة الامير تمراز التمشي(٥) .

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ .

(٢) وقد قتل شاه سوار الكثير من الجيش المملوكي ، فابن أياس يذكر القتلى في إحدى هذه التجاريد (وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن حصره) .
(ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ص ٤١٣) .

(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩١ . وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ويصف ابن أياس نهاية شاه سوار ويذكر أنه اقتيد الى القاهرة حيث أعدم على باب زويلة سنة ٨٧٧ هـ .
(بدائع الزهور ، ص ٤٣٩) .

(٤) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥١٨ .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٢ . ويقول ابن إياس ان هذه الحادثة أول الفتن مع ابن عثمان بسبب تعصب الأخير لعلي دولات ، واستمرت الحرب بين العثمانيين والمماليك حتى انتهت بسقوط الدولة المملوكية .
(بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٢) .

واستمرت الحروب بين الطرفين ، فأرسل السلطان في السنة التالية تجريدة لقتال ابن عثمان ، وصفها ابن إياس بأنها (من أعظم التجاريد)[1] ، ولكن السلطان اضطر الى جمع الأموال والرجال من أنحاء الدولة (وحصل للناس من المماليك ما لا خير فيه ، من أخذ البغال والخيول وغير ذلك ، مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة)[2] . حتى ان العلماء والفقهاء لم يسلموا من ذلك ، ففي سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م) ، قدم الامير ماماي الخاصكي الى بيت المقدس ورسم على أكابر الناس وأخذ منهم مالاً ، فأخذ من ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أربعة بغال وحصاناً ، ومن النائب جانم ٢٠٠ دينار ، ومن شيخ الصلاحية ٣٠ ديناراً ومن القاضي فخر الدين بن نسيبه ٤٠٠ دينار ، ومن القاضي شهاب الدين الجوهري ٣٠٠ دينار ، وحصل للناس في بيت المقدس منه شدة[3] . ثم قدم بعده الامير آقبردي الدوادار لتجهيز الرجال من جبل نابلس والقدس لقتال بايزيد بن عثمان ملك الروم ، وصار يتنقل من مكان الى آخر لجمع الرجال ودفع النفقات لهم . فتارة ينزل بأرض قاقون وتارة بأرض اللجون[4] وتارة بالرملة ، واثناء إقامته في جبل نابلس أبقى الشيخ خليل بن إسماعيل في مشيخة جبل نابلس على عادته[5] .

ولكن الصراع مع ابن عثمان والمماليك أخذ يزداد ويستشري ، ففي سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٨م) أمر السلطان إعداد القوات لمحاربة ابن عثمان ، فأرسل الامير آقبردي

---

(١) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٨ .

(٢) ابن أياس : المصدر نفسه ، ص ٥٢٩ .

(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) قاقون : حصن يقع في فلسطين بجوار طولكرم ، وكان يتبع لإقليم قيسارية الواقعة على الشاطئ ، وورد ذكره في المصادر الصليبية كاكو ، شاكو.
(لي سترانج ، ص ٤٣٨) .
اللجون : بلدة تقع في حد فلسطين مع الاردن على بعد ٢٠ ميلاً عن طبرياً و٤٠ ميلاً عن الرملة . وهناك اللجون الواقعة في البلقاء بشرقي الأردن على طريق الحج .
(لي سترانج ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ . ويذكر ابن أياس ان آقبردي حضر لإخماد الفتن التي حدثت بين عربان جبل نابلس والتي قتل فيها العديد من الامراء ونذكر منهم الأمير آقبردي بن بخشايش الا ينالي استادار الأغوار.
(بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٣١) .

الدوادار والقاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الى جبل نابلس والقدس لتجهيز القوات للاشتراك في التجريدة[١] . وحضر أعيان بيت المقدس للقائهما في الرملة ، فسلم الامير آقبردي لنائب القدس وقاضيها مبلغ خمسة آلاف دينار ليصرفا على الرجال المعينين من جبل القدس والخليل[٢]. وعند تمام استعدادهم غادرت القوات بيت المقدس ، في مستهل رجب ، وانضمت الى قوات جبل نابلس . ومنها سارت العساكر المقدسية والنابلسية لمحاربة ابن عثمان وحصلت (الشدة بسبب التجاريد وذهاب الناس الى بلاد الروم)[٣].

وقد عاد بعض رجال هذه التجريدة الى بلادهم دون إذن من قادتهم ، فعمد السلطان الى إرسال الامير آقبردي الدوادار الى جبل نابلس والقدس وطلب من نائب القدس دقماق استرجاع مال التجريدة ممن دفع اليه من الرجال . فاسترجع دقماق الاموال بالضرب والحبس بالضرب والحبس والتعذيب (وفعل بهم فعلا لم يسمع بمثله في الجاهلية ، حتى ان بعض الناس باع ابنته كما يباع الرقيق ، وتفاحش الأمر وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالأرض المقدسة من قبل)[٤] . ومع ذلك فان تجهيز المحاربين من القدس ونابلس بقي قائماً ، ففي سنة ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م) أرسل السلطان الامير أزبك لجمع الرجال من جبل القدس وجبل الخليل ونابلس وغيرها من المناطق الفلسطينية للاشتراك في حرب بايزيد بن عثمان ، وحصل للناس شدة بسبب ذلك[٥] . ثم انضمت هذه القوات الى قوات الجيش المملوكي القادم من القاهرة ، وقد وصف ابن أياس هذه التجريدة بأنها من نوادر التجاريد لكثرة ما اشترك فيها من الامراء والاجناد[٦] . وتؤكد المصادر ان الطاعون الذي اجتاح البلاد سبع سنوات أفنى عدداً كبيراً من الجيش المملوكي[٧] ، لذا عمد المماليك الى تجنيد الرجال من نيابة بيت المقدس بسبب كثافتها السكانية ولما عرف عن رجالها من البأس والقوة .

---

(١) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٧ .
(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٢ .
(٣) الحنبلي : المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٨ .
(٦) ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٥٩ .
(٧) Kedar, Merchants in Crisis, Yele, U.S.A. 1976, p. 14.

وكان جيش نيابة بيت المقدس كغيره من جيوش النيابات الأخرى في بلاد الشام ، يشتمل على امراء وأجناد ومماليك ، وهو جيش إقطاعي ، لذا وزعت على الامراء والأجناد الاقطاعات في أنحاء النيابة . وكان هذا الجيش يصغر ويكبر حسب الظروف ، فهو في تقديرنا ألف فارس نظامي ما عدا الرجالة (المشاة) ومماليك الامراء ، ويبلغ أحياناً الألوف ويضم عندئذ رجال القبائل والعشير في جبل القدس والخليل وجبل نابلس ، وكان السلطان يصرف لهم النفقات والجوامك كما رأينا .

(٥)
خامساً : القلعة

قلعة بيت المقدس قلعة إسلامية ذكرها الجغرافيون العرب كالاصطخرى والمقدسي وابن حوقل ، وأشاروا الى أنها بناء مستطيل مبني من الحجر ، فالقادم الى القدس من جهة الرملة تكون القلعة أول بناء يقع نظره عليه ، فهي مرتفعة شامخة(١) . وتقع القلعة في الجهة الغربية ضمن أسوار المدينة(٢) ، وفوق باب الخليل مباشرة . وقد بنيت في هذا المكان كي تدافع عن أحد المداخل الرئيسية للمدينة المقدسة ولتؤكد أهميتها الدفاعية بجلاء اثناء الحصار(٣) . وهي قلعة حصينة كبيرة ظلت تؤدي دورها في العصور المختلفة ، وكانت مكان إقامة والي بيت المقدس ، وحتى أثناء الاحتلال الفرنجي للقدس بقيت القلعة تلعب دورها العسكري ، وعندما إحتل صلاح الدين الأيوبي القدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، أعاد ترميم هذه القلعة وشحنها بالرجال والعتاد ، ورتب فيها والياً يساعده بعض الاجناد(٤) . وفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) أعاد المعظم عيسى صاحب دمشق ترميم القلعة وزاد في أبراجها برجاً وأثبت ذلك على لوحة تأسيسية نقش عليها ما يلي :

> بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله خير نصر المؤمنين عمل هذا البرج المبارك بأمر مولانا الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي المظفر عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي وتولى عمارته عز الدين عمر بن يغمر

---

(١) لي سترانج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ١٨٨ ، وأنظر : ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص ٥٦ .

(٢) كانت بعض القلاع تبني ضمن أسوار المدينة وتشكل جدرانها جانباً من الأسوار ونلاحظ ذلك في (القدس ، والكرك ، وعسقلان ، وبانياس) ، وبعضها يبني مستقلاً عن أسوار المدينة ، كما في (قيسارية ، وعكا ، والقاهرة) Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, p. 273.

(٣) Ibid., p. 274.

(٤) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ١٤٥ .

المعظمي في شهور سنة عشر وستمائة والحمد لله رب العالمين وبشد الفقير الى رحمة الله خطلخ المعظمي[١] .

ثم ان القلعة تعرضت للهدم من قبل المعظم عيسى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) اثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، من قبيل الحيطة كي لا يحتلها الفرنج ويتحصنوا خلف اسوارها . فهدم القلعة واسوار القدس ، وأبقى على برج داود أحد أبراج هذه القلعة[٢] . ونتيجة لذلك غادر العديد من السكان المدينة ، فقسم اتجه الى دمشق ، وآخر الى الكرك وثالث الى مصر[٣] .

وفي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) سلم الكامل محمد سلطان مصر المدينة المقدسة الى الامبراطور فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة ، ونصت شروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين ان تبقى أسوار القدس وقلعتها خرابا . الا أن الفرنج انتهزوا فرصة انشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية فعمدوا الى بناء القلعة وجعلوا برج داود أحد ابراجها . ولكن الملك الناصر داود امير الكرك هاجم الفرنج في بيت المقدس وحرره من سيطرتهم وذلك في سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، فتحصن الفرنج في برج داود ، فحاصرته قواته حتى تمكنوا منه فهدم الناصر هذا البرج وسواه بالارض[٤] . أما القلعة نفسها ، فقد ارسل للخليفة في بغداد يستشيره أيهدمها ام يبقيها لتكون معقلا لبيت المقدس وموئلا

---

(١) Van Berchem, Corpus Inscriptionum, (Jerusalem), p. 132. وورد في النقش اسم (خطلخ المعظمي) ، وهو (مبارز الدين بن خطلخ) احد امراء المعظم عيسى ، وقد ساءت العلاقة بينه وبين سيده المعظم ، فأرسله الى مصر سنة ٦١٦ هـ نجدة لاخيه الكامل محمد اثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، ورافقه الامير مبارز الدين سنقر الحلبي .
(ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) Bracles, Recueil des Historiens, H. occ. Vol. 2, p. 379. ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٢٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآت الزمان ، ج ٨ ص ٣٩٥ ، السلامي ، مختصر التواريخ ، لوحة ٣٢٢ (مخطوط) ، وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٠١ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٢ ، وانظر :
Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 134.

للمجاورين فيه ؟[1] ، والظاهر ان الناصر داود ابقى القلعة ولكنه بنى مكان برج داود مسجدا وجعل فيه القوام والمؤذنين[2] .

ثم ان الناصر محمد بن قلاوون جدد بناء هذه القلعة بعد ان انهدمت بعض اجزائها[3] ، وبني فيها الجامع الحالي سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) واثبت ذلك على لوحة تأسيسية عليها النقش التالي :

> بسمله ... انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قلاون أعز الله نصره في تأريخ سنة عشرة وسبعمائة حسبنا الله ونعم الوكيل[4] .

وبقيت القلعة تؤدي دورها في حماية المدينة المقدسة ومكانا لاقامة الوالي حتى العصر المملوكي ، فأصبح في القدس نائبان ووالي . والذي كان يقيم في القلعة سمي (نائب القلعة) أو والي القلعة[5] ، وكان التعيين فيها يتم من قبل نائب القدس[6] ، أما نائب السلطنة فكان يقيم في (دار النيابة) . وكان لدى نائب القلعة الاجناد لمساعدته في حفظ الامن والنظام والدفاع عن المدينة المقدسة ، بالاضافة الى ان القلعة كانت مخزنا للمؤن والذخائر والاسلحة . ويتبع نائب القلعة عادة البريد ، فكانت هناك ابراج للحمام الزاجل ولا يأتمر البريدي الا بأوامر نائب القلعة . ووجد في قلعة القدس الطبلخاناه التي كانت تدق ليلا لتعلم الناس بأوقات الليل ، وكانت تشترك في الاحتفالات وكذا اثناء خروج النائب من المدينة أو عند استقبال زائر أو تعيين نائب جديد . وممن تولى نيابة هذه القلعة

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٢ . وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٣ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٠١ .

(٤) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 160. اشرنا الى ان الناصر داود هو الذي بنى الجامع مكان برج داود ، ولكن هذه اللوحة تروي ان هذا الجامع هو من بناء الناصر محمد بن قلاوون ، لذا فاننا نرى ان محمد بن قلاوون جدد بناءه واثبت ذلك في هذا النقش .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٣٢٥ ، الخالدي ، المقصد الرفيع المنشا ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

نذكر : شرف الدين موسى الردادي تولى هذا المنصب من قبل السلطان في القاهرة ، والظاهر ان التولية فيها اصبحت فيما بعد من قبل السلطان[1] . وبقيت القلعة تؤدي دورها في العصر العثماني ، فرممها السلطان سليمان الثاني في سنة ٩٣٨ هـ (١٥٣١ م) ، وأثبت ذلك في نقش كتابي نقله الينا برشيم في كتابه[2] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٥ ، وانظر نص التوقيع في الملاحق .

(٢) Van Berchem, p. 147.

(٦)
سادسا : ولاية نابلس والرملة والخليل

اتسعت نيابة بيت المقدس فاشتملت على كل من : الرملة ونابلس والخليل ، وكان طبيعيا ان تكون الخليل تابعة للقدس ، اذ ان نائبها في احيان كثيرة كان يتولى نيابة بيت المقدس ونظر الحرمين في القدس والخليل . أما الرملة فكانت موضع نزاع بين نيابة غزة ونيابة بيت المقدس ، ففي احيان تتبع غزة وفي اخرى تكون تابعة للقدس ، ولكن في أواخر دولة المماليك الثانية صدر المرسوم السلطاني بضم كشف الرملة الى نيابة بيت المقدس[١] . أما في اوائل دولة المماليك الاولى فان اللد والرملة كان يتولاها الامير غرس الدين بن شاور وذلك سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م)[٢] . وكانت نابلس ايضا ضمن املاك نيابة بيت المقدس ، فالمرسوم السلطاني كان ينص على تولية نائب بيت المقدس (نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس)[٣] . وجرت العادة ان يعين النائب في كل من الرملة ونابلس (كاشفا) ينوب عنه في حكم الولاية[٤] . ويذكر الخالدي ان متولي نيابة بيت المقدس يكون من الابواب الشريفة في القاهرة ، ويضاف اليه نظر القدس والخليل وربما اضيفت اليه الرملة ونابلس[٥] . ووجد في كل من الرملة ونابلس قوات كانت تساعد الوالي في نشر الامن في ربوع الولاية ، وربما كلفت تلك القوات في مهمات خارج الولاية كالقضاء على الفتن والخارجين على الدولة[٦] .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧١٥ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ،
ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٣٤٨ .
وفي سنة ٨٤٠ هـ ولى السلطان برسباي الامير طوغان العثماني نظر الحرمين الشريفين ونيابة السلطنة بالقدس الشريف وبلد الخليل وكاشف الرملة ونابلس ومتولي الصلت وعجلون واستادار الاغوار .
(الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥) .
(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٤ . ومن الذين تولوا كشف الرملة (الجمالي يوسف) .
(٥) الخالدي ، المقصد الرفيع المنشا ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .
(٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ .

أ ـــ نابلس :

ونابلس من مدن فلسطين المشهورة ، ذكرها الجغرافيون والمؤرخون العرب والمسلمون ، وتبعد عن القدس مسافة ٧٥كم ، وحولها معاملة جميلة كثيرة الخيرات ، وتكثر فيها المياه الجارية والحمامات والمساجد والمدارس ، نذكر منها المدرسة الفخرية التي بناها القاضي فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بالديار المصرية في عهد الناصر محمد بن قلاوون(١) . ويذكر ابن بطوطة الذي زارها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) انها تشتهر بالاشجار وخصوصا اشجار الزيتون ، ويصدر زيت الزيتون الى دمشق والقاهرة والى جزر البحر المتوسط ، ويصنعون منه الصابون الجيد(٢) ، لذا انتشرت المصابن في نابلس لصنع الصابون(٣) . ويذكر الدمشقي ان قسما من هذا الزيت كان يرسل الى دمشق لاضاءة الجامع الاموي وبلغ ألف قنطار شامي سنويا(٤) . وفي نابلس كانت تصنع حلواء الخروف وتصدر الى دمشق ومصر وغيرها(٥) ، كما كثرت فيها اماكن صنع الورق (الوراقة)(٦) واستخدموا حلفاء الاغوار لهذه الغاية . ولكثرة ما يخص السلطان من زيت نابلس فقد كان يفرض بيعه على اهالي وتجار الرملة والقدس والخليل وغزة بأسعار باهضة مما يسبب تذمر واستياء الاهالي(٧) .

وقد لعبت منطقة جبل نابلس دوراً له أهميته في أواخر دولة المماليك الثانية (الجراكسة) ، فللكثافة السكانية التي كانت تتمتع بها أصبحت مصدراً لجمع الرجال وتجنيدهم لحرب ابن عثمان بعدما أصبحت القوة المملوكية تضعف تدريجياً بسبب قلة مواردها الاقتصادية وتحول طرق التجارة العالمية عن ممتلكاتها في مصر والشام .

وكان يحكم نابلس أمير أو كاشف يعين من قبل نائب بيت المقدس يساعده بعض الاجناد في حفظ الامن والنظام في الولاية ، رتبته أمير طبلخاناه ومن أمراء الطبلخاناه

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٢٩٦ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ . Benvenisti, The crusaders in the Holy Land, p. 161.

(٣) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), p. 11.

(٤) لي سترانج ، ص ٤٨٧ .

(٥) ابن بطوطه ، الرحلة ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٦) Van Berchem, Corpus, p. 214.

(٧) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

الذين تولوا نابلس الأمير أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم التميمي (ت ٧٦٠ هـ)[١] وفي أحيان يتولاها أمير برتبة أمير عشرين أو أمير عشرة[٢] . الا أن التعيين في ولاية نابلس أصبح فيما بعد من السلطان في القاهرة ، وقد نقل الينا القلقشندي نسخة توقيع بولاية نابلس من انشاء ابن نباتة ، طلب السلطان فيه من الوالي مراقبة الأمن والمحافظة على أرواح وأرزاق المواطنين وإصلاح أمور العشير في جبال نابلس[٣] .

ب ــ الرملة :

الرملة مدينة قديمة وجدت في العصر البيزنطي ونالت إهتمام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فجدد بناءها عندما كان أميراً على فلسطين واتخذها حاضرة جنده ،[٤] فهو أول من مصرها وجعلها من المدن الفلسطينية الهامة . وتبعد الرملة عن القدس مسافة ١٨ ميلاً ، وتقع في منطقة خصبة تحيط بها المزارع والحقول ، وقد أطنب الجغرافيون العرب في وصف حسنها وجمالها ونظافة شوارعها وكثرة فنادقها وإتساع مساجدها ، وانها ذات تجارة رائجة وأسواق مملوءة بالسلع والبضائع المختلفة[٥] .

وذكر ناصر خسرو الذي زارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ان معظم بيوت الرملة زينت بالرخام المنقوش الكثير الزينة والذي اشتهرت به المنطقة

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٠٠ .

أمير عشرة : والجمع أمراء العشرات ، وهم الطبقة الثالثة في صفوف الامراء المماليك ، ولكل أمير عشرة عشرة فوارس . أما أمراء العشرين فهم الطبقة الثانية في صفوف الامراء المماليك وكل أمير عشرين له عشرون فارساً . وطبقة أمراء العشرة هم أكثر طبقة في الجيش المملوكي .

(القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٥) .

وللباحث ، غلاوة الشيعة الباطنية في بلاد الشام ، جمعية المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨١ ، ص ٣٤ هامش رقم ٤٤ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٢ ،

وأنظر نص التوقيع في الملاحق .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ١٨١ .

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق (القسم الخاص ببلاد الشام) ، ص ٤ .

لي سترانج ، ص ٢٥٣ .

المحيطة ، وهو أنواع منه : الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض[1] . أما ابن بطوطة فقد زارها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فذكر أنها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الأسواق ، وبها الجامع الأبيض الذي بناه الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، وهو جامع كبير في غاية الحسن والجمال[2] .

وكان يحيط بمدينة الرملة سور متين ولها قلعة حصينة هدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن حررها من الفرنج ، وكانت عادة هدم أسوار المدن والقلاع منتشرة في العصر الأيوبي ، وفعل بعض السلاطين المماليك ذلك منهم الأشرف خليل بحجة منع الفرنج من إعادة احتلالها والتحصن خلف أسوارها . فالعادل هدم قلعة الطور وكوكب الهواء ، والمعظم عيسى هدم أسوار القدس ، أما الأشرف خليل فهدم أسوار عكا وصيدا وبيروت وصور وحيفا وعثليت وانطرسوس[3] . وقد تلاشت أسوار الرملة وقلعتها في العصر المملوكي ، ولكن أسواقها بقيت عامرة كثيرة متشعبة نذكر منها : سوق القماحين ، وسوق البصالين ، وسوق القطانين ، وسوق المشاطين الذين يمشطون الكتان ، وسوق العطارين ، وسوق الحبابين ، وسوق الخرازين ، وسوق البقالين ، وسوق الصياقلة ، وسوق السراجية[4] . وقد اهتم السلاطين المماليك بمدينة الرملة وأقاموا فيها بعض المنشآت نذكر منهم : الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون والظاهر جقمق وغيرهم .

وكان يتولى مدينة الرملة واللد أمير وذلك منذ عهد الظاهر بيبرس ، وبقي الأمر كذلك حتى عهد السلطان قلاوون ، ففي سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) القى السلطان قلاوون القبض على الامير غرس الدين بن شاور متولي الرملة ولد وولي عوضه الامير علم الدين سنجر الصالحي[5] . وبقيت ولاية الرملة حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون ولاية صغيرة ، الا أن السلطان برقوق رفع رتبة متوليها فأصبح (كاشفاً) طبلخاناه[6] ،

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ .

(٣) Prawer, The Latin Kingdom, p. 379.

وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ١٣٥ ، ١٤١ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٩٨ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧١٥ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

وأضيفت إليه اللد ، وممن أصدر السلطان لهم توقيعاً بكشف الرملة الأمير أبو بكر أمير علم[1] . وباعتقادنا أن الظاهر برقوق رفع رتبة متولي الرملة في نفس الوقت الذي جعل من القديس نيابة مستقلة . وكان كاشف الرملة في سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) الأمير تغري برمش[2] ، وفي سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) اشترك كاشف الرملة مع ناشب القدس وغيره في نجدة نائب الكرك ضد قبائل بني عقبة الثائرة هناك[3] .

وتحولت الرملة فيما بعد الى استادارية تماماً كاستادارية الأغوار لأهميتها وأصبح متوليها أمير برتبة استادار . وممن تولى استادارية الرملة الأمير شاهين الكيالي الذي بني فيها منارة ومسجداً وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وذلك سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) في عهد السلطان جقمق[4] . ومع ذلك بقيت استادارية الرملة تابعة لنيابة بيت المقدس ، اذ كان المرسوم يصدر من القاهرة بأن يكون لنائب القدس حق الكشف على الرملة ونابلس كما حدث سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م) فقد عين السلطان الأشرف برسباي الأمير طوغان نائباً لبيت المقدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس[5] . وهناك نقش حجري محفوظ في المتحف الإسلامي في القدس عليه مرسوم صادر عن السلطان قايتباي سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) لكاشف الرملة يطلب منه عدم معارضة التركمان هذا نصه :

١ — المراسيم بالأمر الشريف السلطاني الملكي الاشرفي .
٢ — أبو النصر قايتباي عز نصره الى كاشف الرملة ...
٣ — كاشف أنه لا يعارض التركمان الفرات ولا يطلب منهم .
٤ — بإخارة ولا يطفهم الدرهم الفرد كل من خالف ذلك يخالف .
٥ — الامر الشريف بتاريخ تاسع صفر سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة[6] .

---

(١) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ١٢ ص ٣١٥ .
وأنظر نص التوقيع في الملاحق .
(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٧٥ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ ، ٤٥١ .
(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، وأنظر :
الخالدي ، المقصد الرفيع ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .
(٦) Levant, Vol. XI, 1979, p. 135.

ولكن الرملة كانت في أحيان أخرى تابعة لنيابة غزة مما يسبب نزاعاً وخلافاً بين النيابتين فعمد السلطان قايتباي سنة ٩٠٠هـ (١٤٩٤م) الى نقل كشف الرملة نهائياً الى نيابة بيت المقدس وأصدر مرسوماً بذلك بأن جعل التكلم على كشف الرملة للأجير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس وأخرجت عن الأمير قاني بك نائب غزة(١) .

جـ ــ الخليل :

تقع الخليل الى الجنوب من بيت المقدس في واد بين الجبال ، وذكر الجغرافيون العرب والمسلمون كالاصطخري والمقدسي وناصر خسرو والادريسي وياقوت أنها تشتهر بالأشجار الكثيرة المتنوعة كالزيتون والتين والجميز والعنب والتفاح والخروب ، وفاكهتها لا مثيل لها ويصدر قسم كبير منها الى مصر والبلاد المجاورة(٢) ، كما تجود فيها زراعة القمح والشعير(٣) ، وسميت بالخليل نسبة الى ابراهيم الخليل الذي دفن في مغارة تحت الأرض ، وله مسجد وزوار ، وقد وقفت بلد الخليل مع قرى أخرى كثيرة على هذا المشهد(٤) .

وأصبح بلد الخليل في العصر المملوكي إقطاعاً لناسب الكرك ، ففي سنة ٦٦١هـ (١٢٦٣م) منح الملك الظاهر بيبرس الأمير عز الدين أيدمر الظاهري بلد الخليل أقطاعاً له ، ثم انتزعه منه ومنحه لنائب الكرك الجديد الأمير علاء الدين أيدكين الفخري(٥) . ومن المعروف أن الخليل كانت في العصر الصليبي تقع تحت سلطة لوردات بارونية شرقي الأردن (الكرك)(٦) .

وكان في بلد الخليل قلعة حصينة مبنية بحجارة ضخمة مربعة ملاصقة للمسجد من

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ .
(٢) لي سترانج ، ص ٢٥٧ .
(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٣ .
(٤) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٢٦ .
ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥١ .
(٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٤٢ ، وللباحث ، شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى القسم الحضاري ، ص ٧ .
(٦) Benvenisti, op. cit., p. 13.

جهته الغربية ، الا أن السلطان الناصر حول هذه القلعة الى مدرسة ووقف عليها أوقافاً عديدة[1] . ويؤم الخليل العديد من الزوار وقد أعد لهؤلاء الضيوف والزائرين والمسافرين (مضيف) يقوم على خدمتهم وتقديم الطعام إليهم . لذا أقيمت الطواحين التي تدار بواسطة البغال والثيران لطحن الدقيق ، وأعدت الخادمات في هذا المضيف لخبز الارغفة طوال اليوم . ويقدم لكل شخص يومياً رغيف مستدير وطبق من العدس المطبوخ بالزيت وشيء من الزبيب ، ويذكر ناصر خسرو ان الزوار كانوا يبلغون في بعض الأيام خمسمائة زائر[2] . وقد توقفت هذه الخدمة في فترة الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة ، ولكن السلطان الظاهر بيبرس أعادها كما كانت سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) كما رتب الرواتب للمقيمين والواردين الى مدينة الخليل[3] .

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) زار ابن بطوطة الخليل فذكر أنها مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار ، حسنة المنظر ، في بطن واد ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل[4] ، ومن أسواقها نذكر : سوق الحصرية ، وسوق الزياتين ، وسوق الغزل[5] .

وقد عمد الناصر محمد بن قلاوون الى جعلها ولاية وعين فيها واليا مستقلا وبقيت كذلك حتى تحول القدس الى نيابة مستقلة ، فأضيفت بلد الخليل الى نيابة بيت المقدس ، وصار النائب يتولى — بالاضافة الى بيت المقدس — نظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل[6] . وكانت مدينة الخليل في العصر المملوكي تحتوي على حارات عديدة منها : حارة الاكراد وتقع شرقي المسجد ، ثم حارة الجبارية ، وحارة المشرفية ، وحارة السواكنة ، وحارة النصارى ، وحارة اليهود ، وحارة الزجاجين ، اما حارة الدارية فتقع غربي المسجد وهي احسن الحارات وفيها معظم اسواق البلد[7] .

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٢٦ ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ ، لي سترانج ، ص ٢٥٧ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٧٣ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥١ .

(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٧) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ .

واقيم في الخليل في العصر المملوكي العديد من المدارس كمدرسة السلطان حسن ، والمدرسة الفخرية نسبة الى القاضي فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية (ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١ م)[١]، والمدرسة القيمرية وتقع قرب عين الطواش وبجانب باب المسجد الشمالي[٢] . وهناك العديد من الزوايا والاربطة والمساجد التي اقامها المماليك في الخليل منها : زاوية القواسمة ، والزاوية البسطامية ، والزاوية السمانية ، وزاوية شيخون ، والزاوية القادرية ، ورباط مكي ويقع غربي المدينة ، ورباط الحما عيلي بحارة النصارى ، والرباط المنصوري نسبة الى السلطان قلاوون ويقع تجاه باب القلعة . ومسجد ابن عثمان الواقع بسوق الحصريه والزياتين ، والمسجد الجاولي نسبة الى الامير علم الدين سنجر الجاولي ومسجد مسعود وغيرها كثير[٣] . ومن المعالم الهامة في الخليل البيمارستان المنصوري ، بناه السلطان قلاوون سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ووقف عليه الاوقاف العديدة ، ورتب فيه الاطباء لخدمة سكان بلد الخليل[٤] .

وفي اواخر القرن التاسع الهجري كانت الدولة المملوكية في طور الانحدار والضعف ، ولم تقو على الصمود امام ضغط العثمانيين ، فعمد السلاطين الى تجنيد الرجال من جبل الخليل لقتال ابن عثمان ملك الروم[٥] ، وهذا دلالة على ان الديموغرافية السكانية في الخليل ومعاملتها كانت كبيرة وكثيفة ، لذا عمد السلاطين المماليك الى تجنيد الرجال وتسخيرهم للقتال في صفوف قواتهم . ولم تذكر المصادر عن وجود والي مستقل لمدينة الخليل ، كما كان في كل من الرملة ونابلس فكان في كل كاشف يعين من نائب القدس ، اما الخليل فكانت تتبع نائب القدس مباشرة ، وناظر الحرمين فيهما ناظر واحد .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ ، عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ج ١ ، ١٩٦١ م ، ص ٢٤٦ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ ، ٢٧٢ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ .

(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٨ .

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس

١ ــ الزراعة واقطاع الاراضي .
٢ ــ التجارة الداخلية والخارجية .
٣ ــ المكاييل والاوزان .
٤ ــ السكة .
٥ ــ الموارد المالية في النيابة .
٦ ــ الاوقاف .

(١)
الزراعة واقطاع الاراضي

كانت أراضي نيابة بيت المقدس اقطاعات عسكرية شأنها في ذلك شأن بقية الاراضي الشامية والمصرية معا ، ويرى استاذنا الدكتور عبد العزيز الدوري ان تحولا هاما دخل الى العراق بعد التغلب البويهي في القرن الرابع الهجري وذلك بمنح الجند (اقطاعات) بدل العطاء ، وشمل هذا الاقطاع انواع الاراضي كلها ، وهذا ما يسمى (الاقطاع العسكري)[١] ، وتطور هذا الاقطاع في العصر السلجوقي فأتموا ما بدأه البويهيون ، فمنح السلاجقة الاقطاع لجنودهم بدل العطاء ، وكانت سعة الاقطاع تتناسب وعدد المقاتلين الذين يقدمهم المقطع ، وهو على هذا يتمتع بنفوذ محلي في اقطاعه[٢] . وعن السلاجقة نقل الزنكيون والايوبيون والمماليك نظام الاقطاع العسكري ، ونشروه في مصر وبلاد الشام .

ودخل النظام الاقطاعي العسكري للاراضي الفلسطينية منذ دخول السلاجقة الى بلاد الشام في القرن الخامس الهجري ، حتى ان بيت المقدس كان اقطاعا للاراتقة ثم تكن الافضل شاهنشاه وزير مصر الفاطمية فيما بعد من انتزاع بيت المقدس من سكمان وايلغازي ولدي ارتق بن اكسب وولي عليه من قبله في نفس الوقت الذي كانت فيه جموع الحملة الصليبية الاولى في طريقها الى بيت المقدس[٣] ، حيث استولوا عليه في سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) واقاموا فيه مملكة بيت المقدس اللاتينية . وقد نقل الفرنج الى بلاد الشام بعض النظم الاقطاعية الاوروبية ، وكان معظم السكان في الاراضي الفلسطينية مرتبطين بالزراعة ، لانها كانت تشكل القواعد الاقتصادية للنظام

---

(١) عبد العزيز الدوري ، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، فصلة من مجلة المجمع العراقي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٤ ، ١٥ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢١ ، وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ١٣٩ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ١٠٤ ، للباحث ، بيت المقدس في الحملة الصليبية الاولى ، بحث التي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عاما ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

الفرنجي[1] . وقبل مجيء الفرنج الى بلاد الشام ، انعدمت الزراعة في بعض المناطق الفلسطينية نتيجة للصراع الذي نشب بين السلاجقة والفاطميين ، وبعد الهجمة الصليبية الاولى هجر الآلاف من السكان قراهم في فلسطين ، فأدى ذلك الى خراب العديد من الحقول الزراعية[2] . وعند تحرير بيت المقدس من الفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) اضطر صلاح الدين الايوبي الى تزويد بيت المقدس والمدن الفلسطينية الاخرى بالغلال من البلقاء والصلت في منطقة شرقي الاردن[3] .

أما في العصر الايوبي ، فقد اقطعت مدن وقرى عديدة من فلسطين الى بعض الامراء والملوك الايوبيين ، فالكامل محمد اقطع الناصر داود الكرك وعجلون والبلقاء ونابلس والخليل وبيت جبريل واعمال القدس ، لان القدس منحه لفردريك الثاني امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) . أما الصالح نجم الدين ايوب فقد اقطع في سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) بيت المقدس للخوارزمية وبقيت بأيديهم لفترة قصيرة[4] . واقطع الناصر يوسف صاحب دمشق الامير ركن الدين بيبرس البند قداري خبز مائة فارس منها : نابلس وجنين وزرعين ، كما اقطع بعض الامراء البحرية اجزاء من الساحل الفلسطيني[5] . وهناك قرى عديدة اقطعت لبعض الامراء بعد عزلهم ، فكانوا يذهبون للاقامة قرب اقطاعاتهم ، ففي سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م) اقطع كل من الاميرين طيبرس الوزيري وسنجر الحموي قرية في منطقة يافا واللد ، كما اعطي الأمير علاء الدين الحجي الركني قريتين في فلسطين عندما عزل من منصبه[6] .

وفي العصر المملوكي كانت مدينة الخليل اقطاعا لنائب الكرك[7] ، وفي سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) اقطع الامير شيخ الصفوي نصف بيت لحم وبيت جاله ، الى

---

(١) Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, p. 213.

(٢) Ibid., p. 213.

(٣) العماد الكاتب ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ج ٢ ص ٦١١ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ١٩٧ .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ج ٥ ص ٣٣٧ .

Robert, Iqtâ, and the end of the Crusader States, from The Eastern Mediterranean lands, Edited by: Holt, England, 1977, p. 64.

(٥) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٧ ، ٩٩ ، Robert, Iqtâ, p. 64.
وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٥ .

(٦) Robert, Iqtâ, p. 68.

(٧) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٤٢ Robert, Iqtâ, p. 65.

جانب اقطاعه[١] ، وكان اذ ذاك مقيما في بيت المقدس . ومن اوائل من ادخل (الاقطاع العسكري) الى فلسطين في العصر المملوكي ، الملك الظاهر بيبرس البند قداري . فبعد فتح أرسوف من الفرنج سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م) كشف بلاد قيسارية ووزع الاقطاعات على امرائه وكتب قاضي دمشق شمس الدين بن خلكان مرسوم التملك لهذه الاقطاعات على الشكل التالي :

أ ــ القرى المقطعة بكمالها لأمير من الامراء وهي :

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
عتيل	فارس الدين اقطاي	بكمالها
أفراسين	ركن الدين خاص ترك الكبر الصالحي	بكمالها
باقة الشرقية [٢]	علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحي	بكمالها
أم الفحم[٣]	جمال الدين آقوش النجمي (نائب السلطنة بالشام)	بكمالها
تبان (من قيسارية)	علم الدين سنجر الحلبي	بكمالها
دير الغصون[٤]	ناصر الدين محمد بن بركتخان	بكمالها
علاّر	سيف الدين قشتمر العجمي	بكمالها
أقتابة	علم الدين طرطج الاسدي[٥]	بكمالها
خان سيدا[٦]	حسام الدين ايتمش ابن أطلس	بكمالها
الصفرا	علاء الدين كندغدي الظاهري	بكمالها
القصير	عز الدين أيبك الفخري[٧]	بكمالها
أخصاص	علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري	بكمالها
فرديسيا (من قيسارية)	سيف الدين بيدغان الركني	بكمالها

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨٨٩ .
(٢) تقع بين نابلس وقلقيلية .
(٣) تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا .
(٤) في المقريزي (دير الغصون) والاسم هو (بدر الدين محمدي ولد الامير حسام الدين بركة خان) . السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ .
(٥) ورد اسمه في كتاب حسن المناقب السرية ، (علم الدين طروج الآمدي والقرية (أسناتا) ص ٩٦) .
(٦) أرى انه (خان زيتا) ، حيث يوجد قرية اسمها زيتا شمال طولكرم .
(٧) ورد الاسم في السلوك (عز الدين الاتابك الفخري) ج١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

ب ـــ القرى المقطعة لاكثر من أمير وهي :

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
زيتا	جمال الدين ايدغدي العزيزي	نصفها
زيتا	شمس الدين الدكز الركني (١)	ربعها
زيتا	سيف الدين قليج البغدادي	ربعها
طولكرم	بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي	نصفها
طولكرم	بدر الدين بيليك الخزندار	نصفها
قلنسوة	عز الدين أيدمر الحلبي الصالحي	نصفها
قلنسوة	شمس الدين سنقر الرومي الصالحي	نصفها
طيبة الاسم	سيف الدين قلاوون الالفي الصالحي	نصفها
طيبة الاسم	عز الدين ايغان سم الموت الركني	نصفها
بورين	جمال الدين آقوش المحمدي الصالحي	نصفها
بورين	فخر الدين الطنبا الحمصي	نصفها
بيزين	بدر الدين بيليك الايدمري الصالحي	نصفها
بيزين (٢)	جمال الدين ايدغدي الخاصّي الناصري	نصفها
حكمة	فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث	ثلثها
حكمة	شمس الدين سلار البغدادي	ثلثها
حكمة (٣)	صارم الدين صراغان	ثلثها
البرج الاحمر	ناصر الدين القيمري	نصفها
البرج الاحمر	سيف الدين بلبان الزيني الصالحي	نصفها
يمّا	سيف الدين ايتامش السعدي	نصفها
يمّا	شمس الدين آق سنقر السلحدار الظاهري	نصفها

---

(١) ورد الاسم في المقريزي (شمس الدين الذكر الكركي) ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٢ .

(٢) أرى انها بير زيت القرية من القدس .

(٣) شافع بن علي ، حسن المناقب السرية ، ص ٩٥ . وحكمة بلدة في شمال الاردن الحالية قرب مدينة اربد .

القرية	الأمير المقطع	مقدار الاقطاع
دنابّه	الملك المجاهد ابن صاحب الموصل(١)	نصفها
دنابّه	الملك المظفر صاحب سنجار	نصفها
الشويكة (قرب طولكرم)	عز الدين أيبك الافرم الصالحي	نصفها
الشويكة	سيف الدين كرمون أغا التتري	نصفها
طبرس	بدر الدين الوزيري	نصفها
طبرس	ركن الدين منكورس المهمندار(٢)	نصفها
عرعرا	علاء الدين كور قبشاق(٣)	نصفها
عرعرا	سيف الدين قفجق البغدادي	نصفها
فرعون	سيف الدين دكجل البغدادي	نصفها
فرعون	علم الدين سنجر الازكشي	نصفها
أرتاح	عز الدين أيبك الحموي الظاهري	نصفها
أرتاح	شمس الدين سنقر الألفي	نصفها
باقة الغربية	علاء الدين طبيرس الظاهري(٤)	نصفها
باقة الغربية	علاء الدين علي التنكزي	نصفها
قفّين	ركن الدين بيبرس المعزّي(٥)	نصفها
كفر راعي	علاء الدين كندغدي الحبيشي مقدم الامراء	نصفها
كفر راعي	شجاع الدين طغريل الشبلي امير مهمندار	نصفها
كستا	شرف الدين بن أبي القاسم(٦)	نصفها
كستا	بهاء الدين يعقوب الشهرزوري	نصفها
برنيكية	جمال الدين موسى بن يغمور الاستادار	نصفها

(١) ورد الاسم في المقريزي (الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة)، السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣.

(٢) في القريزي (ركن الدين منكورس الدويداري). السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣.

(٣) في المقريزي (الامير علاء الدين أخو الدويدار). السلوك، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣.

(٤) الاسم في السلوك (علم الدين طبيرس الظاهري)، ج ١ق ٢ ص ٥٣٣.

(٥) في السلوك (ركن الدين بيبرس المغربي)، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣. ولم تذكر المصادر لمن اعطي النصف الثاني.

(٦) ورد الاسم في مفضل بن أبي الفضائل (شرف الدين عيسى الهكاري)، النهج السديد، ج ١ ص ١٤٣.

القرية	الأمير المقطع	مقدار الاقطاع
برنيكية	علم الدين سنجر العزازي[1]	نصفها
حانوتا (من أرسوف)	علم الدين سنجر امير جاندار[2]	نصفها
حبلة (من أرسوف)	عز الدين ايدمر الظاهري نائب الكرك	ثلثها
حبلة	شمس الدين سنقرجاه الظاهري	ثلثها
حبلة	جمال الدين آقوش السلاح دار الرومي	ثلثها
جلجولية	بدر الدين بكتاش الفخري	ثلثها
جلجولية	علاء الدين كشدغدي الشمسي	ثلثلها
جلجولية	بدر الدين بكتوت كجكا الرومي	ثلثها[1]

وهكذا فإن البويهيين هم الذين بدأوا خط الاقطاع العسكري ، والسلاجقة هم الذين نشروه وأعطوه أبعاداً جديدة ، فإتخذ الاقطاعيون لأنفسهم حقوق السيادة على الفلاحين والزراع ، وفرضوا عليهم رسوماً وقيوداً شلت حركتهم وحدّت من حريتهم[3] ، ونتيجة لتطور الأحداث اضطرت الدولة الاعتراف بتلك التطورات فأصبح الاقطاع الأرض ثم صار وراثياً يصاحبه سلطة شاملة على الزراع ، كل هذا مقابل تقديم الجند للدولة[4] .

أما الاقطاع العسكري في الدولة المملوكية فلم يكن وراثياً ، فهو ينتهي بموت صاحبه ، وربما انتزع منه ومنح لأمير آخر ، ولكننا نجد حالات خاصة لبعض (إقطاعات التمليك) التي تنتقل للورثة الابناء أو الأخوان[5] . وهنا نتساءل عل

---

(١) ورد الاسم في السلوك (علم الدين سنجر الحلي الغزاوي) ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٤ .

(٢) لم تذكر المصادر لمن اعطي النصف الثاني من حانوتا .

(٣) وردت قائمة هذه الاقطاعات في كل من :

شافع بن علي عباس الكاتب ، حسن المناقب السرية المنترعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٩٤ — ٩٦ ،

مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد والدر الفريد فيا بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩٢٠م ، ج ١ ص ١٣٩ — ١٤٤ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٠ — ٥٣٤ .

(٤) نظام الملك الطوسي ، سياست نامة ، ترجمة الدكتور يوسف بكار ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٨١م .

(٥) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٦) Robert, Iqtâ, p. 68.

الاقطاعات السالفة الذكر التي منحها الظاهر بيبرس لامرائه إقطاعات تمليك أم إقطاعات عسكرية ؟ فمفضل بن أبي الفضائل ذكر أن الظاهر بيبرس (أمر أن تملك الامراء المجاهدين البلاد التي فتحها الله عز وجل على أيديهم وكتب التواقيع بذلك)[١] ، أما شافع بن علي فقال : (وخرج الأمر العالي ، لا يزال يشتمل الأعقاب والذراري وينير إنارة الأنجم الدراري أن يملك جماعة أمرائه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكنون الشريف يسطرون ، مما يعين من البلاد والضياع)[٢] . وأورد المقريزي نص كتاب التمليك للامراء جميعهم ومما جاء فيه (رأي ألاّ ينفرد عنهم بنعمة ، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ ، وبعزائمهم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه ، ويبقى للولد منهم وولد الولد ، ما يدوم الى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الابناء في نعمته ، كما عاش الآباء ، وخير الاحسان ما شمل وأحسنه ما خلد ، فخرج الأمر العالي لا زال يشمل الأعقاب والذراري ، وينير إنارة الأنجم الدراري أن يملك امراؤه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكتوب يسطرون ، ما يعيّن من البلاد والضياع ، على ما يشرح ويبين من الأوضاع)[٣] . فاذا ناقشنا ما ورد في النصوص السابقة رأينا أن الظاهر بيبرس كافأ امراءه بمنحهم هذه القرى في فلسطين وشرقي الاردن (إقطاعات تمليك) ، وكان من حق هذه الاقطاعات الانتقال الى الورثة بعد الموت ، ويختلف هذا النوع من الاقطاع عن الاقطاع العسكري أو الحربي المملوكي الذي كان أكثر انتشاراً .

هذا النمط من الاقطاع الذي وزعه الظاهر بيبرس كان متأثراً بالنظم الاقطاعية السلجوقية والايوبية والفرنجية في فلسطين وبلاد الشام عامة ، اذ جعلت من الاقطاعيين حكاماً وراثيين في مقاطعاتهم . وقد كافح السلاطين المماليك فيما بعد كي يجعلوا من مالكي الاقطاعات أكثر اعتماداً على السلطة المركزية في القاهرة ، ولكي يعملوا على انهاء هذا النظام قاموا (بالروك) ، وهو تقسيم البلاد بين السلطان والاقطاعيين من الامراء[٤] ، وبموجب هذا الروك أخذ الاقطاعيون إقطاعات تحتوي على أجزاء متفرقة في أماكن

---

(١) مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد ، ج ١ ص ١٣٨ .
(٢) شافع بن علي ، حسن المناقب السرية ، ص ٩٤ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .
(٤) Cohen & Lewis, op. cit., p. 23.

متعددة[1] ، في السابق كان الاقطاعي يعطي من قرية الى عشر قرى ، وبعد سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) صار يعطي حصصاً أو أجزاء من قرى مختلفة أو حصصاً صغيرة لعدة قرى متباعدة بدلاً من حصة كبيرة في قرية واحدة[2] . وكان هدف السلطات المملوكية من ذلك الحد من نفوذ الامراء الاقطاعيين والتقليل من قوتهم ، ليصبح الامراء غرباء في تلك الاماكن . وعبر أبو المحاسن عن وجهة النظر هذه المتمثلة في ازدياد نفوذ الامراء بأن الناصر محمد بن قلاوون أخذ أخباز هؤلاء الامراء وخشي الفتنة[3] ، اذ كان خبز الواحد منهم يتراوح ما بين ألف مثقال الى ٣٠٠ مثقال من الذهب سنوياً[4] ، لذا عهد الى الامير سنجر الجاولي في سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) بعمل الروك في البلاد الشامية ، أما في مصر فراكها سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م)[5] وأعاد توزيع الأراضي بين الامراء الاقطاعيين .

وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، أصبحت الاراضي المنزرعة مملوكة تمليكاً جماعياً ، وانتشر هذا النوع من التمليك في جميع أنحاء بلاد الشام ، ففي وقت اقتسام الأراضي السنوي ، توزع أراضي القرية بين رجال القبيلة طبقاً لعدد ماشيتهم التي تقوم بالأعمال الزراعية ، وهو ما كان يعبر عنه بـ (الفدان) فكل يأخذ أرضاً بمقدار ما لديه من هذه الحيوانات . أما الفلاحون الذين لا يملكون الماشية فيصبحون تلقائياً غير مالكين (الفلاحون البطالون)[6] .

وكان الفلاحون يدفعون الضريبة من المحصول ، وما تبقى لديهم كانوا يقومون ببيعه بأنفسهم ، فهم دوماً بحاجة الى أصناف أخرى ليست من انتاجهم ، لذا يبيعون الفائض من انتاجهم ليحصلوا على حاجاتهم من تلك الأصناف . وفي العادة كان الفلاح يحتفظ ١٠٪ من المحصول للبذار ، ويحتفظ لطعام كل فرد ١٥٠ ـــ ٢٠٠ كغم من القمح سنوياً ، وما زاد على ذلك يخصص للبيع . ويحدث هذا في القرى الواقعة في السهول ،

---

(١) Cohen & Lewis, op. cit., p. 25.

(٢) Poliak, Feudalim in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, London, 1939, p. 19.

(٣) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .

(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٤٢ .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ ، ٤٢ .

(٦) Cohen & Lewis, op. cit., p. 69.

أما المناطق الجبلية المرتفعة في الكرك ومؤاب وجبال نابلس والقدس فانتاجها من القمح قليل ، لذا يحدث تبادل إقليمي في المنتجات بين المناطق ، بطريقة مباشرة أو عن طريق الأسواق الموجودة في المدن كالكرك والقدس ونابلس والرملة والخليل وعمان وغيرها(١) .

وفي العصر الصليبي بلغ عدد قرى منطقة القدس ١٠٤ قرى ، أما منطقة نابلس فكان عدد قراها ٩٠ قرية ، وأشغلت قرى بيت المقدس مساحة ٢٠٠٠ كم٢ ، أما قرى نابلس فأشغلت مساحة ١٥٠٠ كم٢ ، فمعدل مساحة القرية في المقدس ٢٤,٠٠٠ دونم أما في نابلس فكان ١٦,٠٠٠ دونم(٢) ، ولكن عدد القرى إرتفع في العصر المملوكي في كل من القدس ونابلس ، فوجد في منطقة نابلس ٣٠٠ قرية(٣) ، وبذا أصبح معدل مساحة القرية ٥٠٠٠ دونم .

أما محاصيل نيابة بيت المقدس الزراعية فهي : الزيتون والكروم والتين والفواكه والحبوب . وبلغ انتاج الزيت درجة كبيرة حتى أن بعض الاغنياء بلغ انتاجهم من الزيت ٥٠,٠٠٠ مَنّ(٤) ، أي ما يعادل ٤٠٩٥٠ كغم ، ولكثرته كانوا يحتفظون به في الصهاريج والخوابي(٥) . أما في نابلس فبلغ متحصل السلطان في بعض السنوات ١٤٠٠ قنطار ، كان السلطان يفرضه على التجار في بيت المقدس والخليل والرملة بخمسة عشر ديناراً ذهباً للقنطار الواحد ، أي أكثر من ثمنه بستة دنانير ، وكان ذلك يسبب خسارة كبيرة للتجار . وفي بعض الأعوام يأتي أمير كبير من القاهرة خصيصاً ليفرض الزيت على الأهالي المسلمين والنصارى واليهود بطريقة تعسفية تؤذيهم وتظلمهم(٦) .

وكان زيت الزيتون والصابون المستخرج منه في كل من القدس ونابلس يصدر الى البلدان المجاورة : الشام ومصر والحجاز ، والى أطراف العالم(٧) . أما متحصل السلطان

---

(١) Hütteroth, Historical Geography of Palestine. 1977, pp. 108-110.

(٢) Benvenisti, op. cit., p. 214.

(٣) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤م ، ص ٤٦ .

(٤) المَنّ : في الشام هو المن الشرعي وزنه ٢٦٠ درهماً ويعادل ٨١٩ غم .
(فالتر هنتس ، ص ٥٨) .
و ٥٠,٠٠٠ مَنّ تعادل ٢٧٣٠ تنكة في وقتنا الحاضر .

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ ، لي سترانج ، ص ٩٩ .

(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ .

(٧) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ ، لي سترانج ، ص ٢٨٧ ، ٤٨٦ .

من الغلال المنتج في نيابة بيت المقدس ، فكان ينعم قسماً منه على أوقاف المسجد الأقصى والصخرة ، ففي سنة ٨٦٥هـ (١٤٦٠م) أنعم السلطان الظاهر خشقدم على الوقف بستين غرارة من القمح قيمتها ٨٤٠ ديناراً(١) .

أما سكان القرى فكانوا من الفلاحين المسلمين والنصارى(٢) ، وقطنت القبائل العربية منطقة القدس ونابلس ، فأقامت قبائل بني زيد وجرم والعايد في منطقة بيت المقدس والرملة وغزة(٣) . أما منطقة جبل نابلس فكان لها شيخ سمي (شيخ جبل نابلس) ، كانت له الكلمة الأولى في منطقته ، وأمره نافذ لدى القبائل العربية هناك ، وحظي بتأييد السلطان وانعاماته ، وكان يتقلد هذه المشيخة بأمر من السلطان في القاهرة(٤) . أما علاقات السلطة الحاكمة مع القبائل العربية فتختلف من فترة الى أخرى ، فكثيراً ما كان الخلاف يدب بين نائب السلطنة بالقدس والقبائل العربية ، ممايؤدي الى إفساد الطرق وأرجاف في المدينة المقدسة . في سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) هاجمت القبائل العربية بيت المقدس ودخلوا المسجد الأقصى ، فهرب النائب بين أيديهم ، فكسروا باب السجن وأخرجوا من به من المساجين ، وقتل العديد من الطرفين ، وحصل النهب في أسواق بيت المقدس(٥) .

وكان الفلاحون يعانون من الظلم الذي أوجده النظام الاقطاعي العسكري أو الحربي المملوكي ، فلم يكن للفلاح الحق في مغادرة الأرض التي يعمل فيها الا بعد مرور ثلاث سنوات ، وان حدث وغادرها يعاد إليها بالقوة(٦) . بالاضافة الى الالتزامات التي فرضها النظام الاقطاعي نفسه ، وعانى الفلاحون الكثير من ظلم العربان ، الذين كانوا يفرضون

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٧ ، ٨ ، Benvenisti, op. cit., p. 215.

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٤٦ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٣٥ .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

(٦) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٣٤ ، حيث يقول : (وقد جرت عادة الشام بأن من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة) .
وللباحث ، القرية في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي ، بحث قدم للمؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره ، اكسفورد ، ١٩٨٠م .

الأموال عليهم فيسببون المعاناة الشديدة إليهم[١] . أضف الى ذلك ما كانت تسببه السلطة الحاكمة للفلاحين والأهالي ، فكثيراً ما كان يعمد نائب القدس الى جمع الأموال من الفلاحين بالقوة ، ففي سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) كان النائب في القدس يجبي من فلاحي الضياع نحواً من أربعة آلاف دينار ، وبسبب هذه الجباية خربت معاملة القدس ، فأمر السلطان المظفر أحمد بن المؤيد شيخ بمنع ذلك (ونادى بإبطال هذه المغارم ونقشه على حجر بالمسجد الأقصى)[٢] . وفي نهاية القرن التاسع الهجري كان السلاطين يجندون الرجال من جبل نابلس والقدس ويرسلونهم في التجاريد الذاهبة الى قتال بايزيد خان ابن عثمان[٣] ، كل هذه الأمور مجتمعة ، وانتشار الاوبئة والطاعون أدى الى خراب الريف ، ليس في فلسطين فحسب ، بل في معظم بلاد الشام . في العصر العثماني وصف العديد من القرى ب (خراب وخالل)[٤] ، وذكرت التقارير أن منطقة طرابلس كانت تحتوي على ثلاث آلاف قرية ، ولم يبق من هذه القرى مأهولاً في القرن السادس عشر الميلادي سوى ٨٠٠ قرية ، وتحول الباقي الى مزارع وخرب صغيرة غير مأهولة بالسكان[٥] .

وأتبع الفلاح الطرق الزراعية التقليدية ، فالمحراث الفلسطيني في العصر الوسيط يشبه المحراث الذي يستخدمه معظم الفلاحين في الوقت الحاضر ، فيتكون من هيكل خشبي ينتهي بسكينة حديدية حادة لقلب الجزء العلوي من التربة واعدادها للبذار ، ويجر عادة بواسطة الثور أو الحصان[٦] .

وكان الفلاح الفلسطيني يقيس أرضه بالفدان ، وتعني الكمية من الأرض التي يمكن زراعتها بواسطة عجلة محراث في فصل زراعي واحد . وقد استعمل الفلاحون في منطقة

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨٤ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ .

(٤) Hütteroth, op. cit., p. 26.

(٥) Cohen & Lewis, op. cit., p. 24.

(٦) Prawer, op. cit., p. 370.

القدس في العصر الصليبي فدانا يعادل نصف الفدان العربي [1] . وكان الفدان العربي يعادل ٤٠٠ قصبة مربعة وتساوي ٦٣٦٨ متراً مربعاً[2] .

وغطيت جبال القدس ونابلس والخليل بالأشجار المختلفة ، كالسرو والسنديان ، والخروب ، والسماق ، والزيتون ، وأشجار الفواكه كالتفاح والخوخ واللوز والجوز والتين والكرمة[3] . أما سهولها وأوديتها فانتجت البرتقال والسفرجل والرمان ، أما الاغوار التابعة للقدس ، فاشتهرت بالسكر ، والموز والنخيل . أما غلاتها فأهمها الحنطة والشعير والسمسم والذرة والخضروات[4] . واستخرجوا من الكروم الزبيب والخمور التي صنعها السكان النصارى في قرى القدس ونابلس ، أما التين فاستخرجوا منه القطين . واشتهرت نيابة بيت المقدس بالعسل والجبن[5] ، — وجبن الخليل نقل الى مصر والعقبة لبيعه الى الحجاج — مما يدل على وفرة المواشي في النيابة .

(١) Ibid., p. 271.

(٢) فالترهتش ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ص ٩٨ .

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، القسم الخاص بالشام ، ص ٩ .

(٤) Benvenisti, op. cit., p. 217.
لي سترانج ، ص ٩٧ — ٩٩ ، ٢٥٧ ، ٤٨٦ .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ ، لي سترانج ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢)
التجارة الداخلية والخارجية

أ ـــ التجارة الداخلية :

اشتهر بيت المقدس بأسواقه الكثيرة وأبنيته العالية ، وصناعاته العديدة[١] ، وكانت أسواقه زاخرة بصنوف السلع المختلفة ، منها ثلاث قصبات (قيل أنه لم يكن بغالب البلاد نظيرها)[٢] . ومن المعروف أن أسواق المدن الإسلامية في العصور الوسطى كانت متخصصة ، فكل سوق إختص بسلعة معينة ، فوجد في بيت المقدس : سوق القطانين ويجاور باب المسجد الأقصى من الجهة الغربية ـــ لا مثيل له في كثير من البلاد ـــ ثم هناك أسواق ثلاثة تقع قرب باب الخليل تمتد من الشمال الى الجنوب ، وتتصل معاً بواسطة بعض المنافذ ، وهي مسقفة وفي أعلاها فتحات لدخول النور والشمس ، فالغربي منها هو سوق العطارين ، وكان صلاح الدين قد وقف هذا السوق على المدرسة الصلاحية ، ثم سوق الخضر ، أما الثالث فهو سوق القماش وقد وقفها صلاح الدين الأيوبي على مصالح المسجد الأقصى[٣] . وذكرت وثائق بيت المقدس عن وجود أسواق أخرى لم تذكرها المصادر منها : (السوق الأسفل)[٤] ، (وسوق التجار)[٥] ، (وسوق الليل)[٦] . ثم هناك السوق الكبير الذي يبدأ من باب السلسلة الى باب الخليل ، أي أنه يبدأ من الحرم الى قلعة بيت المقدس ، وهذه الظاهرة نجدها في بعض المدن الشامية حيث يوجد ما يسمى (السوق الكبير) ، وذكر ابن جبير هذا السوق في دمشق وكان يمتد من باب الجابية الى باب شرقي[٧] . ويتفرع من السوق الكبير في بيت

---

(١) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٤٦ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٢ ، لي سترانج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ٩٧ .

(٢) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .

(٣) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٤) وثيقة رقم ٥٣ سنة ٧٧٨ هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٥) وثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨ هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٦) وثيقة وقف رقم ٧٧ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦٢ .

المقدس عدة أسواق هي : سوق الصاغة ، وسوق القشاش ، وسوق المبيضين ، وسوق خان الفحم ، وسوق الطباخين ، وسوق الحريرية ، وسوق الزيت الواقع بجوار باب الناظر ، ثم سوق الفخر (نسبة الى فخر الدين صاحب المدرسة الفخرية) وبه المصابن التي يصنع فيها الصابون[١] . وسويقة باب حطة[٢] ، والملاحظ أن هذه التسمية موجودة في بعض المدن الإسلامية الأخرى مثل سويقة مكة .

ووجدت الأسواق المتخصصة في كل من: الرملة ، ونابلس ، والخليل[٣] ، بالإضافة الى القياسر أو القيساريات[٤] Caesarea ، منها قيسارية النصارى في بيت المقدس[٥]. والقياسر أبنية تقوم بمهمة الأسواق بها حوانيت تؤجر للتجار متخصصة للبيع والشراء ويخزن التجار بضائعهم فيها[٦] . وكان لهذه القيساريات أبواب كبيرة من الحديد تغلق ليلاً بواسطة ضبّة عريضة من الحديد[٧] . ويراقب المحتسب هذه الأسواق ويحكم السيطرة عليها خوفاً من الاحتكار والغش والتدليس . وكان لطائفة التجار رئيس يسمى (رئيس طائفة التجار)[٨] ، يرعى مصالح التجار في المدينة وفي أحيان يسمى (شيخ التجار) ، ويكون من أثرياء تجار المدينة . وقد أطلق على طبقة التجار في العشر المملوكي (بياض العامة)[٩] ، وذكرت المصادر عن وجود (عريف) لكل سوق من أسواق بيت المقدس[١٠].

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ ـــ ٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤١ .
(٣) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ ، ٥٧ . وأنظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، (القسم الخاص بالشام) ص ٤ .
(٤) وثيقة رقم ٥٠ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .
(٥) Burgoyne & Abul Hajj, Twenty Four Medieval Arabic Inscription from Jerusalem, Levant, vol. XI 1979, p. 123.
(٦) Goitein, A Mediterranean Society, Economic Foundations, U.S.A. 1967, vol. I, p. 194.
وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٠ .
(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦١ .
(٨) Goitein, op. cit., p. 192.
(٩) للباحث ، تاريخ شرقي الأردن ، القسم الحضاري ، ص ١٠٤ .
(١٠) وثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

ويحيط بمدينة بيت المقدس منطقة خصبة واسعة ، تقوم بتزويدها بكل حاجاتها من الفواكه والحبوب والزيوت ، مثلها في ذلك مثل دمشق التي كانت تعتمد على معظم منتجات الأراضي الشامية كالزيت من نابلس ، والصابون من نابلس والقدس وسرمين[١] ، والتين من حلب والأرز من بانياس والحليب من بعلبك ، والسكر من الأغوار ، والفحم من عجلون ، والرمان من الصلت[٢] . أما القدس فكان القمح ينقل إليها من الرملة والسهل الساحلي ، والزيت من نابلس والخليل ، والتين والرمان وزيت السيرج (السمسم) والبطيخ والعنب الدرّي والعينوني من الرملة ونابلس وشرقي الأردن والقرى المحيطة بالقدس ، أما الأرز والحصر فمن بيسان ، والموز والسكر والنيل فمن اريحا والأغوار[٣] . وهكذا فقد كانت هناك حركة تجارية داخلية أو تبادل إقليمي بين بيت المقدس والمناطق المحيطة به ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو بواسطة الأسواق الموجودة في المدن .

ووجد في مدينة بيت المقدس (عرصة للغلال) وتقع قرب باب الخليل[٤] ، وهي ساحة أو ميدان واسع ، كان الفلاحون والقرويون يجلبون إليها غلاتهم الزراعية لبيعها على التجار والأهالي . وكانت الأسواق الأسبوعية التي تقام في المدينة فرصة للقرويين ورجال القبائل للحصول على ما يحتاجون اليه من سلع ، مقابل مقايضتهم لمنتوجاتهم من الحبوب والفواكه والاجبان والبسط والسجاد ، والزيت والتين المجفف واللوز والجوز وغيره من السلع المختلفة[٥] .

---

(١) سرمين : بلدة مشهورة تقع في منطقة حلب وتشتهر بأشجار الزيتون وصناعة الصابون الذي صدر الى دمشق والقاهرة ، وكان يصنع فيها نوع من الصابون المعطر متعدد الالوان يستعمل لغسل الوجوه والأيدي . (ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٦٣) .

(٢) Lapidus, Muslim Cities in the Late Middle ages, U.S.A. 1967, p. 17.

أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٢٨ .

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق (القسم الخاص بالشام) ص ٤ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٧ .

Hütteroth, Historical Geography of Palestine, p. 83.

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, pp. 361-365.

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٩٩ ،

ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩٧ ،

لي سترانج ، ص ٩٨ ، ٤٨٦ .

وتنشط التجارة الداخلية في بيت المقدس والرملة وبيت لحم والخليل في المواسم ، ففي موسم الحج من كل عام ، يحتشد في بيت المقدس أعداد كبيرة من مسلمي بلاد الشام وغيرها للاحتفال بالحج وزيارة المسجد الأقصى والصخرة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث يبلغ عددهم في بعض السنين عشرين ألفاً[١] . وكان للخليل موسم خاص لزيارة الحرم الابراهيمي ، لذا أقام المماليك للفقراء من هؤلاء الزوار والمسافرين (مضيفاً) يوزع الخبز والطعام عليهم مجاناً[٢] . ونتيجة للعدد الهائل من الزوار تنشط الحركة التجارية في أسواق القدس والخليل ، ويعم الخير عليهما وعلى المنطقة المجاورة فيهرع الاهالي للأتجار مع وفود الزائرين .

ولم يقتصر الأمر على هذا الموسم (السياحة الداخلية) ، بل يجتمع في بيت المقدس أعداد أخرى كبيرة من النصارى واليهود لزيارة أماكنهم المقدسة ، وللاحتفال بمواسمهم الدينية[٣] . فتقام لهم الأسواق الخاصة في يفا والرملة والقدس وبيت لحم تعود بالنفع على تجار تلك المدن والمتسببين من أهالي المناطق المحيطة . وكان الحجاج النصارى يأتون من انحاء مختلفة من العالم لزيارة كنيسة القيامة فمنهم : الشاميون والاوربيون ، والمصريون ، والاحباش ، حتى ان الاحباش بلغوا في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ثلاثة آلاف زائر[٤] ، وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) بلغوا ٨٠٠ زائر[٥] .

ويذكر الرحالة فيلكس فابري الذي زار بيت المقدس سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) أن مراكب الحجاج الاوربيين كانت ترسو في ميناء يافا ، ويكون في استقبالهم مندوبون عن نائب القدس ونائب غزة وكاشف الرملة ورئيس دير جبل صهيون ، وقد هيأوا لهم كل الترتيبات لحمايتهم وتسهيل مهمتهم في الأراضي المقدسة . ولاحتياطات الأمن كانت السلطات المملوكية تقوم بتفتيشهم جيداً ، ثم يسجلون المعلومات الخاصة عن كل زائر ، ويدونون ذلك في سجل خاص كأسم الحاج واسم أبيه الى غير ذلك من أمور تهمهم .

---

(١) ناصر خسرو ، المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٥ ، المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٧ ، ٩٢٨ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .

(٤) ابن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ٣٩ .

(٥) ابن طولون ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥ .

وباعتقادي أن هذا الاجراء كان ضرورياً لدواعي الأمن وخوفاً من أن يتسلل الفرنج الى المدينة المقدسة ويعيشوا فيها فساداً ، لأن ذلك الأمل ظل يراودهم طيلة الحكم المملوكي . ففي سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) وصل الى يافا أربع قطع بحرية عليها ٧٠٠ من الفرنج فأسروا عدداً من المسلمين ، واستولوا على مركب قادم من مصر فيه تجارة للسلطان [١] . وفي سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٣م) تمكن عدد من الفرنج (الكيتلان) من التسلل الى داخل المدينة المقدسة ، فطاردتهم السلطات المملوكية وأسرت منهم نحو مائة شخص . ولكي يسهل المماليك تنقل الحجاج من يافا الى القدس ، قاموا في سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) بتوسيع الطريق وإزالة ما به من الاوعار ، وزادوا في سعته (بحيث يمر فيه عشرة فرسان متواكبين) [٢] . أضف الى ذلك أن المماليك سمحوا للنصارى بناء كنيسة بيت لحم فوق مهد المسيح عليه السلام ، وجمعوا الأموال لبنائها من جميع أنحاء العالم المسيحي [٣] .

وكانت الأسواق تقام في يافا خدمة لهؤلاء الحجاج ، فيحضر التجار من القدس والرملة يحملون معهم السلع المختلفة من بلسم ومسك وصابون ، وحجارة كريمة ، وقماش موصلي ، وأنواع الأطعمة والأشربة والفواكه المختلفة . ثم يواصل الحجاج سيرهم الى القدس فينزلوا في الرملة ويقيموا فيها في (مضيف) أعد لاستقبالهم . وتقام لهم في الرملة سوق موسمية كبيرة فيها الأطعمة والفواكه كالتفاح والتين والبرتقال والبطيخ واللوز والعسل والتين المجفف والسكر فيشتري هؤلاء الحجاج ما يحتاجونه من هذه السلع ، ثم يواصلون سيرهم الى القدس .

وقد خصصت الدولة لهؤلاء الحجاج تراجمة (ادلاء سياحيون) يساعدونهم على زيارة الأماكن المقدسة وحمايتهم وحراستهم واستئجار البيوت اللازمة لهم في القدس . فتعم الفائدة معظم سكان المدينة وتجارها ، وكان الادلاء من المسلمين والنصارى ويطلق عليهم

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .
المقريزي ، السلوك ، ج ق ٢ ص ٦٣٧ .
وأنظر المصدر نفسه ج ٤ ق ٢ ص ٩٢٨ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٤ .

(المكاريون) ومفردها (مكاري)[1] . الا أن قسماً من هؤلاء الحجاج كان يفضل الإقامة في دير جبل صهيون أو نزل القديس يوحنا . ووجد تراجمة خاصون بالحجاج اليهود ، ويشترط في هؤلاء التراجمة معرفة اللغات الاوروبية وفي المقابل فإن رئيس التراجمة يتقاضى أجرة من الحجاج له ولمساعديه[2] . وزيادة في سلامة هؤلاء الحجاج أمنت الدولة لهم العلاج في البيمارستان الصلاحي فكانوا يستوفون من كل حاج (بنيان فينيسيان) يحصل مرة واحدة (كتأمين صحي) مقابل الخدمات الصحية التي يقدمها البيمارستان . ولا شروط على المدة التي يقيمها المريض في البيمارستان فله حق الإقامة من يوم الى سنة كاملة ولا يحصل منه أي مبلغ إضافي مهما كانت المدة[3] . ومن هنا يظهر لنا مقدار العناية التي كان يوليها المماليك للحجاج أو (السياح) ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار أن الدولة المملوكية هي أول دولة شجعت السياحة وأصدرت المنشورات الدعائية السياحية لتشجيع زيارة بلادهم ، ويعتبر السلطان قلاوون أول من أصدر مثل هذه المنشورات السياحية ، وبذا سبق عصره بمئات السنين[4] ، كما أن نظام التأمين الصحي على السياح سبقوا به غيرهم من الأمم بقرون عديدة .

وأقام المماليك الخانات في المدن وعلى الطرق الرئيسية لخدمة التجارة الداخلية والسياحية وحركة التنقل في الداخل ، من ذلك الخان الذي انشأه الأمير طاجار الدوادار في جنين وبنى فيه دكاكين وحماماً وحوضاً للسباحة[5] . والخانات أو الفنادق منشآت هامة واكبت حركة التجارة المملوكية التي كانت سبباً في أن تتمتع بلاد مصر والشام بدرجة كبيرة من الازدهار والثراء[6] ، نذكر من تلك الخانات :

---

(١) ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٢٠ .

(٢) نقولا زيادة ، فيلكس فابري في فلسطين ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م .

محمود زايد ، دراسة للتقسيمات الادارية في فلسطين من خلال رحلة دي لابروكيير ١٤٣٢ م ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ .

(٣) Hume, Medical Work of the Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore, 1940, p. 18.

(٤) أنظر نص المنشور السياحي في : ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٢٢٦ — ٢٣٧ . والقلقشندي ، صبح الاعشى ج ١٣ ص ٣٤٠ — ٣٤٢ .

(٥) مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد ، ص ٨٠ .

(٦) Lapidus, Muslim Cities in the Later Middle ages, U.S.A. 1967, p. 16.

خان الظاهر بيبرس :

في سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) أمر الظاهر بيبرس انشاء خان للسبيل في بيت المقدس ، وفوض بناءه الى الامير جمال الدين محمد بن نهار ، وأقيم هذا الخان خارج أسوار القدس[١] ، وهناك لوحة تأسيسية من الرخام أثبت عليها الظاهر بيبرس انشاء هذا الخان ، وجدت هذه اللوحة اثناء ترميم قبة الصخرة سنة ١٩٦٠ م ويحتفظ بها المتحف الإسلامي في القدس وقد فقدت أجزاء من النقش بسبب تحطيم الرخامة الى جزئين أما النقش الباقي فهو :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله

٢ — مما أمر بانشاء هذا الخان المبارك ... وأيه الجسيم (؟)

٣ — مولانا السلطان الأعظم ... مالك رقاب الأمم ملك .

٤ — العرب والعجم والترك ... الملك الظاهر .

٥ — ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي ... قسيم أمير المؤمنين

٦ — ضاعف الله اقتداره ... وأعز نصره .

٧ — وكتب في آخر ... سنة اثنتين وستين وستمائة

٨ — والحمدلله وحده ... واله وسلم[٢] .

وبعد تمام بنائه وقف عليه عدة قرى ببلاد الشام والقدس منها : قيراط ونصف في قرية الطرة الواقعة قرب مدينة أربد شمالي الأردن ، وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصري ، ونصف قرية لفتا على بعد ٣كم شمال غربي القدس . ويصرف ربع هذا الوقف في ثمن خبز ونعال لمن يرد الى القدس من المسافرين المشاة . ثم بنى طاحوناً وفرناً برسم هذا الخان كي يقوم بطحن الدقيق وخبز الأرغفة ، وجعل كل ذلك سبيلاً[٣] .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .

(٢) Levant, vol. XI, 1979, p. 126.

ومن الملاحظ ان العبارة (ركن الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين) نجدها في معظم نقوش الظاهر بيبرس كما في مقام أبي عبيدة وقلعة الكرك . أنظر : للباحث (تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٨٨ ، ٨٩) .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٢١ ،

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٢١ . وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٣٢١ .

ويذكر ابن شداد أن الوقف كان ثلاثة قراريط بالطرة من أعمال دمشق وثلث وربع قرية المشارفة ، ونصف قرية من أعمار القدس . (الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٧) .

ونقل اليه من القاهرة باب دهليز القصر الموصل الى البيمارستان المعروف بباب العيد[١] ، وأثبت هذا الوقف على قطعة رخامية يوجد جزء منها في المتحب الإسلامي بالقدس والنص الباقي من النقش كما يلي :

١ — (هذا) الخان المبارك أربعة عشر قراطاً من جميع الضيعة .
٢ — (من) أعمال بصري والحصة الثانية والنصف من لفتا من ضياع القدس .
٣ — ثلاثة أسهم وثلث ثمن عشر سهم من أربعة وعشرين سهماً .
٤ — (لأجل) إطعام الواردين من الفقر (أ) والمساكين تقبل الله منه وضاعف حسناته[٢] .

وقد اندثرت معالم هذا الخان ، ولكن البعثة الفرنسية التي حفرت في الجزء الشمالي الغربي من زاوية المدينة القديمة تمكنت من العثور على أساسات هذا الخان سنة ١٩١٢ م[٣] .

ومن الخانات الأخرى الموجودة في بيت المقدس نذكر : خان الفحم ، وخان المصرف ويقعان في الشارع الأعظم الواصل بين باب السلسلة وباب الخليل ، ثم خان الجبيلي الواقع في خط مرزبان[٤] . وخان تنكز بن عبدالله نائب دمشق ويقع بين حمام الشفا وحمام العين في سوق القطانين بناه سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) . وذكرت وثائق بيت المقدس عن وجود (خان العناية) الواقع بالقرب من باب حطة ، وكان وقفاً على المدرسة الصلاحية بالقدس[٥] .

وكانت المعاملات التجارية الداخلية تتم عن طريق المقايضة أو بواسطة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية المسكوكة في أنحاء مختلفة من دولة المماليك .

---

(١) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٧ ،
المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .
(٢) هذا الحجر موجود في المتحف الاسلامي بالقدس تحت رقم زم ١٤ .
وكان الظاهر بيبرس قد بنى مقام أبي عبيدة بغور الاردن ووقف عليه الوقوف وأثبت ذلك في نقش كتابي .
(راجع للباحث : تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٨٨) .
(٣) Levant, vol. XI, p. 126.
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) وثيقة رقم ٤٣ سنة ٧٨٥ هـ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .

ب ــ التجارة الخارجية :

تمتعت بلاد الشام في العصر المملوكي بفترة متألقة من تاريخها الوسيط ، وبلغت مصر والشام درجة من الازدهار والثراء لا نظير لها ، بسبب النشاط التجاري الذي بلغ أوج تقدمه وإزدهاره بين مصر والشام وبلاد الرافدين والجزيرة العربية . لذا قام المماليك ببناء الجسور وتعبيد الطرق وبناء الخانات أو الفنادق على الدروب والطرق خدمة للقوافل التجارية والمسافرين . وكان المسافرون يأوون الى هذه الخانات فيجدون مأوى لهم ولدوابهم ، وبخارج كل خان وجدت ساقية للسبيل أو بركة وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته[1] . وقد نشر المماليك الامن في ربوع تلك الطرق حتى أن المرأة كانت (تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء)[2] .

أما حركة التبادل التجاري فقد نشطت بين جميع الاقطار ، فمنتوجات القدس ونابلس والخليل والكرك والشوبك كالزيت والصابون والخروب والبسط واللوز والجوز والجبن والفواكه ، والمصنوعات اليدوية من فضية وخشبية صدرت الى القاهرة[3] . ومن دمشق نفسها كان ينقل الزجاج والسيراميك والمنسوجات والخزف والسجاد وغيرها من الصناعات ، وكانت هذه تصدر عن طريق الموانئ الشامية والفلسطينية كطرابلس وصيدا ، وعكا ، ويافا ، وغزة . أو ترسل براً عبر فلسطين وسيناء الى قطيا على الحدود المصرية ففيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ، فيدفع التجار المكوس على بضائعهم بين ٥ ــ ١٠ ٪ وكان متحصل قطياً ألف دينار من الذهب يومياً[4] . ويطلب من المسافرين إبراز تصاريح للدخول الى مصر والخروج منها ، ووجد للتجار الشاميين والعراقيين في القاهرة والاسكندرية القياسر الخاصة والوكالات لخزن بضائعهم واقامتهم فيها[5] .

---

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ ، وسميت هذه الخانات أو الفنادق : ,Caravanserais ، ويطلق عليها أحياناً مخازن التجار . أنظر : .Gotein, op. cit., p. 187

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج ١ ص ٣٦٧ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٣٠ .
وثيقة رقم ٧٦ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ .

(٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .
Lapidus, Muslim Cities, p. 18.

وخدم الساحل الشامي حركة التجارة الدولية منذ عصور سحيقة في القدم ، فكانت طرق التجارة العالمية عبر الخليج العربي والبحر الاحمر تنتهي في موانئه . وبهذا سيطر العرب في العصر العباس على التجارة الدولية وفرضوا الاسعار التي يريدونها على السلع المصدرة الى اوروبا[١] . ثم ان الساحل الشامي والفلسطيني اصبح في العصر الصليبي والمملوكي باب الشرق على الغرب ، وكانت لفلسطين علاقات مباشرة مع اوروبا . وقد تزعم هذه الحركة تجار دويلات المدن الايطالية والاوروبية ، فينيسيا ، وبيزا ، وجنوا ، وفلورنسا ، ومرسيليا ، وبرشلونه ، وكان لهذه المدن وكالات في معظم المدن الهامة في فلسطين وسوريا ومصر[٢] . وامتد نشاطهم التجاري الى المدن الداخلية فوجدت الوكالات أو (دار الطعم) في دمشق ، وعجلون في شرقي الاردن ، للعناية بالتجار الاجانب وتجارتهم[٣] . ووجد في بيت المقدس وكالة خصصت للتجار الاجانب[٤] ، بالاضافة الى الخانات والقياسر التي كانت تؤجر للتجار وتباع فيها السلع المختلفة . وخصصت فيها احياء وقنصليات لرعايا الدويلات الأيطالية ، فالخليفة الفاطمي المستنصر بالله سمح لتجار أما لفي بين سنتي ١٠٤٨ و١٠٧٠م بناء مقر لهم في القدس يحتوي على كنيسة ومكان لسكني مواطنيهم من التجار والحجاج[٥] . واطلق بعضهم على تلك الابنية الخاصة (الفنادق) Fondouk ، ووجدت في معظم المدن الشامية والمصرية مثل : عكا ، وطرابلس ، ويافا ، وصور ، وبيروت ، ودمشق ، وعجلون . والى جانب تلك الفنادق وجد القناصل الذين يرعون مصالح بلادهم التجارية والسياسية لدى دولة المماليك[٦] ، ففي سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥م) اقيمت قنصلية للبنادقة في بيت المقدس في

---

(١) Thompson, An Economic and Social History of the Middle Ages, London, 1928, p. 338.

(٢) النويري الاسكندراني ، الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٥٦ . ويذكر انه وجد في الاسكندرية فندق الكيتلانيين ، وفندق الجنوبيين ، وفندق الموزة ، وفندق المرسيليين (ج ٢ ص ١٧١) .

Rey, Les Colonies Franques de Syrie, Aux XII et XIII Siècles, Paris, 1883, p. 191.

Prawer, op. cit., p. 397.

(٣) النويري ، نهاية الارب ، ج ٣١ لوحة ٩١ (مخطوط) . وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٧ ، ٢٤١ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٥) Hume, op. cit., p. 4.

(٦) Rey, Les Colonies, pp. 70, 73, 74.

عهد السلطان المؤيد سيف الدين ، اما جنوه فقد حصلت على حق اقامة قنصلية في بيت المقدس سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) بموافقة من السلطان الاشرف برسباي[١] .

وكانت لبعض الشركات الايطالية فروع في أنحاء مختلفة من المدن والبلاد ، فالشركة الفلورنسية Bardi كان لها فروع عديدة في ايطاليا وخارجها . ففي الخارج وجدت فروعها في : برشلونه ، وقبرص ، وارغون ، والقسطنطينية ، والقدس ، ولندن ، ومرسيليا ، ونيس ، وباريس ، وتونس[٢] . ثم ان الوجود الاوروبي في بيت المقدس كان يتمثل في اعداد كبيرة من القسوس والرهبان في كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والاديرة[٣] . وكان لبيت المقدس علاقاته التجارية مع المناطق المجاورة ، فالصناعات من كل انحاء المدن الشامية والعراقية والفلسطينية والارمينية والمصرية كانت تأتي الى القدس والموانيء الفلسطينية ، بالاضافة الى الصناعات والسلع الخاصة بالمدن الداخلية في فلسطين وشرقي الاردن وسوريا حيث يصدر قسم الى اوروبا عبر يافا وعكا[٤] .

وكانت سلع بيت المقدس ومنتوجاته تصدر الى الاسواق الخارجية ، فبعض هذه السلع كانت تصل الى اوروبا بواسطة الحجاج القادمين لزيارة الاماكن المقدسة ، حيث يقومون بشرائها ونقلها الى بلادهم بقصد الربح ، أو عن طريق تصديرها بواسطة الموانيء الفلسطينية كعكا ويافا — فقد وصفت يافا بأنها فرضة بيت المقدس على البحر[٥] — وتصل السلع الى القدس عن طريق القوافل التي كانت تنقلها من ايلة (العقبة) ميناء دمشق على البحر الاحمر ، ومنها الى الكرك ثم اريحا وبيت المقدس[٦] . نذكر من تلك السلع : التوابل والاحجار الكريمة والصمغ العربي ، القادمة من الهند والصين عبر البحر الاحمر والجنوب العربي[٧] ، والبلسم من اريحا ، والحمّر من البحر الميت ، والزيت والصابون من نابلس والقدس ، والنبيذ من القدس والخليل ، والنيل والقطن من وادي

---

(١) رشاد الامام ، مدينة القدس في العصر الوسيط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٦ م ، ص ٨٢ .

(٢) Sapori (Amande), The Italian Merchant in the Middle Ages, New York, 1970, p. 51.

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٣ .

(٤) Rey, Les Colonies, pp. 222-225.

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، القسم الخاص بالشام ، ص ٥ .

(٦) Rey, Les Colonies, pp. 202-203.

(٧) Ibid., p. 190.

الاردن . والمسابح والقماش الدمقس والحرير من دمشق[١] ، والسكر من الاغوار والكرك والشوبك الذي وصف بأنه من اجود الاصناف . وكان السكر يصدر للاسواق الاوروبية على شكـــل عسل السكر ، أو بلورات أو مسحوق أو قطـــع كبيرة Loaf Sugar والمنسوجات الصوفية من الرملة ، وزيت السمسم وغيرها من السلع الاخرى[٢] . ومن المنشآت التي خدمت حركة التجارة الخارجية في بيت المقدس (الوكالة) .

دار الوكالة :

اقيمت الوكالات في معظم المدن الهامة في مصر والشام لخدمة التجارة الخارجية ، واطلق عليها في دمشق (دار الطعم)[٣] وسميت (مخزن التجار) . فالتاجر الذي لا يصحب تجارته ولم يرتبط بصديق تاجر يقوم بأعماله ، عليه خزن بضاعته لدى وكيل يهتم بتسويقها . فالوظيفة المزدوجة الخزن والتسويق هي من اختصاص (دار الوكالة) ، وان حدث وامتلك الوكيل دارا خاصة به فيطلق عليه (صاحب دار الوكالة)[٤] . وعلى ذلك فان وكيل التجار يقوم بمهمة الخازن للسلع (أو المودع لها) ، وهو المسؤول عن التجار الاجانب الذي لا يستطيعون الاشراف على اعمالها شخصيا[٥] . ويتقاضى وكيل التجار عمولة نظير خدماته التي يقدمها لزبائنه ، ويرتبط عادة بعلاقات مع القناصل الاوروبيين المقيمين في بعض المدن في مصر والشام[٦] . وجرت العادة ان تباع السلع القادمة من الخارج اما نقداً أو نسيئة ، فاذا احضر التاجر شيئاً من السلع كالثياب مثلا تسلمته السماسرة وباعته في النداء (الحراج) ، أو باعته على التجار نسيئة لاجل وبذلك يزداد

---

(١) Thompson, op. cit., p. 360.

(٢) Rey, Les Colonies, p. 190.
Prawer, op cit., pp. 394-395.

(٣) دار الطعم بدمشق ، وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، ويتولاها شخص يدعى (شاد دار الطعم) يقوم بجبي المكوس من التجار وولايتها من النائب) .
(القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨٧) .

(٤) Goitein, op. cit., p. 187.

(٥) Ibid., p. 192.

(٦) Ibid., p. 192.

ثمنها فينال صاحب السلعة ربحا آخر[1] ، ولكن المستهلك يدفع ثمنا اكثر لمثل هذه السلعة ، وكان السلاطين يمنعون مثل هذا البيع لان فيه زيادة للاسعار[2] .

ووجد في بيت المقدس دار الوكالة التي وصفتها المصادر بأنها خان عظيم يباع فيه اصناف البضائع[3]. الا ان بعض وثائق بيت المقدس نعتتها بـ (الوكالة المرعية) واطلقت على الطريق المؤدية اليها بـ (طريق الوكالة)[4] . وتسمى دار الوكالة في الوقت الحاضر بـ (خان السلطان) . وكانت دار الوكالة وقفا على مصالح المسجد الاقصى ، ويذكر الحنبلي ان اجرتها السنوية بلغت اربعمائة دينار[5] . وفي العادة وجد (شاد دار الوكالة) ، يعين هذا الموظف من قبل النائب في بيت المقدس ، ومهمته التحدث في استخراج المكوس من دار الوكالة ، وهذه الوظيفة كان يتولاها في دمشق امير عشرة أو مقدم حلقة ، وجندي [6] ، وهناك ايضا (شاد دار الطعم) في مدينة عجلون[7] . وقد جدد بناء دار الوكالة في القدس السلطان برقوق سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) واثبت ذلك على لوح رخامي ونقل برشيم نص ذلك النقش كما يلي :

> بسملة ... جدد هذه القيسارية المباركة وقف حرم القدس الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه بنيابة - مولانا ملك الامراء بيدمر كافل الممالك بالشام عز الله انصاره وانشاء الفقير الى الله تعالى السيفي اصيغان بلاط ناظر الحرمين الشريفين في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة[8] .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٤) وثيقة وقف رقم ٦ تاريخ ٧٥٢ هـ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨٧ .

(٧) النويري ، نهاية الارب ، ج ٣١ لوحة ٩١ (مخطوط) وللباحث تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٧ .

(٨) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 300. ورد اسم بيدمر نائب الشام ، وهو سيف الدين بيدمر الخوارزمي ، تقلد عدة نيابات منها حلب ودمشق ، وفي سنة ٧٨٨ هـ القى السلطان برقوق القبض عليه ، أي في السنة التي جدد فيها دار الوكالة في القدس ، وعين بدلا منه الامير استقتمر الارديني ، وكان اذ ذاك يقيم في القدس بطالا ، حيث عزله السلطان في سنة ٧٨٤ هـ عن نيابة دمشق وعين بدله الامير بيدمر الخوارزمي ، الا ان استقتمر عزل عن نيابة دمشق سنة ٧٨٩ هـ بالامير الطنبغا الجوباني ، فأقام استقتمر في القدس حتى توفي سنة ٧٩١ هـ (المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦٠ ، ٦٨٧) .

وما زالت آثار وكالة بيت المقدس باقية للآن ، ويتوصل اليها عن طريق باب السلسلة بعد ان تتجه يمينا مسافة ٢٠٠ متر . ويحف بدار الوكالة من الغرب سوق الخواجات ، ثم يليه سوق العطارين ، ثم سوق الحدادين . أما من الشرق والشمال فيحف بها (طريق القرمي)(١) ، ومن الجنوب ممر يؤدي بك الى طريق السلسلة .

ويؤدي المدخل الى دهليز واسع يفضي الى ساحة سماوية مكشوفة ، يحيط بها الحواصل والبوائك والقاعات التي اعدت لخزن البضائع واقامة المسؤولين عن الوكالة . وهي من طابقين علوي وسفلي ، ويتوصل الى الطابق العلوي من ثلاثة مسالك : الاول درج يقع في صدر الساحة في الركن الشمالي الغربي منها . والدرج الثاني يكون عن يمين الداخل ، اما الثالث فهو في الركن الجنوبي الغربي في مواجهة الدرج الاول . ويوجد في الطابق العلوي الغرف والبوائك التي اعدت للاقامة وخزن السلع ، وهي ذات ابواب مستطيلة باعتاب مستقيمة ، ويدور بهذا الطابق ممشى مكشوف يطوف بدائرة ويطل على ساحة الوكالة القائمة في الوسط ، وتتزود دار الوكالة بالمياه من بئر تقع في صدر ساحتها .

أما البوائك السفلية فهي قاعات كبيرة ضخمة واسعة ، تقوم على عدة عقود قائمة على دعامات مربعة الشكل ، ويشغل احدى هذه القاعات في الوقت الحاضر مصنع للنسيج . ويوجد مسجد صغير في الطابق العلوى يقع في الركن الشمالي الغربي ، وهو بحالة جيدة فقد رمم حديثا . وبنيت دار الوكالة بالحجارة المدقوقة المشهرة واستخدم الملاط في بنائها ، وأبواب قاعاتها وبوائكها السفلى واسعة ذات عقود مدببة ، ونمط بنائها وتوزيعها يشبه نمط بناء الخانات المملوكية الموجودة في منطقة شرقي الاردن كالحسا وضبعة(٢) .

وعلى العموم فدار الوكالة في حالة جسنة ، وتحتاج الى ترميم في بعض اجزائها وقاعاتها وغرفها . وقد رممت هذه الوكالة في سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ، ومرة اخرى في العصر العثماني سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) ، ويطلقون عليها الآن (الخان السلطاني) .

---

(١) سميت بطريق القرمي ، نسبة الى شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمي أحد الزهاد الورعين ، كان يسكن القدس وعرف بورعه وتلاوته للقرآن الكريم ، حتى انه ختم القرآن الكريم في اليوم والليلة ثماني مرات ، توفي في بيت المقدس سنة ٧٨٨ هـ .

(المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٥٥٧) .

(٢) للباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٢٠١ .

(٣)
المكاييل والأوزان

وأما المكاييل التي كانت مستخدمة في نيابة بيت المقدس فهي : الغرارة والغرارة تساوي ١٢ كيلا ، والكيل يعادل ٦ أمداد[١] . وكانت غرارة القدس تعادل ٣ غرائر دمشقية أي حوالي ٦١٣,٥ كغم قمح أو ما يعادل ٧٩٥ لترا[٢] . وذكرت المصادر ان بيت المقدس وعمان انفردتا (بالمدى)[٣] ، وهو غير (المد) وقد وقع فالتر هنتش في لبس فخلط بين المد والمدى[٤] . وكان مدى بيت المقدس يعادل $\frac{٢}{٣}$ القفيز ، والقفيز يعادل ٤ ويبات أو ٣٦ صاعا ، اذن فمدى القدس = ٢٤ صاعا = ١٠٠ لتر[٥] .

واستخدمت مدينة الرملة القفيز والويبة والمكوك والكيلجة ، فالويبة في الرملة تعادل $\frac{١}{٤}$ قفيز = ٣٧,٨ لترا ، اما المكوك فيعادل $\frac{١}{٢}$ القفيز ويساوي ١٩ لترا[٦] .

وشاع استخدام الرطل في اوزان نيابة بيت المقدس ، وذكرت المصادر الرطل المقدسي ، والرطل النابلسي ، والرطل الخليلي ، وجميع هذه الارطال كانت متساوية فالرطل في كل يعادل ٨٠٠ درهم ، اما الأوقية المقدسية والنابلسية والخليلية فكانت

---

(١) ابن الاخوة ، معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان ، القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٨٢,٥١ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ . والغرارة مد ونصف = ثلاثة ارادب مصرية . (صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١) . ويقول ابن قاضي شهبة ان غرارة القدس كانت تعادل غرارتين دمشقيتين (ابن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ١٩٧٧م ، ج ٣ ، ص ٥٨١) .

(٢) فالتر هنتش ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٧٠م ، ص ٦٤ .

(٣) المدى : مكيال استخدم في الشام وهو غير المد جمع امداد (محيط المحيط ، مادة مدى) .

(٤) فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٨١ . لي سترانج ، ص ٦٥ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٨١ ، فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٧٩ . وللباحث ، عمان حضارتها وتاريخها ، عما ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٩ . ولمزيد من التفاصيل عن الاوزان انظر : ابن سلام ، كتاب الاموال ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٦٨٨ — ٦٩٩ .

تساوي $\frac{٢}{٣}$ ٦٦ درهم = ٢٠٨,٣٣ غم ، اما رطل الرملة فكان يعادل ٧٣٢ درهما = ٢,٣٣١ كغم[١] . وكانت الارطال في بلاد الشام تختلف في وزنها من نيابة الى اخرى ، فرطل دمشق كان يعادل ٦٠٠ درهم = ١٢ اوقية والاوقية تعادل ٥٠ درهما = ١٥٤,١٦٦ غم . اما رطل غزة فهو ٧٢٠ درهما ورطل الكرك ٩٠٠ درهم ، اما رطل عجلون فيعادل ١٢٠٠ درهم[٢] . واستخدم الاهالي في القدس والخليل والرملة ونابلس القنطار ويساوي ١٠٠ رطل ، وكانوا يزنون به زيت الزيتون .

أما المقاييس فاستخدم في نيابة بيت المقدس ذراع القماش[٣] ، أو ذراع البز = ٦٤,٧٧ سم[٤] ، وكانت ذراع القماش الشامي تزيد عن ذراع القماش المصري بمقدار نصف سدس ذراع ، وتعادل ٦٣ سم . أما الدور فقد اشارت وثائق المتحف الاسلامي في بيت المقدس ان قياسها يتم بذراع العمل وتعادل ٧٩,٨ سم . فالوثيقة رقم ٧٧ ذكرت وقف عشرة حوانيت بسوق الليل معقودة بالحجر والجير ارتفاعها ستة اذرعها ستة اذرع بالعمل ، وقفت هذه الحوانيت على السقاية بالقدس ولمنفعة المسلمين[٥] ، واذراع العمل هذه طولها ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل[٦] .

---

(١) فالتر هنتش ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٢٠ ، ٣٣ .
(٢) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .
(٤) فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٥) وثيقة رقم ٧٧ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .
(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

(٤)
السكة

كانت المعاملات التجارية تتم في نيابة بيت المقدس عن طريق المقايضة أو بواسطة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية المسكوكة في دمشق أو القاهرة أو في انحاء اخرى من دولة المماليك[١] . وذكرت المصادر عن وجود دار السكة في بيت المقدس ، الا اننا لم نعثر على ما يشير الى استمرارها في اداء دورها في العصر المملوكي . فدار السكة في بيت المقدس واصلت ضرب السكة في العصر الاموي ، والذي وصلنا من ضرب بيت المقدس فلوس تحمل (ايليا) احدى اسماء بيت المقدس . ويحتفظ المتحف الاسلامي بالقدس بعدد من هذه الفلوس النحاسية التي تعتبر الانماط الاولى للسكة الاسلامية ، وقد ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عندما عرّب السكة . فالفلس رقم س $\frac{٥١}{٢٥٢}$ عليه صورة الخليفة عبد الملك يرتدي جبة طويلة ويغطي رأسه بكوفية تتدلى على كتفيه ، ويقبض بيده اليمنى على سيفه . وعن شمال صورة الخليفة هذه كلمة (محمود) ، وفي الجهة اليمنى من الصورة الى الاعلى كلمة (رسول الله) ، أما الظهر فعليه حرف (=) ومن اليمين (فلسطين) وعن شمالها (بالليا) وكذا الفلس رقم س $\frac{٨٥}{٢٥٢}$ يحمل نفس النقش .

وبعد ان الغي هذا النمط من السكة — الذي يحمل صورة الخليفة — لان الاسلام يقف موقفا سلبيا من التصوير ابطلت الصورة واكتفي بنقش بعض العبارات فقط . ومن انماط هذه السكة التي ضربت في بيت المقدس الفلس رقم ن ق $\frac{٩}{٢٥٠}$ الموجود في المتحف الاسلامي بالقدس والنقش الموجود عليه :

الوجه	الظهر
لا اله الا	محمد رسول الله
الله وحده	الاطار
(ضمن ثلاث دوائر)	(بسم الله ضرب هذا الفلس بايليا)

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

وهناك فلوس مشابهة لما سبق منها الفلس رقم س $\frac{٥٥}{٢٥٢}$ ، س $\frac{٢١}{٢٥٠}$ ، ويوجد فلوس مشابهة لهذه الفلوس محفوظة في بعض المتاحف ولدى المجموعات الخاصة[١] . ولم نعثر على سكة ضربت في بيت المقدس بعد العصر الاموي ، وعلى هذا النحو فان دار السكة بالقدس بطل استخدامها بعد سقوط الدولة الاموية في بلاد الشام .

أما دار السكة التي بقيت تؤدي دورها طيلة العصور الاسلامية الأخرى فهي دار سكة مدينة الرملة ، وكثيرا ما اشير اليها (بفلسطين) باعتبارها حاضرة فلسطين منذ عهد سليمان بن عبد الملك ، ودار سكتها ضربت الى جانب الفلوس -النحاسية الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية . وفي العادة فان سنة الضرب على الفلوس الاموية لم تكن موجودة ، الا ان المتحف الاسلامي بالقدس يحتفظ بفلس نادر عليه سنة الضرب ١١٧ هـ ويعود لعهد الخليفة هشام بن عبد الملك رقمه س $\frac{٧٣}{٢٥١}$ ، والنقش كما يلي :

الوجه	الظهر
لا اله الا	محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	الله

ضرب هذا الفلس بالرملة سنة سبع عشرة ومئة .

وفي اطار الوجه يوجد غصن نخيل بشكل سلسلة مجدولة ، أما اطار الظهر فعليه مكان وسنة الضرب[٢] .

وقد استمرت دار السكة في مدينة الرملة تؤدي وظيفتها في ضرب السكة الذهبية والفضية في العصور الاسلامية المختلفة . وهناك مجموعات من سكة الرملة ذهبية وفضية محفوظة في المتاحف العالمية المختلفة وفي المجموعات الشخصية . وقد اورد الاستاذ سمير شما احصائية لمعظمها واكثرها ذكر فيه مكان الضرب (فلسطين) ، وفلسطين كانت تعني اذ

---

(١) سمير شما ، النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، ١٩٨٠م ، ص ٨٠ .

(٢) هناك ثلاثة فلوس اخرى ضرب الرملة عليها تاريخ : ١٠١ هـ ، ١١٦ هـ ، ١٠١ هـ ، في المتحف البريطاني والمكتبة الاهلية في باريس . (انظر : سمير شما ، النقود الاسلامية ، ص ٨١) .

ذاك الرملة[1] . والظاهر ان دار السكة في الرملة توقفت بعد استيلاء الفرنج عليها في الحملة الصليبية الاولى سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) ، وبقيت بيد الفرنج حتى حررها صلاح الدين مع بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)[2] . أما العصر المملوكي فلا يوجد لدينا ما يثبت ضرب السكة في الرملة ، فمعظم السكة كانت تضرب في دمشق والقاهرة والاسكندرية ، وقد اشار القلقشندي الى ان المعاملة في نيابة بيت المقدس تتم بالذهب والفضة والفلوس على نحو ما يتم في نيابة دمشق[3] .

وقد تعامل الناس في العصر المملوكي بثلاثة أصناف من الذهب ، فالأول هو الذهب الهرجه ، وهذا الصنف هو الذهب الإسلامي الخالص ، وهو مستدير الشكل نقش على الوجه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وعلى الظهر : اسم السلطان وتاريخ الضرب ومدينة الضرب[4] . أما الصنف الثاني فهو الذهب الا فرنتي والافلوري والبندقي والدوكات ، وهذه الدنانير كانت تجلب من بلاد الافرنج ، فالافرنتي نسبة الى فرنسا ، والافلوري نسبة الى فلورنسا ، أما البندقي والدوكات فترجع في نسبتها الى البندقية ، فحاكم البندقية يدعى دوقاً ومن هنا جاءت النسبة للدوكات . ويشير المقريزي أن هذا الصنف من الدنانير صار نقداً رائجاً في الدولة المملوكية منذ سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) ويذكر أن على وجه هذه الدنانير يوجد صورة إنسان في دائرة مكتوبة بخطهم ، أما الظهر فعليه صورتان في دائرة مكتوبة[5] . ويفسر القلقشندي هذه الصور فيذكر أن الصورة الأولى هي صورة الملك الذي ضربت السكة في عهده ، أما الصورتان اللتان على الظهر فهما لبطرس وبولس الحواريين[6] . وقد أشارت المصادر الى وجود (الدنانير

(١) انظر سمير شما ، النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، ص ٩١ — ١٥٩ .

(٢) ولدى تحفظ على ما أورده الاستاذ سمير شما في كتابه (النقود الاسلامية ص ١٥٩) عن فلس نحاسي ضرب في الرملة في العصر الايوبي سنة ٥٨٠ هـ ، وهذا الفلس من مجموعة أحمد توحيد ومحتفظ به متحف الآثار باستنبول . فالرملة في هذا التاريخ كانت تحت السيطرة الصليبية ، فلم تتحرر الرملة الا سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، بعد معركة حطين ، لذا فان اعادة التدقيق والتأكيد من تاريخ الفلس امر ضروري .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٤ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٥ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٣٧ .

المصورة) في بيت المقدس[1] ، وهذه الدنانير هي التي أشرنا إليها سابقاً ، وكان التداول بها مسموحاً في العصر المملوكي . ومصدرها من الدويلات الاوروبية يحضرها الحجاج أو تصل الى القدس عن طريق المبادلات التجارية التي كانت تتم بين بيت المقدس وأوروبا عبر ميناء يافا على ساحل البحر المتوسط[2] . وقد أقيمت المصارف لخدمة التجار الايطاليين ، فكان لكل دولة مصرف أو بنك Banque لخدمة مصالحهم وتسهيل صفقاتهم التجارية مثل : جنوا وفينيسيا ، وفلورنسا ، وبيزا[3] . أما الصنف الثالث من الذهب الذي تعامل به الناس في العصر المملوكي فهو ذهب أقل في عياره من الصنف الاول ، وفي سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) سموه (الذهب الناصري) نسبة الى السلطان الناصر فرج[4] .

وجرت العادة أيضاً أن يتعامل الناس في بلاد الشام بالفلوس والقراطيس ، أما القرطيس فيعادل ستة فلوس ، أما الدرهم فيعادل ٢٤ قرطيسا ، وقد أبطل الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) التعامل بتلك القراطيس في بلاد الشام ، وجعل التعامل بالفلوس فقط ، بحيث يساوي الدرهم ٢٤ فلساً[5] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٥ .

(٢) (٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

(٣) Rey, Les Colonies Franques, p. 192.

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٦ .

(٥) ابن بهادر ، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، لوحة ٥٢٣ (مخطوط) .

(٥)
الموارد المالية في النيابة

وما دمنا بصدد الحديث عن الحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس فلا بد أن ننوّه بموارد النيابة المالية ، فالمعروف أن النيابات في بلاد الشام كانت ترسل قسماً من دخلها الى السلطان في القاهرة . ونيابة بيت المقدس كانت ترسل قسماً من مواردها الى السلطان ، ففي دولة المماليك الثانية (الجراكسة) كان المتحصل من جبل نابلس والقدس من زيت الزيتون كميات كبيرة . وكان السلطان في القاهرة يفرض هذا الزيت على التجار والأهالي في القدس والخليل والرملة بأسعار عالية[١] ، وكان بعض النواب يفرضون الأموال على أهالي القدس بالقوة ، ففي سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م) قرر نائبها الأمير حسن على الناس مالاً كثيراً ، فأبوا دفعه ، فقاتلهم في المسجد الأقصى وحصّل منهم الأموال بعد أن قتل بضعة عشر رجلا[٢] . أما أهم الموارد المالية للنيابة فتتمثل بما يلي :

١ ـــ المكوس :

وهي ضريبة كانت تحصلها نيابة بيت المقدس على التجارة والصناعة ، وخصوصاً على السلع المجلوبة الى دار الوكالة في بيت المقدس ، وقد عين شاد دار الوكالة ليجمع هذه الضريبة من التجار والبضائع المباعة في دار الوكالة ، وكان المكوس يفرض على السلع القادمة من البحر الى ميناء يافا أو المصدرة منه ، فيؤخذ من أولئك التجار العشر مع لواحق أخرى[٣] ، وفي أحيان كان يؤخذ الخمس وربما زاد على ذلك[٤] . وكان هناك مكس الغلة ، فيؤخذ من ثمن كل غرارة ثلاثة دراهم ونصف فضة ، وكان المتحصل منها مبلغاً كبيراً ، فسبب ضيقاً للفلاحين . عندئذ عمد الناصر محمد بن قلاوون الى أبطال

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١١٥٣ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٥٩ .

مكوس الغلة بالشام كلها[1]. ويؤخذ المكوس من البضائع والسلع الواردة الى أسواق القدس والخليل الداخلية والخارجة . ونعتت المصادر هذه الضرائب الإضافية بالمظالم ، وكثيراً ما ألغى السلاطين هذه المظالم ، فالسلطان الأشرف قايتباي الغي المظالم في جبل القدس والخليل والمكوس المفروضة على البضائع المجلوبة اليهما ونقش ذلك على رخامة يحتفظ بها المتحف الاسلامي في القدس تحت رقم م ز ٢٢ هذا نصه :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم برسم مولانا السلطان المالك الملك .
٢ — الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بإبطال ما أحدث .
٣ — من المظالم بجبل القدس الشريف وجبل الخليل عليه السلام من الإقامة وما علي .
٤ — البضائع المجلوبة الى بلد سيدنا الخليل من المكي المسمى .
٥ — بالطعم وغيرها وان لا يتعرض المحتسب ولا غيره ببلد الخليل لشيء .
٦ — من ذلك في تاسع عشر المحرم سنة أحد وثمانين وثمانمائة .

٢ — الخراج :

ويدعى المال الخراجي ، ويحصل من الاراضي المرصدة للزراعة بأنواعها ، ومن كروم العنب والزيتون والنيلة والأرز والكبريت ، ومن الطواحين التي تدور أحجارها بمياه السيول . وكذلك ما يستأدي من الفلاحين ، وكان يسمى في بلاد الشام في العصر المملوكي (رسم الاعيادوالخميس) ، ويتكون من أغنام ودجاج وكشك وبيض ، ويكون على النواحي الاقطاعية غالباً[2] . وكان المتبع في بلاد الشام أن يتم تحصيل الخراج بعد تمام المحصول ، فان كانت حبوباً يخرج المباشرون الى البيادر ويحصلون ما يخص الديوان من الخراج . وكان شيوخ القرية وفلاحوها يعرفون عدد الافدنة في قراهم ، ولدى ديوان الأمير المقطع سجلات بعدد الافدنة ومتحصلها ، وعلى المقوّم تقع مهمة تقدير ما يجب تحصيله لبيت المال[3]. ويحدث الشيء نفسه لموسم الزيتون فيحضر المباشرون الى المعاصر ويستوفون حقوق السلطان ، ثم يعهد السلطان الى نائب بيت

(١) ابن بهادر ، فتوح النصر ، لوحة ٥٣٢ (مخطوط) .
(٢) النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ ص ٢٤٥ .
(٣) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٨ .

المقدس بيع المتحصل وإرسال ثمنه الى القاهرة ، واذا كانت مزارع الزيتون قديمة (رومي) فيحصل $\frac{1}{2}$ محصولة للدولة ، وان كانت أشجار الزيتون إسلامية فيحصل منها ضريبة الخراج على أساس عدد الأشجار وسعر الزيت ، وكان يطلق عليه (محصول الزيتون الإسلامي)[١] . ويحدث مثل ذلك الى الخروب والسماق والجوز واللوزّ والأرز ، والكروم والبساتين والمقاثي ويسمى (خراج العين)[٢] .

وجرت العادة أن تكون هناك جهات مضمنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل دون توكيل أو مقاسمة[٣] . أما السكر فتؤخذ الضريبة منه بعد تمام عصر القصب وجفافه ، وكان المباشرون يراقبون عملية استخراج السكر ويسجلون ذلك في سجلات خاصة ، وبعد تمام جفافه ونقائه يأخذون الضريبة المستحقة عليه[٤] . وكان نائب بيت المقدس يجبي من فلاحي الضياع في نيابته أربعة آلاف دينار سنوياً ، فخرج مرسوم سلطاني سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) أبطل هذه المغارم ، ونقش هذا الامر على لوح رخامي أثبت في جدران المسجد الأقصى[٥] .

٣ ــ الجوالي :

هي ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة ، وبلغت قيمة ما يؤديه الفرد في العصر المملوكي مبلغا يتراوح بين ٢٥ ــ ١٠ دراهم سنويا ، تحصل في شهر رمضان ، ويحمل قدر معين منها الى بيت المال . ويقوم نائب بيت المقدس بتحصيل ذلك[٦] ، من النصارى واليهود في نيابته والسامرة في نابلس . وكان يعين شاد لجمع الجوالي ، ويلزم مباشر الجوالي في كل سنة رئيس اليهود ، ورئيس السامرة ، وبطرك

---

(١) Hütteroth, op cit., pp. 66, 69.

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) النويري ، المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٢٦٠ .

(٤) النويري ، المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨٤ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشر ، ج ٣ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

النصارى أو اسقفهم بكتابة رقاع فيها اسماء طائفته ، ويسجل فيها ايضا ما يستجد على تلك الطائفة بالطوارىء والنوابت والموت وغيره[1] .

وكانت الجوالي المحصلة من بعض القرى في منطقة القدس والخليل تخصص أحيانا لاحد امراء المماليك في دمشق ، فالجوالي المحصلة من قرية (مجدل فضيل) بمنطقة الخليل كانت ترسل للامير سعد الدين مسعود بن محمد السراي أحد امراء العشرات في دمشق . انتزع هذا الحق من خدام الحرم الشريف بالقدس ، ولكن الناصر محمد بن قلاوون اصدر مرسوما في سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ابطل هذا الاجراء ، واعاد المتحصل من جوالي قرية مجدل فضيل الى خدام الحرم الشريف بالقدس[٢] .

واعتاد بعض النواب جمع ضريبة اخرى من أهل الذمة من القدس عند قدوم خلعة السلطان أو تعيين نائب جديد . ولكن السلطان جقمق ابطل هذه الضريبة واصدر مرسوما بذلك سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) نقشه على لوحة رخامية اثبتها في الحرم الشريف . وقد وصل الينا هذا النقش المكون من خمسة اسطر ويحتفظ به المتحف الاسلامي بالقدس تحت رقم م ز ١٦ نصه :

١ — برز المرسوم الشريف السلطان المالكي الظاهري أبو سعيد جقمق .
٢ — عز نصره بأن يبطل ما على الذمة بالقدس الشريف من الخدمة والقدوم عند
٣ — حضور النائب الجديد من عند (البابن) خلعة وان لا يكلفوا الجزية
٤ — الشرعية ومنع التقدمة (من السلاطين) من التعرض لهم وان يكون
٥ — ناظر الحرمين الشريفين متكلما عليهم بتاريخ شهر جمادي الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثمان ماية .

والظاهر ان نصارى بيت المقدس نالوا حظوة خاصة لدى السلطان جقمق ، ففي السنة التالية ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) اصدر مرسوما نقشه على قطعة من الرخام ابطل فيه الضمان الذي كان يؤخذ من رهبان دير الارمن بالقدس ونص المرسوم :

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وانظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣١٠ عن مباشر الجوالي في دمشق .
القوارىء : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه .
النوابت : أي النشيء الصغار عندما يصلون سن البلوغ .

(٢) وثيقة رقم ٦ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس . وانظر نص المرسوم في الملاحق .

برز مرسوم مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد محمد جقمق عز نصره بابطال ما احدثه أبو الخير ابن النحاس من ضمان مار يعقوب دير الارمن بالقدس الشريف على ما رده (؟) سيف الدين المقر الشرقي الانصاري وسأل في ابطال ذلك ليسطر في الصحائف الشريفة بتاريخ اربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة الشريفة ملعون ابن ملعون وعليه لعنة الله تعالى من احدث ضمانا ، أو جدد مظلمة[1] .

٤ ــ الرسوم المفروضة على الفرنج (الحجاج) :

كانت حركة السياحة وزيارة الاماكن المقدسة في نيابة بيت المقدس سهلة وميسرة للفرنج ، فينزل الزائرون والحجاج القادمون من اوروبا في ميناء يافا بندر بيت المقدس على البحر المتوسط . ويقدم لهم النائب كل التسهيلات الممكنة ، ويعين عددا من الجند لحمايتهم وايصالهم الى بيت المقدس عن طريق الرملة . وبالمقابل كانت الدولة المملوكية تستوفي رسوما خاصة منهم ، يدفعونها حال نزولهم الى البر[2] . وكان السلطان يرتب شخصا من قبله لجمع هذه الضريبة ، فقد تولاها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) شرف الدين قاسم ، وبهاء الدين أبو بكر بن غانم ، وتم ذلك بتوقيع شريف سلطاني من القاهرة[3] ، ولكن المصادر لم تذكر قيمة ما يحصل من كل حاج .

---

(١) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), pp. 332-333. ورد في النقش اسم أبو الخير ابن النحاس ، وهو وكيل بيت المال في القاهرة ، قال ابو المحاسن انه شخص من الباعة . عينه السلطان جقمق سنة ٨٥١ هـ في هذا المنصب وهو الذي احدث هذه الضريبة على رهبان دير الارمن بالقدس . (النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٣٧٥) .

(٢) ذكر الرحالة الذين زاروا القدس في القرن الخامس عشر الميلادي هذه الضريبة . انظر : نقولا زيادة . رحلة فيلكس فابرى ، بحث القي في مؤتمر بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٨ .

ومحمود زايد ، دراسة للتقسيمات الادارية في فلسطين ، بحث القمي في مؤتمر بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م ؛ ص ٧ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ص ٤٦ ، ٤٧ .

راجع نص التوقيعين في الملاحق .

٥ — متحصل كنيسة القيامة :

وتؤخذ هذه الضريبة من الزائرين لكنيسة القيامة ومن القاطنين فيها من رجال الدين ، وعين لها موظف خاص سمي (شاد متحصل قمامة) ، وكان يتولاها بتوقيع خاص من السلطان في القاهرة[١] . وقد اورد القلقشندي صورة هذا التوقيع ، يطلب السلطان من متوليها استعمال الشدة واللين والدقة في جمع هذه الضريبة ، والرأفة بالضعفاء وغير القادرين من القسس والرهبان . وكانت هذه الضريبة تؤخذ على الرأس ، وهي تختلف عن الرسوم المفروضة على الحجاج القادمين لزيارة القدس عن طريق يافا وغيرها . وكان جزء من متحصل الكنيسة يرصد للانفاق على بناء القلاع والمهمات الاخرى ، ففي سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) خصص نصف متحصل كنيسة القيامة لاعمار قلعة دمشق[٢] .

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٣٦ ، وانظر نص التوقيع في الملاحق .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١٠٦٦ .

(٦)
الأوقاف

الوقف لغة الحبس ، ويقصد به تلك الاراضي والمنشآت التي يخصصها المسلمون لاغراض دينية أو للمجاهدين والفقراء ، أو لليتامى وفك رقاب العبيد ، واما لبناء المساجد والحصون والبيمارستانات والمدارس والزوايا والاربطة والخانات أو لغيرها من المنافع العامة[1] . والاوقاف خاصة ورسمية ، فالخاصة يوقفها بعض الاتقياء والامراء والاغنياء وربما بعض العامة . والرسمي يكون من قبل الخليفة أو السلطان أو الحاكم للنفقة على بعض المنشآت الدينية والاجتماعية العامة[2] .

ووجد في نيابة بيت المقدس العديد من المؤسسات العامة ، فالمسجد الاقصى وقبة الصخرة والمدارس الكثيرة ، والخانقاوات والاربطة ، والحرم الابراهيمي في الخليل والمؤسسات الاخرى في نابلس والرملة ، كل تلك المنشآت وقف عليها المسلمون الاوقاف العديدة في مصر والشام . وكان ريع تلك الاوقاف يرصد للنفقة على تلك المؤسسات ، وشكل هذا دخلا جيدا لنيابة بيت المقدس . وعين لكل وقف ناظر يشرف على شؤون وقفه ، فناظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل كان من مهامه الاشراف على اوقاف الحرمين من نفقة وترميم وتعمير واصلاح .

ونصت الوثائق على وقف العديد من دور بيت المقدس على مصالح المسجد الاقصى أو الخانقاه الصلاحية ، أو البيمارستان الصلاحي . ولدينا في المتحف الاسلامي في بيت المقدس ٧٥٠ وثيقة معظمها وقفيات وقفها اصحابها على المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية في بيت المقدس والخليل . من ذلك الوثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨ هـ واقفها جعفر بن محمد بن أبي بكر من القدس الشريف ، وقف عمارة الدار الكائنة بالقدس بخط

---

(١) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٦م ص ٨ .

(٢) محمد عبيد الكبيسي ، احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ١ ص ٣٨ ، وللباحث ، القرية الاردنية الفلسطينية في العصر المملوكي في ضوء وقفية قرية آدر ، بحث قدم للمؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره ، اكسفورد ، ١٩٨٠م ، ص ١٤ .

باب العامود بعد مماته على مصالح البيمارستان الصلاحي في بيت المقدس ، ونصت الوثيقة (بأنه وقف صحيح شرعي مؤبد . وحبس دائم محلل لا يباع ولا يوهب ولا يملك ما دامت الارض والسماوات)[1] .

أما الوثيقة رقم ٥٤ تاريخ ٧٨٣ هـ فواقفها جمال بن عبدالله . وقف داره الكائنة في القدس على الخانقاه الصلاحية ، يصرف ريعها على الفقراء المقيمين بها والواردين اليها وقفا صحيحا مؤبدا ، على الاّ تباع أو توهب ولا ترهن[2] .

ونصت الوثيقة رقم ٤٣ على وقف (خان العناية) الكائن بباب حطة على المدرسة الصلاحية في القدس[3] . ومن الاوقاف الهامة التي وقفت على مصالح المسجد الاقصى (دار الوكالة) التي كانت تؤجر بمبلغ ٤٠٠ دينار سنويا تورّد الى ناظر الحرمين بالقدس[4] .

وهناك المئات من الوقوف في القدس والخليل حبست لمصالح المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية السالفة الذكر . من ذلك سوق العطارين ، وقفه صلاح الدين على شؤون المدرسة الصلاحية ، وسوق الخضروات وسوق القماش الواقعة قرب باب الخليل ، وقفها صلاح الدين الايوبي على مصالح المسجد الاقصى . ومنها الوقف الذي وقفه الامير عبدالله بن عبد ربه بن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي على الخانقاة الدويدارية في القدس سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ، وشمل هذا الوقف اماكن متعددة في فلسطين والشام ، منها قرية بير نبالا[5] ، وقرية حجلا من اعمال اريحا ، ودار ومصبنة وستة حوانيت ، ووراقة وحمّام الملكة في مدينة نابلس ، وثلاثة بساتين ، وثلاثة حوانيت في بيسان ، وقرية طبرس من اعمال قاقون[6] . وفي سنة ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) وقف السلطان حسام الدين لا جين ضيعة الاقسّا من عمل يافا والرملة على مصالح جامع ابن طولون في القاهرة ، وقد استثنى من هذا الوقف المسجد والطريق والمقبرة[7] . ولم تكن

---

(١) وثيقة رقم ٢٠ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٢) وثيقة رقم ٥٤ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٣) وثيقة رقم ٤٣ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .
(٥) وتسمى الآن (بير نبالا) وهي قرب القبيبة .
(٦) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), p. 214.
(٧) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٣١ .

الاوقاف محصورة في القدس بل نصت الوثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ على وقف احدى القرى في معاملة القدس يصرف ريعها في جامكية (راتب) الخطيب والمؤذن ومصالح السقاية في القدس الشريف[١] . ونصت الوثيقة رقم ٥٠ على وقف احكار على الحرم الخليلي[٢] . أما ألوثيقة رقم ٧٧ فنصت على وقف عشرة حوانيت في سوق الليل معقودة بالحجر والجير ارتفاعها سنة اذرع بالعمل ، ومعها بئر ماء عمقها اربعون ذراعا ، وقفت على السقاية بالقدس ولمنفعة المسلمين[٣] . ونصت وثيقة اخرى مؤرخة في سنة ٧٥٢ هـ على وقف الحانوتين الكائنين بطريق الوكالة على مصالح الرباط الركني الصلاحي .

ولم تكن الاوقاف حكراً على المؤسسات الدينية الإسلامية ، بل وجدت أوقاف للنصارى وقفوها على كنيسة القيامة أو البطركية ، فالوثيقة رقم ٤٦ هو سند إيجار تاريخه ١٩ محرم ٧٤٧هـ ، استأجر بموجبه الشقيقان داود بن نصر وأحمد بن نصر (حمام البطريرك) في القدس الشريف ، من أوقاف البطركية المقدسية ، بإيجار قدره ١٣ درهم فضة نقرة يومياً ، عشرة دراهم أجرة الحمام وثلاثة لتنظيفه . واستلم المؤجر منهم سلفاً مبلغ ٣٠٠ درهم أجرة شهر كامل ، ونصت وثيقة الإيجار أن على المستأجر نزح البركة من المياه[٤] . وذكر مجير الدين الحنبلي أن اليهود امتلكوا كنيسا في القدس وأوقافاً خاصة بهم[٥] .

ومن الطريف أن هناك وثيقة رقم ٨٤ وقف صاحبها ممتلكاته على مصالح المسلمين ، وهي ممتلكات بسيطة تشتمل على كمية من البرغل ، وطراحة بوجه قدسي ، وبساط ، وعسلية بها قمح ، وكوز من شحم مذاب[٦] .

والوقف في الإسلام أدى خدمات دينية وإنسانية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية كبيرة ، وهو أسمى ما وصل إليه المجتمع الإنساني من تعاون وتآلف وتحابب . فمن جملة الأوقاف ذات النفع العام ، ما ذكره ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري ، فذكر أن الأوقاف

---

(١) وثيقة رقم ٢٢ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٢) وثيقة رقم ٥٠ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
(٣) وثيقة رقم ٧٧ من وثائق التحف الاسلامي في القدس .
(٤) وثيقة رقم ٤٦ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠١ .
(٦) وثيقة رقم ٨٤ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

بدمشق لا تحصر أنواعها منها : (أوقاف على العاجزين عن الحج) ، تصرف لمن يحج عن هؤلاء لمن يحج عن هؤلاء العاجزين . ثم (أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن) ، يرصد ريعها للفتيات اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن للزواج ، ومنها (أوقاف لابناء السبيل) ، وهم المنقطعون عن بلادهم ، فيعطون ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم . ومنها (أوقاف على تعديل الطريق ورصفها) ، ترصد لرصف أزقة وشوارع مدينة دمشق حتى يسهل السير والمرور فيها[1] .

ومن الأوقاف الجديرة بالاهتمام ما سمي بدمشق (أوقاف الأواني) ، فذكر ابن بطوطة أنه شاهد مملوكاً سقط من يده صحفة من الفخار الصيني ، فجمع شقفها وحملها لصاحب أوقاف الأواني ، فدفع الناظر له ما اشترى به مثل ذلك الصحن (وهذا من أحسن الأفعال فان سيد الغلام لا بد له أن يضربه عن كسر الصحن أو ينهره ، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب)[2] .

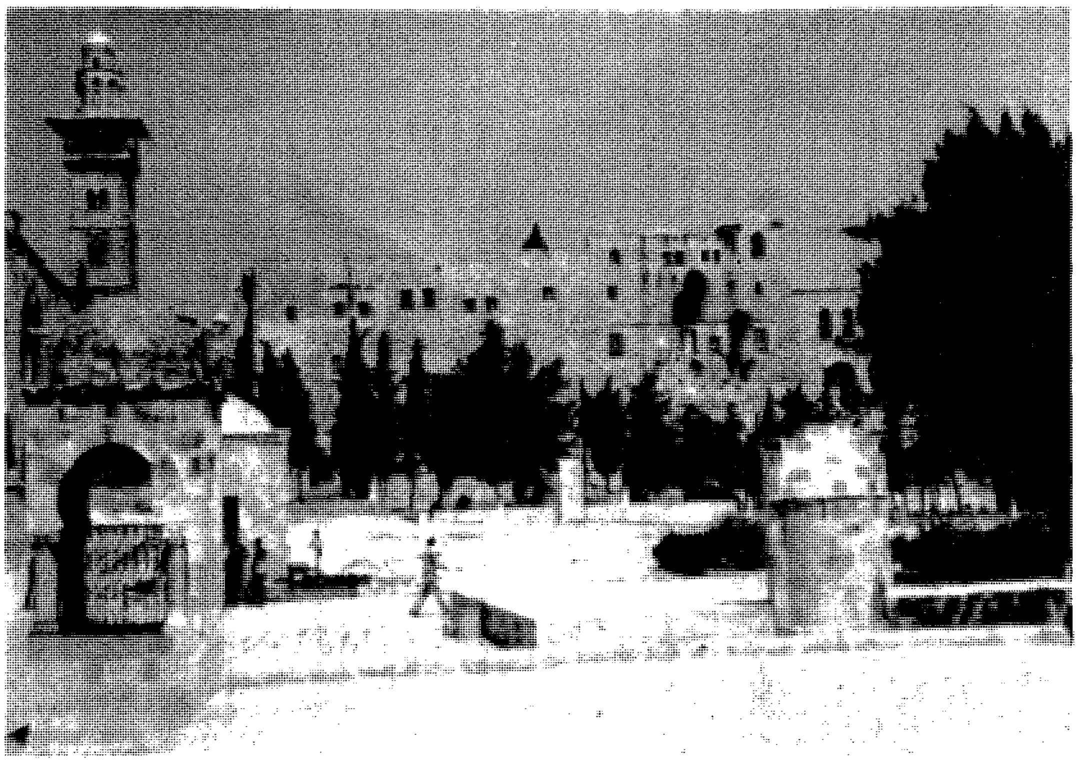
وحظيت الأوقاف في بيت المقدس باهتمام السلاطين المماليك ، فعينوا من يشرف عليها ويعمرها ويحميها ، فالظاهر بيبرس عند زيارته للقدس سنة (٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) كشف أحوال البلد وما يحتاج اليه المسجد الأقصى من العمارة . ثم نظر في الأوقاف ، وكتب بحمايتها ، ورتب خمسة آلاف درهم ، تصرف سنوياً برسم مصالح المسجد الأقصى[3] . ووقف عدة قرى بأعمال الشام والقدس ، يصرف ريعها في ثمن خبز ونعال لمن يرد الى القدس من المشاة . ثم بنى خانا خارج القدس وقفه لخدمة المسافرين والزائرين الى المدينة المقدسة[4] ، وأعاد ترتيب السماط بمدينة الخليل ، لإطعام زوار الحرم الخليلي[5] . أما في سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) فقد زار السلطان فرج بن برقوق بيت المقدس وتصدق بخمسة آلاف دينار ذهباً ، وبعشرين ألف درهم فضة على الأهالي والأوقاف[6] .

---

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩٩ .
(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٠٠ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .
(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٢١ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ ؛
ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٤ .
(٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٠٨ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٨٩ .

وجرت العادة أن يرسل السلطان كاشفاً لينظر في أحوال أوقاف بيت المقدس ، وكان نظار تلك الأوقاف يجمعون له مبلغاً من المال ، فبلغ هذا المبلغ في سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) ١٢٠٠ دينار فجمعوا من أوقاف المسلمين ٩٠٠ دينار ، و ٣٠٠ دينار من أوقاف أهل الذمة(١) .

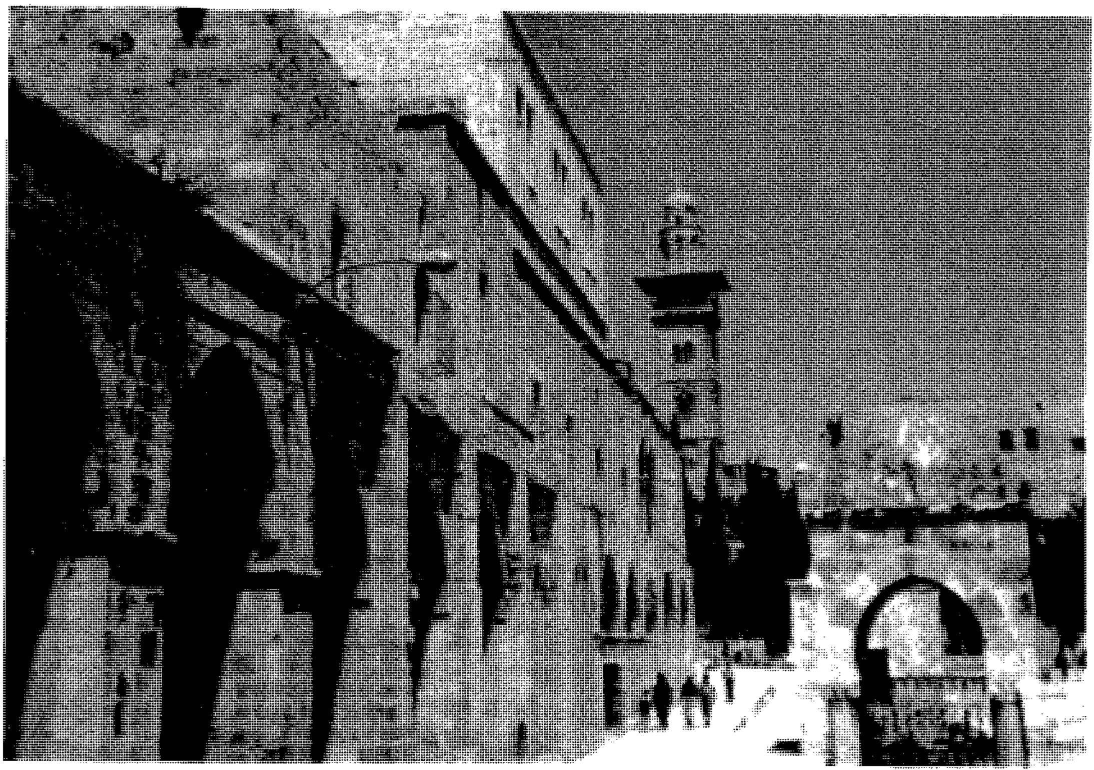
(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٨ وأنظر ص ٨٦٤ .



منظر لواجهة المدرسة الجاولية من الجهة الجنوبية



الساحة الداخلية في المدرسة الجاولية



منظر المدرسة الأشرفية من الواجهة الشرقية



المدرسة الأشرفية من الواجهة الشرقية



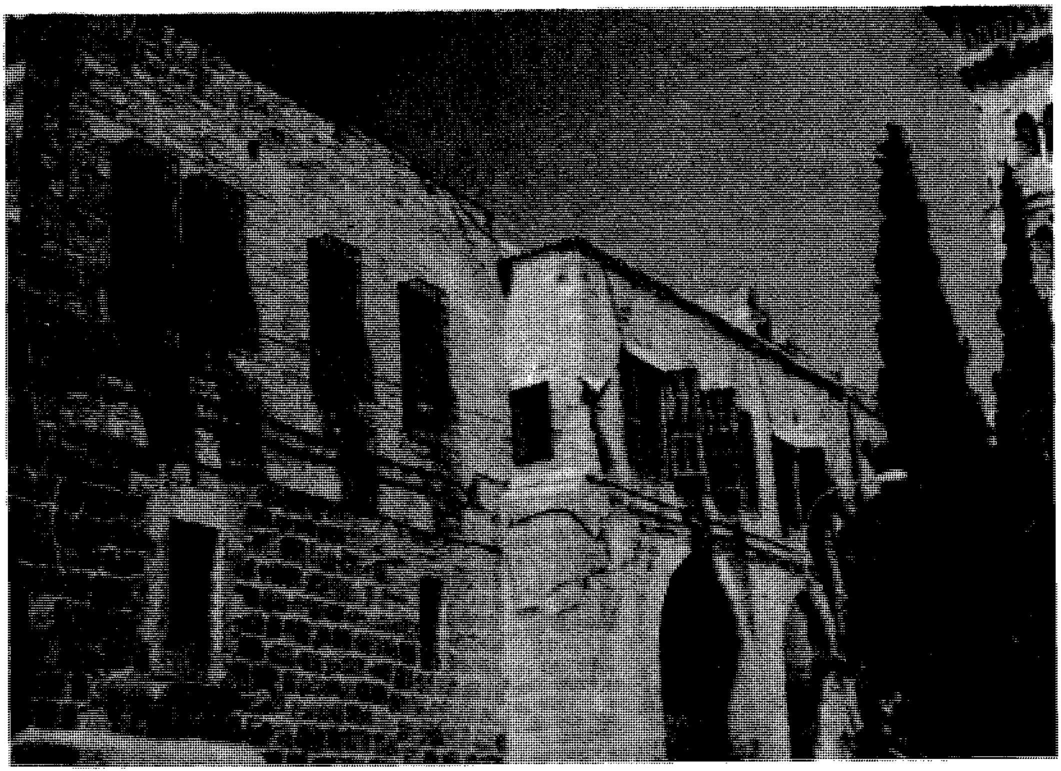
الخان السلطاني



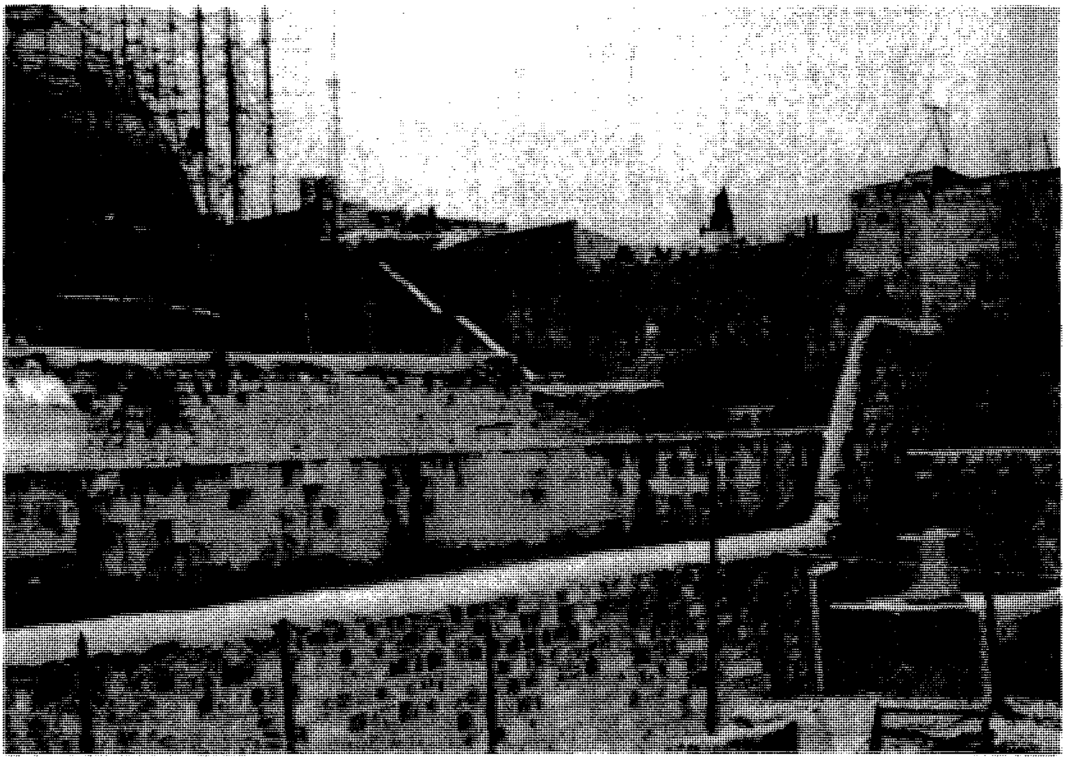
الخان السلطاني



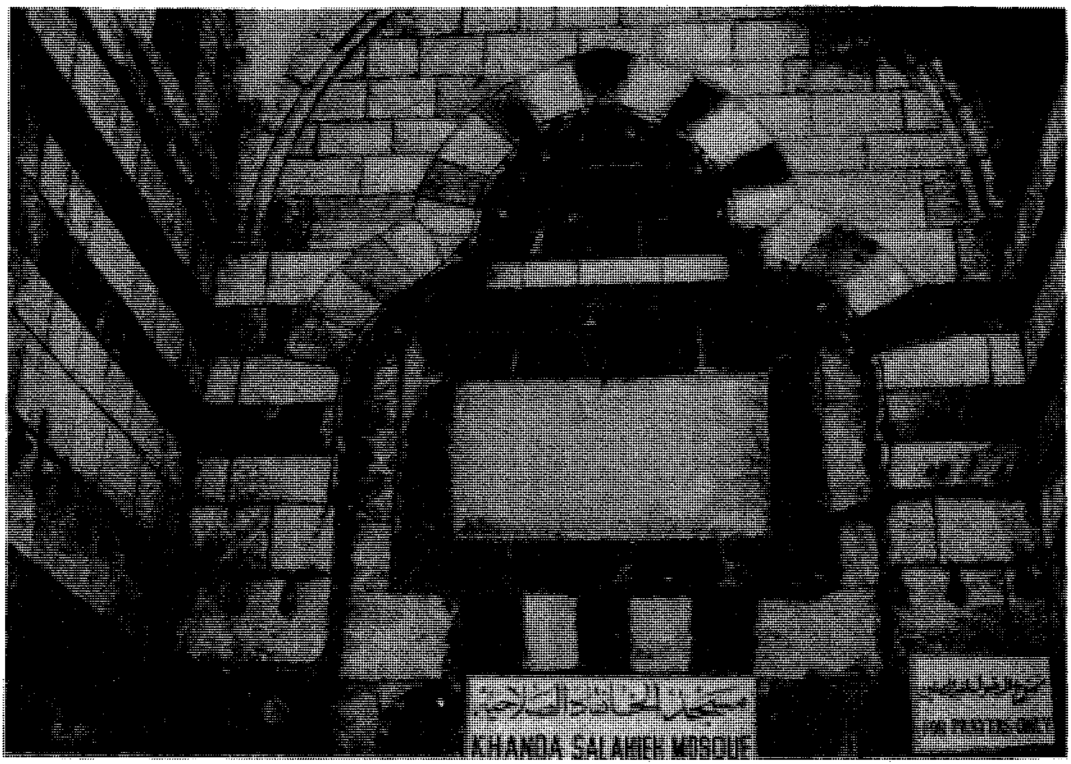
منارة الغوانمه وجزء من المدرسة الجاولية . ــ باب الغوانمه ثم المدرسة المنجكية والمدرسة الحسنية .



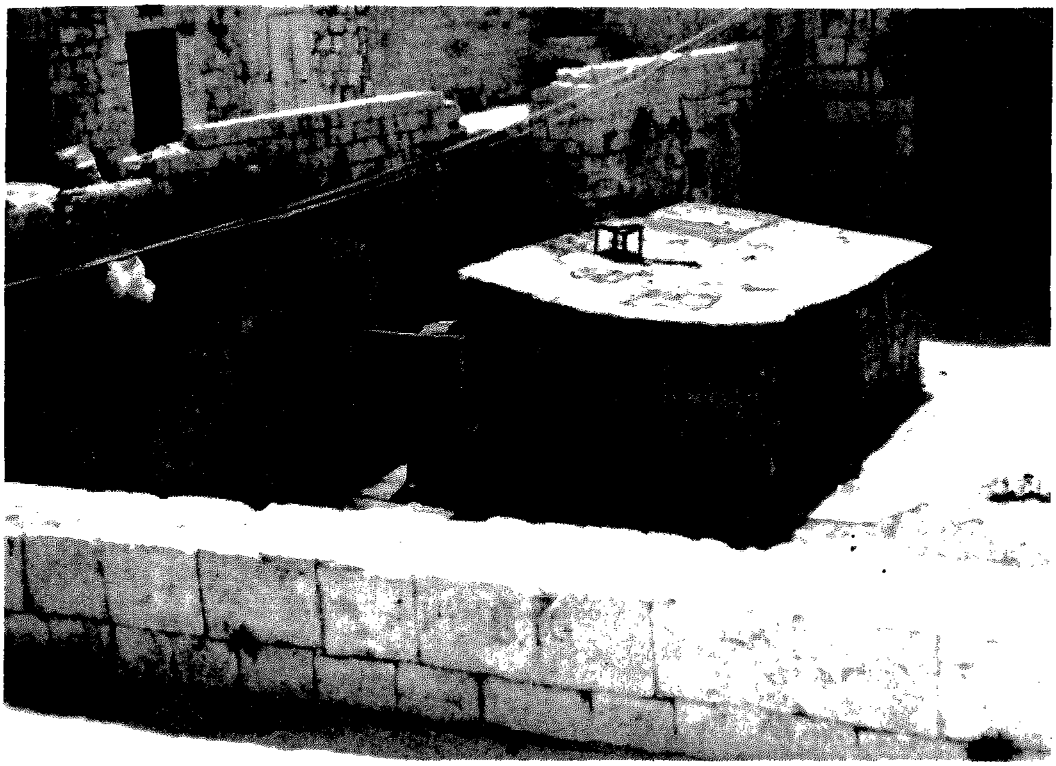
المدرسة المنجكية والمدرسة الحسنية



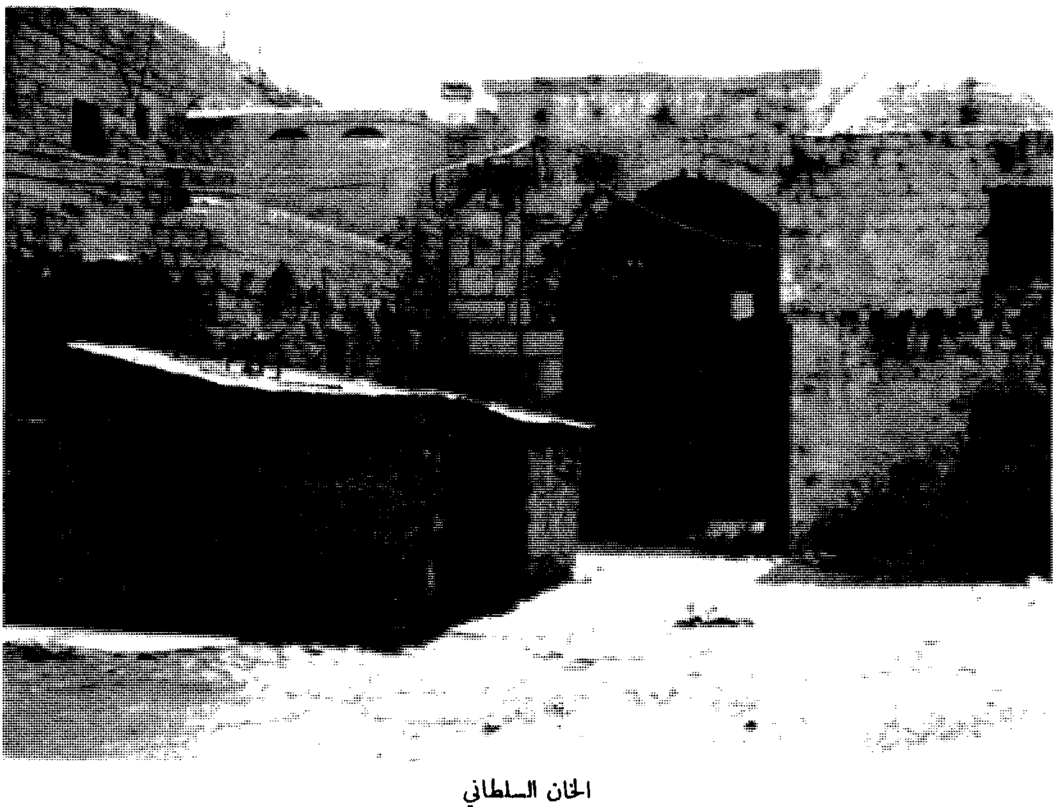
منظر يوضح الجدار الفاصل بين الخانقاة الصلاحية وكنيسة القيامة حيث تظهر قبة كنيسة القيامة



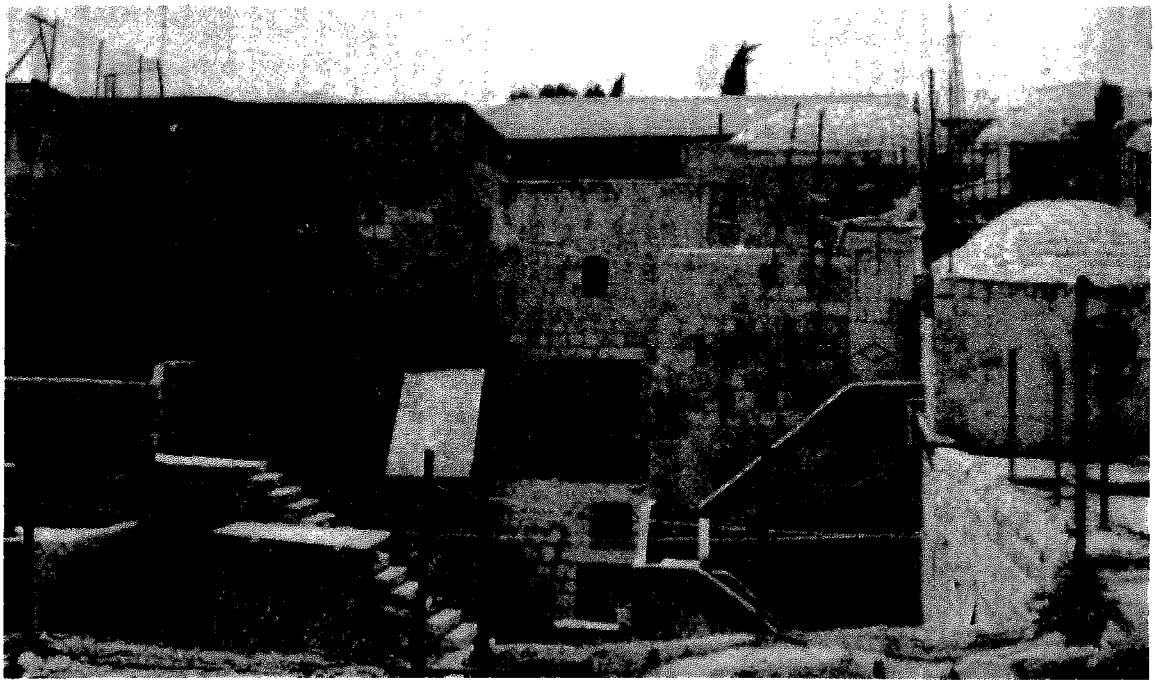
الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية



ساحة الخان السلطاني



الخان السلطاني



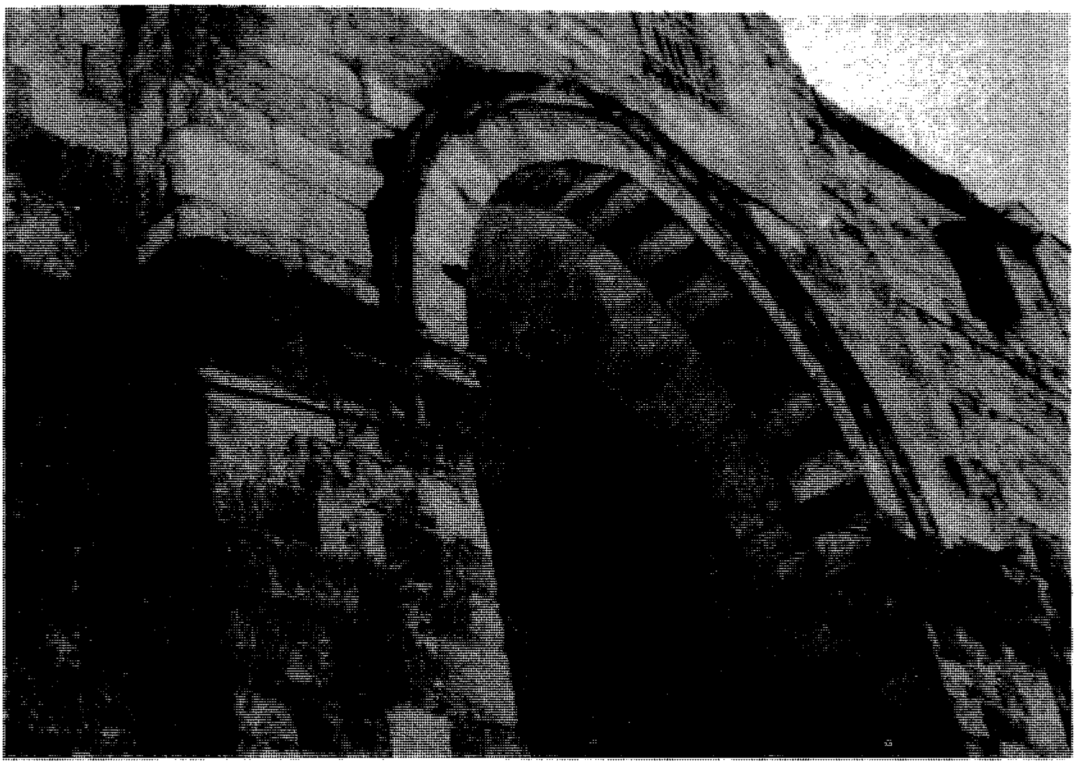
منظر الخانقاة الصلاحية مأخوذ من الجهة الشرقية (اي الواجهة الشرقية)



الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية - جهة الشرق



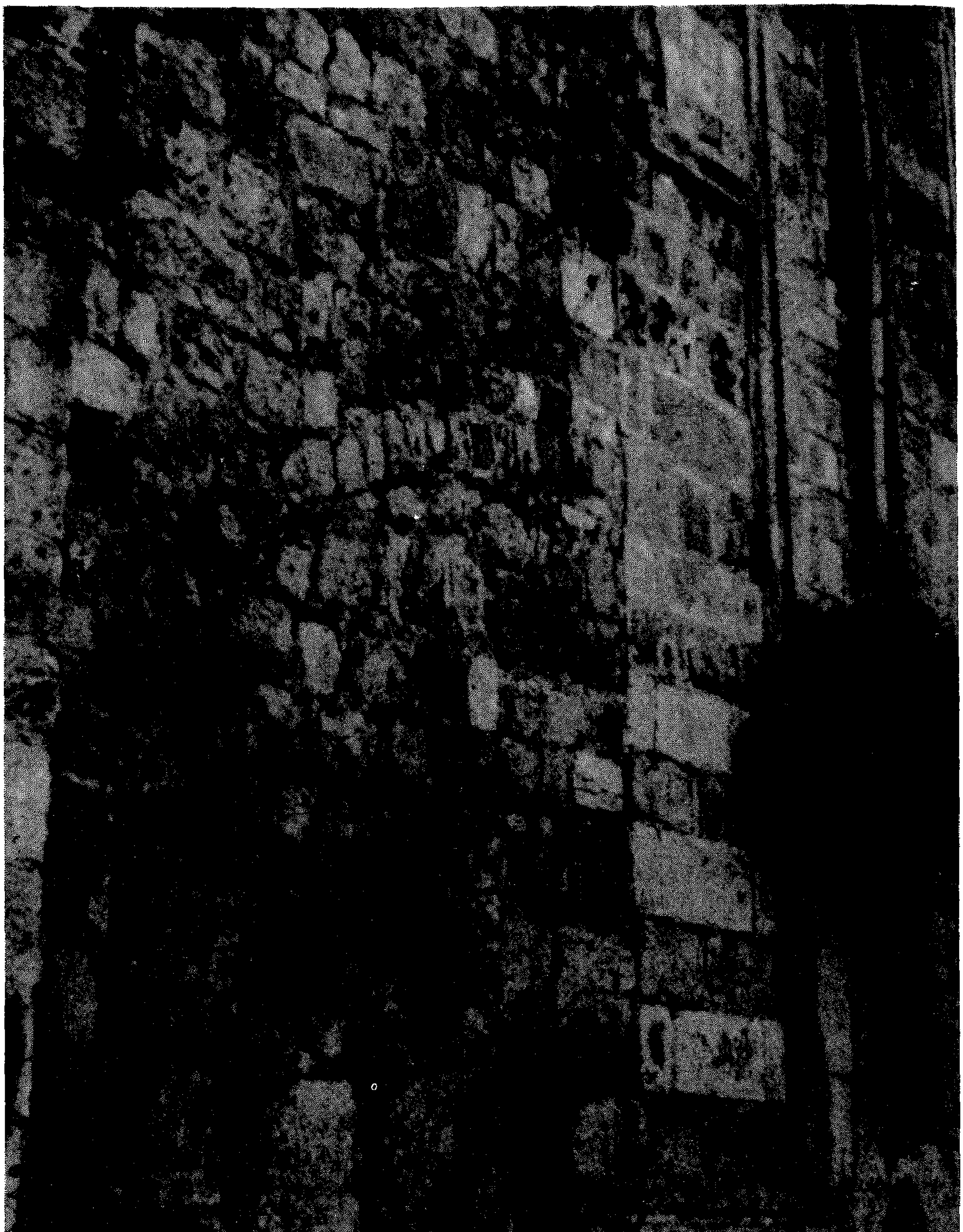
مئزنة جامع الخانقاة الصلاحية



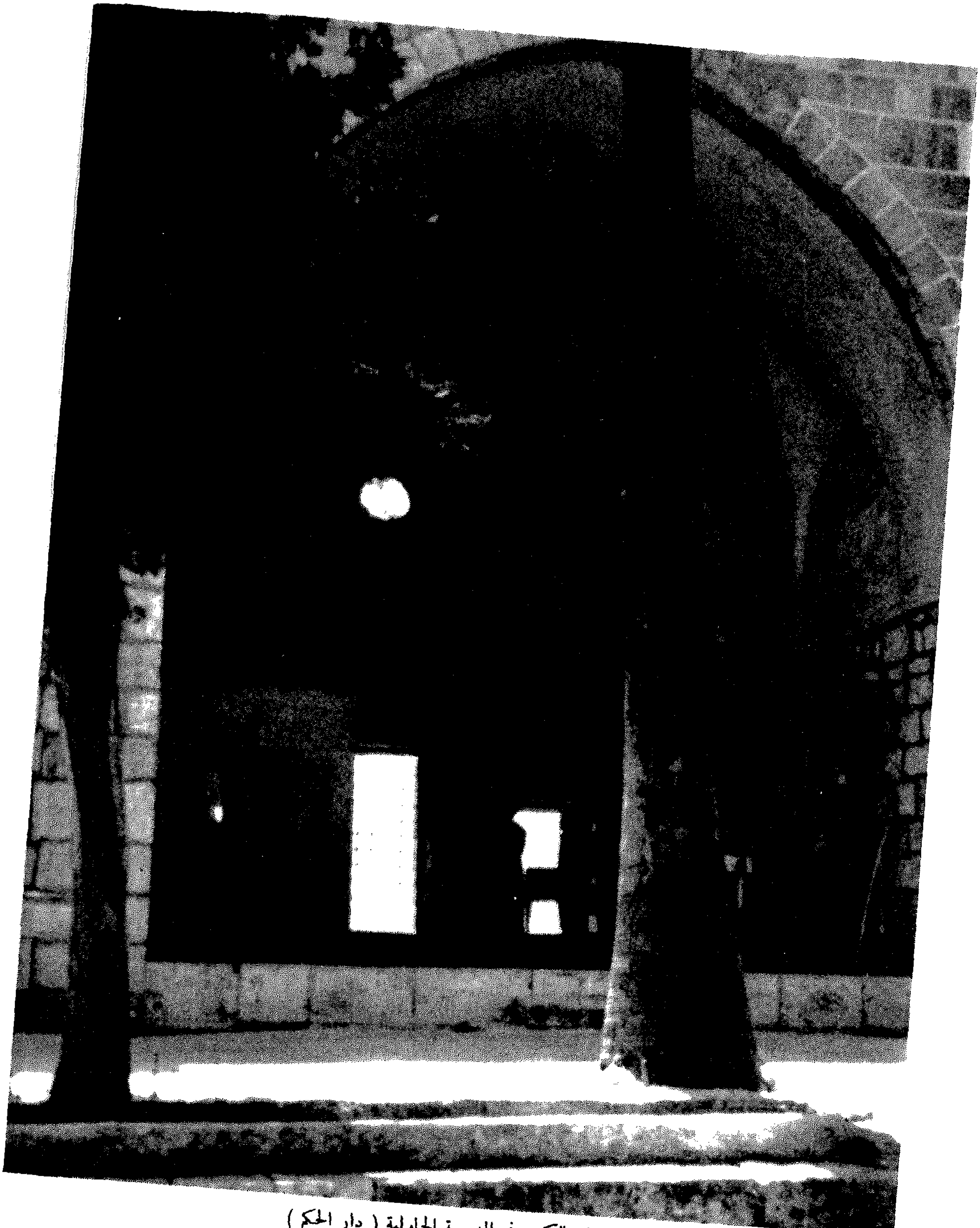
الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية



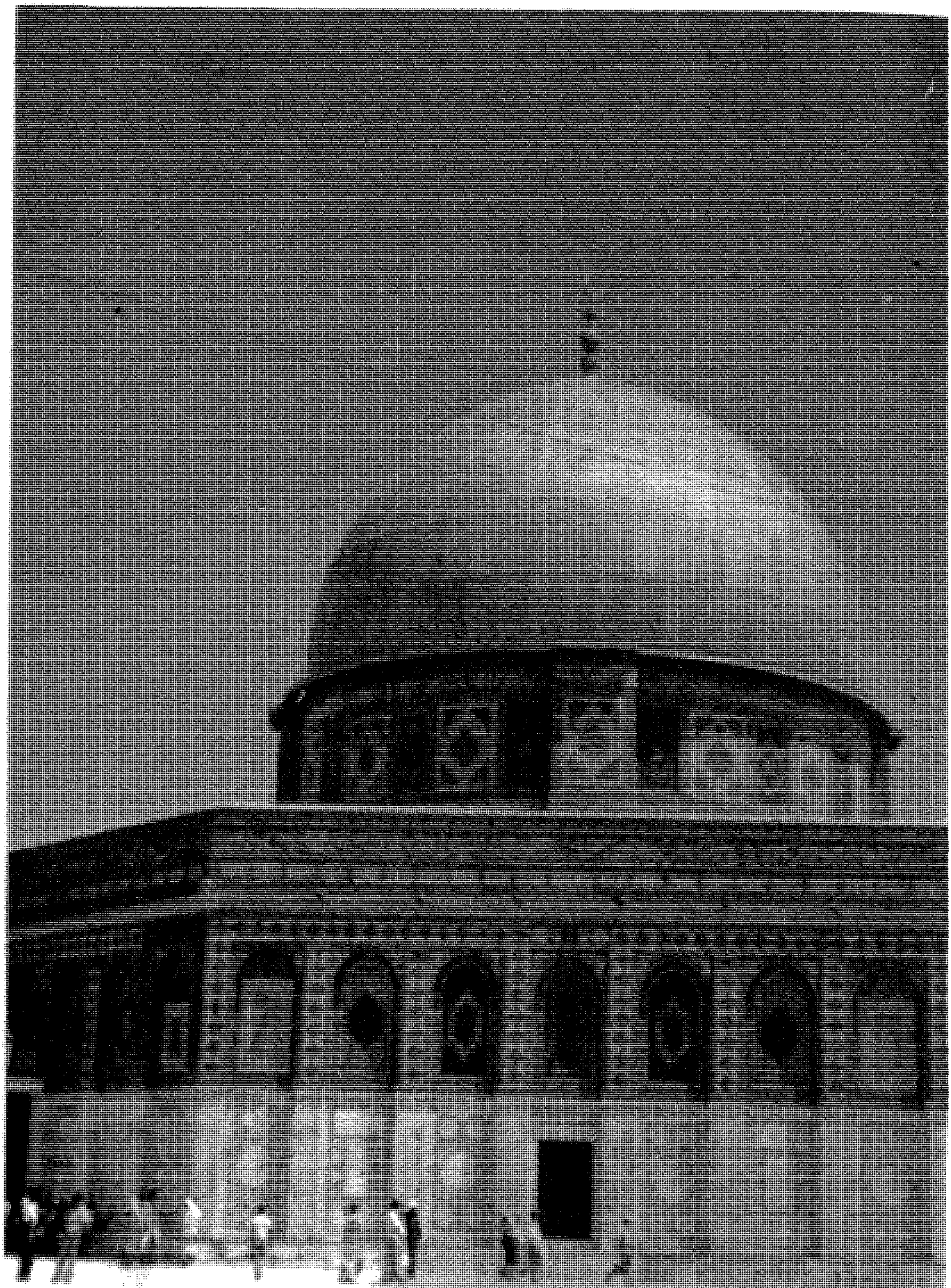
منظر آخر يوضح الخانقاة الصلاحية من جهة الشرق ويوضح العقود والدعامات



المدخل الرئيسي للمدرسة الجاولية من الجهة الشمالية يؤدي الى طريق الآلام (الباب مغلق)



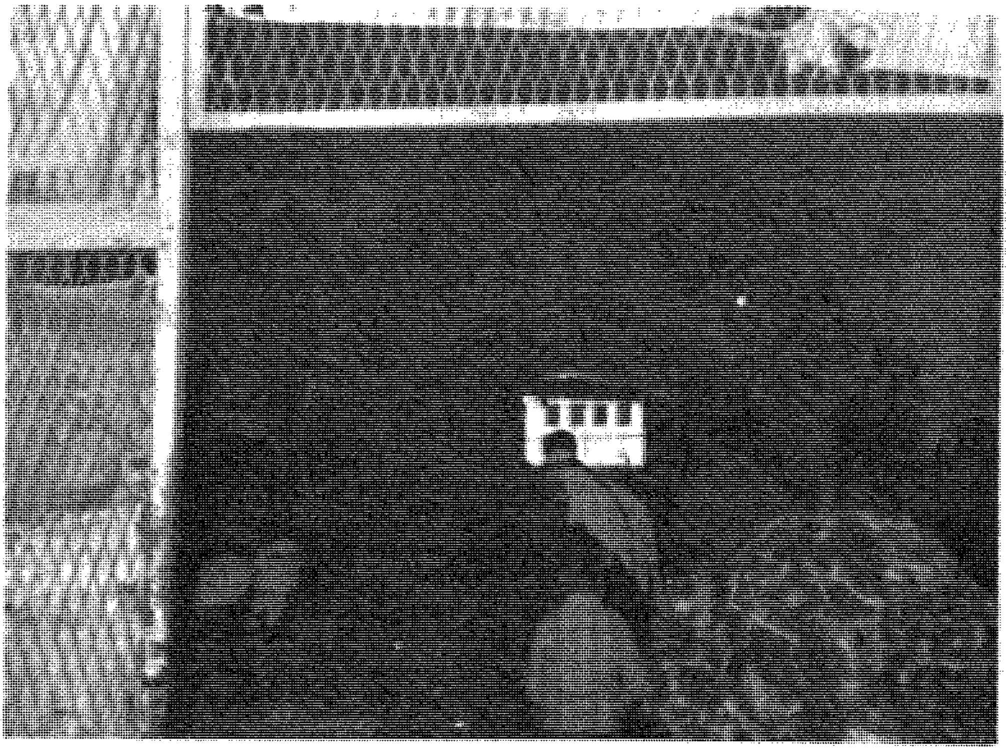
الايوان الكبير في المدرسة الجاولية (دار الحكم)



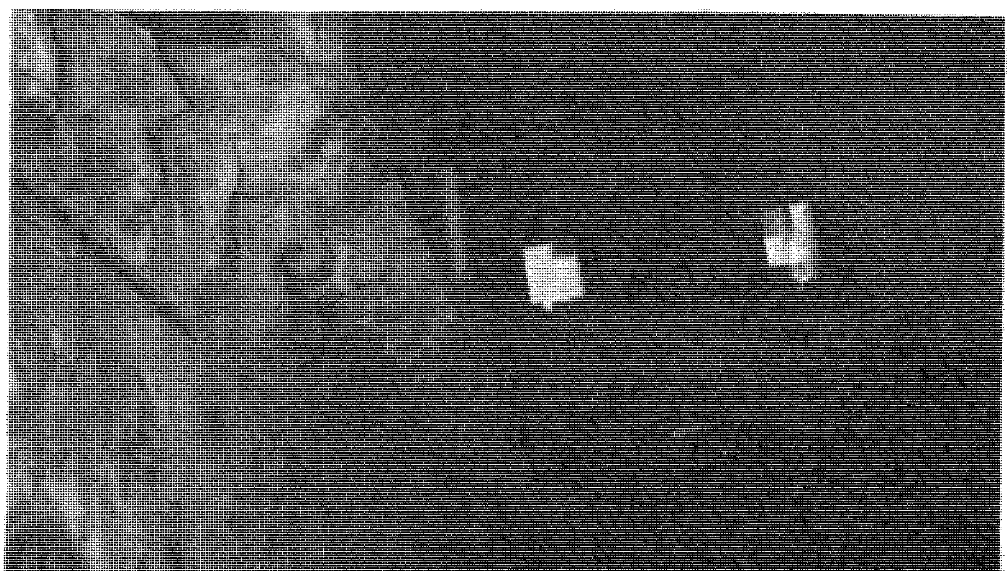
مسجد الاقصى – الجهة الخلفية



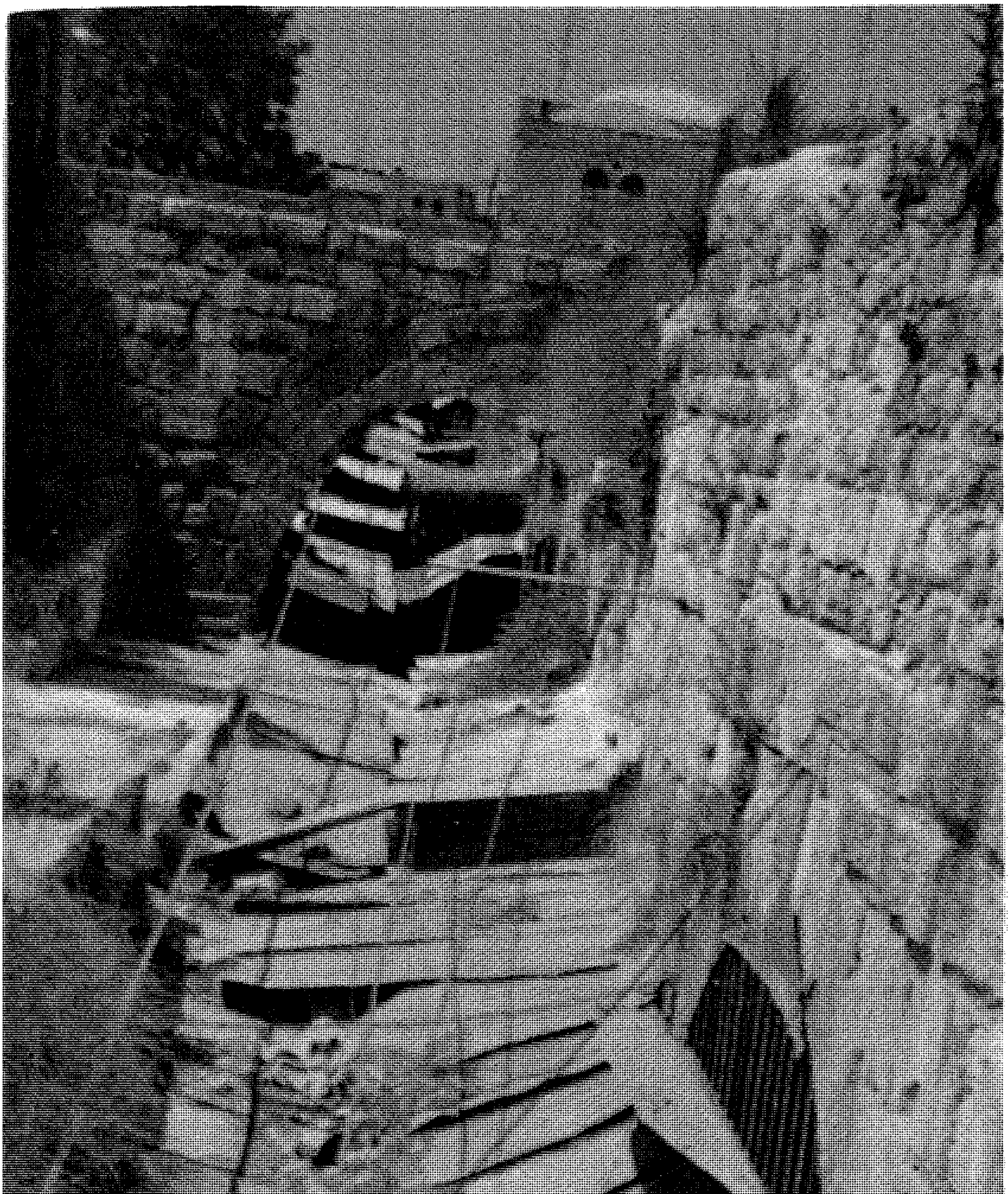
مئذنة المدرسة الأشرفية



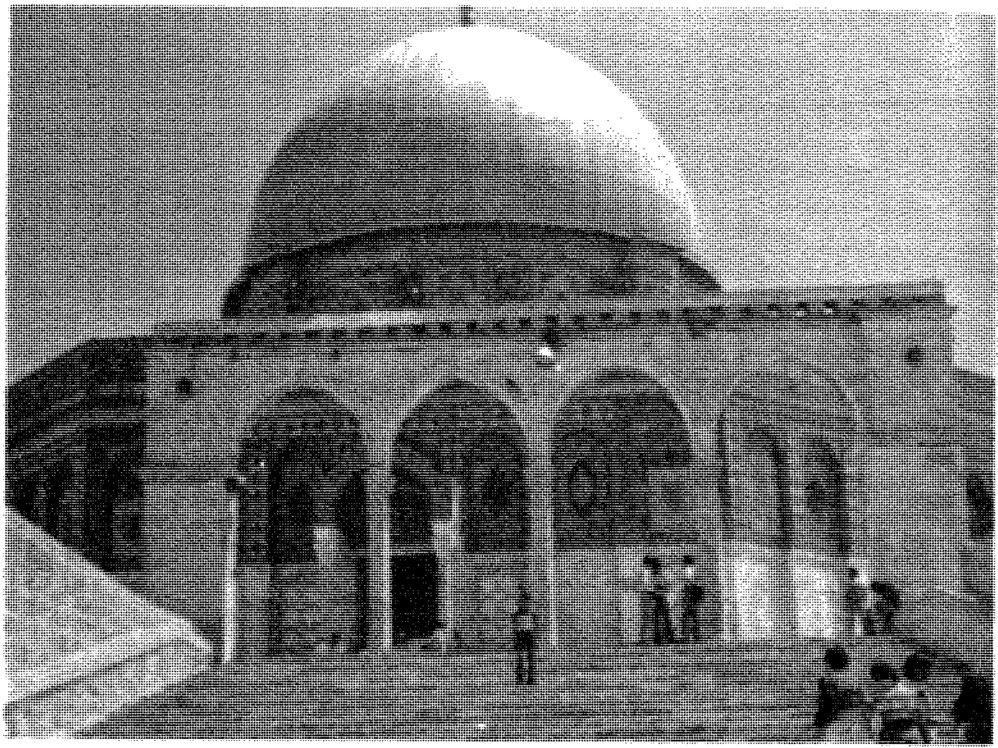
البيمارستان الصلاحي



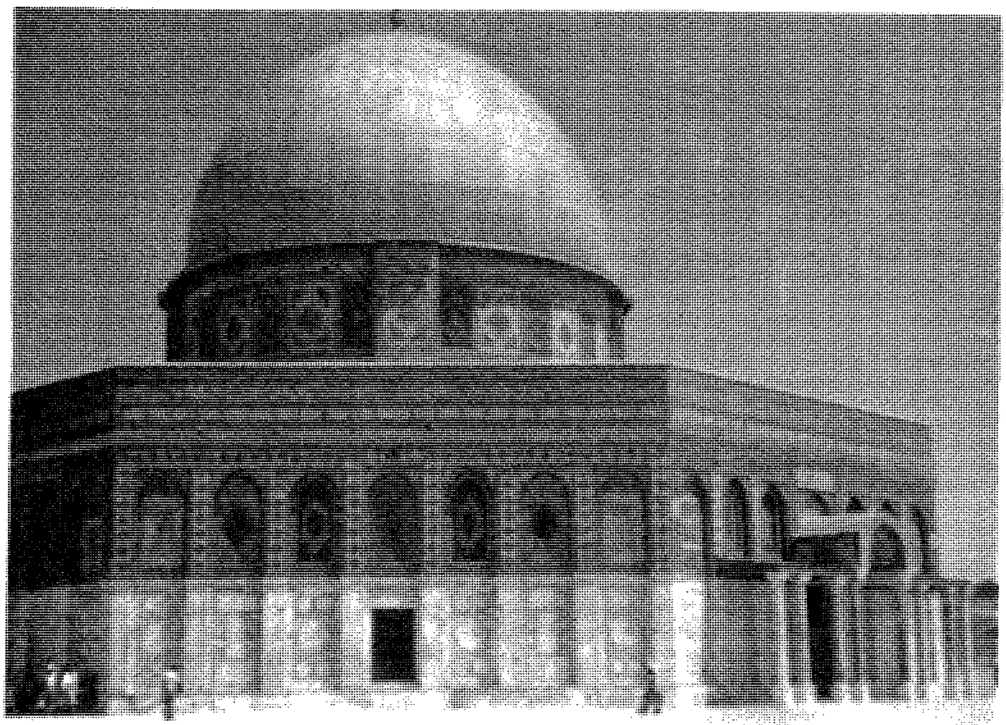
البيمارستان الصلاحي



ابواب البيمارستان الصلاحي من الاعلى



مسجد الاقصى - الجهة الامامية



مسجد الاقصى - الجهة الخلفية



منظر من سطح المدرسة الجاولية يظهر فيه جزء كبير من القدس والقلعة



المدرسة الجاولية من جهة الجنوب داخل الحرم

الفصل الرّابع

النشاط السكّاني والمؤسّسات الإجتماعيّة

١ ــ الديموغرافية وعناصر السكان .

٢ ــ الدور والحارات وطبوغرافية المدينة .

٣ ــ المؤسسات الاجتماعية في النيابة .

(١)
الديموغرافية وعناصر السكان

تدل الدراسات الديموغرافية أن سكان بيت المقدس بلغ في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ٢٠,٠٠٠ نسمة[١] ، ثم ارتفع هذا العدد في القرن السادس الهجري (الثاني والثالث عشر الميلادي) فبلغ ٣٠,٠٠٠ نسمة[٢] . وبلغت مساحة المدينة المقدسة ٧٢٠ دونما ، فكثافتها السكانية إذن ٤٢ شخصاً للدونم الواحد[٣] . ومن الملاحظ أن الكثافة السكانية في بيت المقدس كانت في المرتبة الثانية بين المدن الفلسطينية بعد عكا ، التي بلغت كثافتها السكانية ٥٠ شخصاً للدونم الواحد[٤] .

وبلغ عدد السكان في المدينة المقدسة أوجه في القرن السابع والثامن الهجري (الثالث والرابع عشر الميلادي) ، فبلغ سكان المدينة المقدسة آنذاك ٤٠,٠٠٠ نسمة ، فكثافتها السكانية كانت ٥٦ شخصاً للدونم الواحد ، وهي أعلى كثافة سكانية وصلتها المدينة المقدسة في العصور الوسطى .

ثم أخذت الكثافة السكانية في التدني ، فبلغ سكانها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ١٦,٠٠٠ نسمة ، ثم تدنى الى النصف ، فبلغ في منتصف القرن التاسع الهجري (١٥ م) ٨,٠٠٠ نسمة ، ثم أصبح في أوائل القرن العاشر الهجري (١٦ م) ٣,٠٠٠ نسمة . ثم أخذ في الصعود ، ففي منتصف القرن ١٦ م بلغ ٨,٠٠٠

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ .
لي سترانج ، ص ٩٩ .

(٢) Benvenisti, The crusader in the Holy Land, p. 26.

(٣) Ibid., p. 26.

(٤) Ibid., p. 27.

نسمة ، ثم أخذ في الهبوط مرة أخرى ، ولكن سرعان ما عاد للإرتفاع ثانية في العصر العثماني[1] .

وقد حدث تخلخل في الكثافة السكانية في فلسطين أثناء الغزوة الصليبية على بلاد الشام ، فهجر السكان المدن الساحلية[2] ، أما المدن الداخلية فهجرها بعض سكانها ، ومع ذلك بقيت مأهولة بالعرب الوطنيين . وهذا التخلخل حدث في الرملة وبيسان والخليل ، أما بيت المقدس ففقد الكثير من سكانه نتيجة للغزوة الصليبية ، فالمصادر اللاتينية تذكر أن الفرنجة قتلوا في المدينة المقدسة عشرين ألفاً ، بينما قدرت المصادر الإسلامية العدد بسبعين ألفاً[3] . ولم يسمحوا بادئ الأمر لغير المسلمين بسكنى المدينة المقدسة ، فأصبحت المدينة خالية من السكان ، اذ أن الموجودين فيها لم يملأوا شارعاً واحداً من شوارعها[4] .

وازداد سكان بيت المقدس في العصر الأيوبي ، ولكن الزيادة بلغت أقصاها في العصر المملوكي ، فقد استقبلت المدينة المقدسة إعداداً من المهاجرين ، من العراق والبلاد الشرقية الذين تركوا بلادهم أمام الضغط التتاري ، فلاذوا بمدن الشام : حلب

---

(١) في نهاية القرن العاشر الهجري (١٦ م) لم تكن الكثافة السكانية في المدن الفلسطينية عالية فديموغرافيتها كانت على الشكل التالي :

صفد أكبر المدن الفلسطينية	١٢,٠٠٠ نسمة .
القدس	٨٠٠٠ نسمة
غزة	٦٠٠٠ نسمة
نابلس	٤٣٠٠ نسمة
الخليل	٣٥٠٠ نسمة
كفركنا	٢٨٥٠ نسمة
مجدل	٢٨٠٠ نسمة
لد	٢٥٠٠ نسمة

أنظر : Hütteroth & Abdulfattah. Historical Geography of Palestine, 1977, pp. 45, 52

(٢) William of Tyre, Vol. I, p. 426.

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ١٨٩ . Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, New York, 1973, p. 121. Benvenisti, op. cit., p. 146.

(٤) William of Tyre, vol. I, p. 507.

وحماه ودمشق والقدس الذي استأثر بالعديد من هؤلاء المهاجرين[1] . كما ان الاستقرار والهدوء الذي نعت به المدينة المقدسة كغيرها من مدن بلاد الشام جعلها تنعم بدرجة من الثروة والازدهار والأمن[2] . ثم للاهمية الخاصة التي أولاها إياها السلاطين المماليك ، زادها نمواً وعمراناً ، فانعكس ذلك على كثافتها السكانية فبلغ سكان القدس ٤٠,٠٠٠ نسمة ، وهو أعلى رقم وصلته في تاريخها الوسيط .

ولكن الكثافة السكانية أخذت في الهبوط منذ منتصف القرن الثامن الهجري (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي) ، فقد أصاب بلاد الشام بل العالم كله ما عرف في المصادر القديمة بالفناء العظيم (الطاعون)[3] ، وأفنى هذا الطاعون أعداداً كبيرة من بلاد الشام ، وبادت مدن بأكملها مثل اللد والرملة وجنين[4] . فالنمو السكاني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر إقترب من التوقف ، ليس في بلاد الشام ومصر فحسب ، بل في العالم كله[5] . وقد شاهد ابن بطوطه ما فعله الوباء في مدن بلاد الشام ، كدمشق التي كانت تفقد يومياً ألفي شخص[6] ، أما غزة ففقدت معظم سكانها . وتسبب الوباء في موت أعداد كبيرة من سكان بيت المقدس ، ومنذ ذلك الحين أخذت الكثافة السكانية في بيت المقدس في تدني ، حتى بلغت أشدها في أوائل القرن العاشر الهجري (أوائل السادس عشر الميلادي) .

ومما ساعد على تخلخل الكثافة السكانية في فلسطين خاصة وبلاد الشام عامة الحروب والقحط والجفاف التي ضربت المنطقة في أوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر

---

(١) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ ، ١٠٢٩ .
ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج ٣ ص ٦١ .

(٢) Lapidus, op. cit., p. 16.

(٣) وبسبب هذا الطاعون فقدت فرنسا $\frac{٣}{٤}$ سكانها ، وايطاليا نصف سكانها والمانيا فقدت مليون وربع شخص ، والطاعون الذي اجتاح اوروبا في القرن الرابع عشر كل عشر سنوات منع النمو السكاني .
Nohl, The Black Death, London, 1924, p. 40.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٢ ص ٧٧٤ .
يوسف غوانمه : تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٥) Lopez, R. The Commercial revolution, in the Middle Ages, U.S.A., 1976, p. 29.
Kedar, Merchants in crisi, Yele, U.S.A. 1976, pp. 1, 5.

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٩٦ .

الميلادي) . فالمقريزي يذكر أن تيمورلنك خرب بلاد الشام ومدنها وقتل من أهلها ما لا يحصى عدده (بحيث أقامت القدس مدة اذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلي خلف الامام سوى رجلين)[١] . ويذكر المقريزي أيضاً في سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢١ م) ، إن القحط والجدب أصاب حوران والكرك والقدس والرملة وغزة لعدم نزول المطر ، ونتج عن ذلك نزوح كثير من سكان هذه البلاد عن أوطانهم[٢] .

ومنذ عام ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) عاد الطاعون مرة أخرى للمنطقة فأصاب غزة والقدس والرملة وصفد ودمشق ، وحمص وحماه وحلب ، وهلك فيه خلائق لا يحصى عددها[٣] . ويقول المقريزي في حوادث هذه السنة ، ان الوباء والنزلات فتكت بالناس اذ كانت (تنحدر من الدماغ الى الصدر فيموت الانسان في أقل من ساعة بغير تقدم مرض ، وكان أكثر هذا في الأطفال والشباب)[٤] ولعل هذا الوباء الذي وصفه المقريزي هو نوع من أنواع الحميات القوية التي كانت تفتك بالناس بهذا الشكل الخطير[٥] . ثم عاد الوباء مرة أخرى فضرب المنطقة في سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) فمات من جرائه خلق كثير ، في دمشق وغزة والرملة والأغوار[٦] .

وهكذا نرى أن بيت المقدس نتيجة للطاعون الذي أصاب المنطقة والعالم كله في منتصف القرن الثامن الهجري (منتصف الرابع عشر الميلادي) ، فقد نصف سكانه ، أي ما يقارب ٢٠,٠٠٠ نسمة ، ثم أخذت الديموغرافية تتدنى في بيت المقدس وفلسطين نتيجة للغزوة التتارية المدمرة بقيادة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م)[٧] وزاد في تدنيها القحط والجفاف الذي أصاب المدينة المقدسة والمناطق المجاورة سنة ٨٢٥ هـ

---

(١) السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ٦٠٩ ، ويقول Lopez ان من العوامل الهامة في عدم تزايد السكان العوامل الطبيعية كالطقس وكثرة الأمراض وانتشارها (Lopez, op. cit., p. 29).

(٣) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٣٦ ،
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٤ .

(٥) وربما كان هذا الوباء هو ما نسميه اليوم بالحمى الشوكية .

(٦) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٤ .

(٧) السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٢٢٥ .

(١٤٢١ م) بحيث هجرها كثير من سكـانها[١] . أضف الى ذلك الطاعون والوباء (الحمى) التي داهمت القدس والعديد من المدن الشامية سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) ، و ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) أدى الى هلاك خلائق لا يحصى عددها[٢] . ونتيجة لذلك فقد القدس نصف سكانه ، فأصبح عدد السكان في منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ٨٠٠٠ نسمة . وفي أواخر القرن التاسع الهجري أصاب الطاعون بيت المقدس في السنوات ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ، و ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) و ٨٩٧ هـ (١٤٩١ م) وأفنى ثلثي سكانه أي حوالي ٥٠٠٠ نسمـة[٣] ، ففي أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، لم يبق في القدس سوى ٣٠٠٠ نسمة[٤] . ثم بدأت الديموغرافية في الصعود ، حيث بلغت في منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ٨٠٠٠ نسمة[٥] .

وكان سكان بيت المقدس أخلاطاً من مسلمين ونصارى ويهود ، أما النصارى فكانوا يشكلون نسبة كبيرة في زمن المقدسي ، وأضاف أنهم كانوا أصحاب السلطة في البيت المقدس[٦] . وذكر ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عن وجود النصارى واليهود في بيت المقدس ، وان أعداداً كبيرة منهم تأتي من ديار الروم لزيارة الكنيسة والكنيش[٧] . وقد ازداد عدد السكان النصارى بعد الغزوة الصليبية لبلاد الشام واحتلال المدينة المقدسة ، فقد قتل الصليبيون آلالاف من سكان القدس المسلمين ، كما هجره أعداد من سكانه العرب النصارى فوليم الصوري يقول : أن مواطني المدينة من السوريين (السريان) كانوا في تناقص نتيجة للمحن والمصائب حتى أن

---

(١) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦٠٩ .

(٢) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٢٤ ، ٨٣٦ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٤ .
النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ .

(٣) وقد استنتجت ذلك من خلال دراسة قمت بها لعدد الوفيات في بيت المقدس في هذه السنوات .
أنظر : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٦ ، ٣١٨ ، ٣٦١ .

(٤) Hütteroth, op cit., pp. 45, 52.

(٥) Ibid., p. 52.

(٦) المقدسي ، التقاسم ، ص ١٦٧ .
لي سترانج ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٧) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٥ .

عددهم لم يكن شيئاً في المدينة[١] . وشجع الصليبيون أيضاً هجرة النصارى الوطنيين الى القدس ، فتذكر المصادر أن قسماً من نصارى شرقي الأردن في وادي موسى والبلقاء وعمان نزحوا الى القدس[٢] ، بعد أن طلب الفرنج منهم ذلك بالاغراء والاكراه ووعدوهم بحياة أفضل ، واستقبلوهم مع زوجاتهم وأولادهم وقطعانهم[٣] . وخصص لهم هناك حي عرف (بمحلة المشارقة) ، لأنهم قدموا من منطقة البلقاء الواقعة شرقي القدس . وبعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) عاد السكان المسلمون للقدس فزادت نسبتهم في العصر الايوبي ومن ثم في العصر المملوكي ، حتى أصبحوا يشكلون نسبة ٧٠ — ٨٠٪ من السكان[٤] .

ونصارى بيت المقدس كانوا في معظمهم من أصل عربي ، بجانب عدد من نصارى الفرنج من دول أوروبا المختلفة والاحباش[٥] . أما أهم الطوائف المسيحية التي وجدت في القدس في القرن السادس الهجري (الثامن عشر الميلادي) : اللاتين ، والسوريون (السريان) — والمقصود بهم طائفة اليعاقبة ، والارمن واليونان (الارثوذكس) والنساطرة — ثم الهنود ، والاحباش ، والجيورجيون[٦] . وقدر الرحالة فيلكس فأبرى عدد النصارى في القدس سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) بألف شخص[٧] .

وقد حظي النصارى العرب (الملكانية) واليعاقبة والقبط في نيابة بيت المقدس بالتسامح والمعاملة الحسنة ، فمارسوا طقوسهم الدينية في حرية تامة . ثم ان السلطان فرج

---

(١) William of Tyre, Vol. 1, p. 507.

(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٤٨ ،
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الأردن ، القسم الحضاري ، ص ١١٥ ، وعمان حضارتها وتاريخها ، ص ١٨٤ .
وأنظر الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٥٤ .

(٣) William of Tyre, Vol. 1, p. 507. Rey, Les Colonies, p. 77.

(٤) Benvenisti, op. cit., p. 215.

(٥) ناصر خسرو ، ص ٧٠ ،
ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ص ٣٩ ، ج ٢ ص ٥ .
Benjamin, Early Travels in Palestine, p. 83.

(٦) Rey, Les Colonies, pp. 76-77.

(٧) نقولا زيادة ، فيلكس فأبري في فلسطين ، بحث ألقي في المؤتمر الثالث لبلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م ، ص ٩ .

بن برقوق سمح للنصارى في سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) بناء كنيسة بيت لحم، فأحضروا الأخشاب من أوروبا لأجل ذلك ، ونقلوها من يافا الى بيت لحم[1] . وفي سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م) أصدر السلطان قانصوه الغوري مرسوماً نقشه على بلاطة الصقها على باب كنيسة القيامة أمر فيه معاملة النصارى الملكانيين واليعاقبة والقبط معاملة حسنة ، وألغي ما كان يؤخذ منهم من رسوم عند دخولهم كنيسة القيامة ، أو عند دخولهم الى فلسطين عن طريق يافا أو غزة . ونقل إلينا برشيم نص هذا المرسوم كما يلي :

بسملة ... المرسوم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه أن لا يكرهوا جماعة الرهبان النصارى والرهبانيات الملكيين واليعاقبة بموجب ولا بخفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف أسوة رهبان الكرج والحبوش ولا عند دخولهم الى مينا يافا ولا عند خروجهم من يافا ولا في مدينة غزة ولا في رملة لد الواردين من الرهبان والرهبانيات من المذكورين في البر والبحر ، وكل ناحية لزيارة بيت المقدس مستمر حكم ذلك من تقادم السنين من غير أحداث حادث ولا تجديد مظلمة ومنع من يتعرض إليهم بسبب ذلك أو في كمنيرهم (؟) وهي تربتهم التي يدفنوا بها ، ولا يتعرض أحد الى موتاهم ولا لنوابهم ، ومسامحة الرهبان والرهبانيات من طائفة الروم والقبط من الموجب بالأعمال المذكورة في البسط والموسم على جاري عادتهم ، ومنع من يعارضهم في ذلك حملاً في ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة السالفة والمربّع الشريف الاشرفي الذي بيدهم عند انهاءهم أنهم رهبان وأهل ذمة ومنقطعين ، وأن بيدهم عهدات وسجلات ومربعات شريفة شاهدة لهم بذلك ، وسألوا كتابة هذا المرسوم الشريف بذلك جميعه وأن ينقش شرح ذلك برخامة وتلصق بباب القمامة وليصير ذلك تذكرة بعدل مولانا المقام الشريف عزّ نصره على ممر الدهور والأيام صدقة عليهم عند تمثّل القس صفرونس

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(؟) الراهب الملكي ورفعته لدى المواقف الشريفة ، فرسم لهم بذلك بمقتضى القصة المرفوعة عن الرهبان والرهبانات المشمولة بالخط الشريف حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه بتأريخ اليوم المبارك التاسع من شهر الله المحرم الحرام سنة تسع عشرة وتسعمائة والحمدلله وحده مصلياً ومسلماً على من لا نبي بعده[١] .

وسكن النصارى الاديرة والكنائس العديدة في المدينة المقدسة وبيت لحم والتي بلغت عشرين كنيسة ، أكبرها كنيسة القيامة التي كانت تتسع لثمانية آلاف شخص[٢] . ووجد في بيت المقدس حارة سميت بحارة النصارى بجانب باب الخليل[٣] .

أما اليهود فكانوا قلة في العصر الإسلامي ، ففي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وجد في بيت المقدس عدد من اليهود ، كما وجد فيها كنيس (كنيش) ، وكان اليهود يأتون لزيارة بيت المقدس من أنحاء متفرقة من العالم[٤] ، وسكنوا في حارة خاصة أطلق عليها (حارة اليهود)[٥] . وفي فترة الاحتلال الصليبي لبيت المقدس تعرض اليهود لتعسف الفرنج فهجروا المدينة المقدسة ومعظم أنحاء فلسطين[٦] ، وامتد تعسف الفرنج لمقابر اليهود ، فدمروا مقابرهم الثلاثة ، واستخدموا حجارتها في بناء بيوتهم[٧] . وفي منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، قدم الرحالة بنيامين اليهودي الأندلسي Benjamin of Tudelu الى فلسطين ، وزار معظم مدنها وقدم لنا إحصائية ديموغرافية لليهود . فوجد في بيت جبريل ثلاثة يهود و ١٢ يهودياً في بيت لحم ، وفي الرملة ٣ يهود ، وفي يافا يهودي واحد ، وعسقلان ٢٠٠ يهودي ، وفي طبرية ٥٠ يهودياً . أما بيت المقدس ونابلس فلم يجد فيهما يهودياً واحداً ، وكانت دمشق آنذاك تمثل أكبر تجمع يهودي في بلاد الشام ، فوجد فيها ٣٠٠٠ يهودي[٨] . ثم بدأ اليهود يتسللون

---

(١) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 379.

(٢) ناصر خسرو ص ٧٥ .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٤) ناصر خسرو ، ص ٥٥ .

(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٦ .

(٦) Martin, E. The Crusades, p. 127.

(٧) Benjamin, Early Travels in Palestine, pp. 81, 82, 84.

(٨) Ibid., p. 91.

الى المدينة المقدسة بعد تحريرها من الفرنج ، وزاد عددهم في العصر المملوكي ، وامتهنوا التجارة والصياغة والدباغة كعادتهم[1] ، ولم يكن عددهم كبيراً ففي القرن التاسع الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانوا زهاء ٥٠٠ يهودي فقط[2] . ولكنهم تمتعوا بنفوذ قوي بسبب ما لديهم من ثروات طائلة ، ففي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) حدث نزاع بين اليهود والمسلمين حول كنيس اليهود الموجود في حارتهم ، فقد ثبت لدى القضاة أن الكنيس محدث في دار الإسلام ، فأغلقوه ومنعوا اليهود من التعبد فيه[3] . ولكن اليهود في بيت المقدس بزعامة كبيرهم يعقوب ، رفعوا أمرهم للسلطان في القاهرة ، فأمر السلطان بعض العلماء في القاهرة النظر في هذا الأمر ، وحدث خلاف في الرأي بينهم وبين قاضي الشافعية في بيت المقدس الذي منع اليهود من كنيسهم . إلا أن السلطان أرسل مرسوماً في سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) الى ناظر الحرمين ناصر الدين بن النشاشيبي بتمكين اليهود من كنيسهم ، وعدم معارضتهم ، فمكنوا منه[4] . وقد أشيع في بيت المقدس أن اليهود بذلوا مبلغاً كبيراً من الدنانير المصوّرة الى الخزائن الشريفة حتى مكنهم من كنيسهم[5] . ولما ورد ذلك لمسامع السلطان ، أمر إعادة النظر في الأمور والتحقق من مسألة الكنيس ، فعقد القضاة مجلساً آخر في المدرسة التنكزية وكان رأي شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف أن لا وجه لمنع اليهود من كنيسهم بغير مسوغ شرعي ، وأن من شهد بحدوث الكنيس في دار الإسلام عليه أن يثبت ذلك بسند شرعي[6] . إلا أن القاضي الشافعي تمكن من إثبات وجهة نظره بالشهود ، وأصدر أمره بمنع اليهود من كنيسهم مرة أخرى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل توجه بعض العلماء الى الكنيس وأمروا بهدمه ، فهدموا غالبه ، فتوجه اليهود للسلطان في القاهرة للشكوى[7] . فأرسل السلطان الأشرف قايتباي مرسوماً بالقاء القبض على القاضي الشافعي وبعض العلماء ممن

---

(١) Ibid., pp. 85-87.
الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٢) نقولا زيادة ، فيلكس فأبري في فلسطين ، ص ٩ .
(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٢ .
(٤) الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

ناصروه في رأيه ، ووضعوا في الحديد وأرسلوا الى القاهرة[1] ، فأهانهم السلطان وضربهم . ثم دعا الأمير يشبك بن مهدي الدوادار الكبير لعقد مجلس حضره القضاة الأربعة في الديار المصرية وبعض العلماء ، ودار البحث في أمر الكنيس ، ووصف ذلك اليوم بأنه (كان يوماً مهولا بنصرة اليهود على المسلمين)[2] . وقد استعمل الدوادار يشبك سلطاته وإستخدم القوة لأرهاب الحضور ، فعندما تكلم رجلان من طلبة العلم بما فيه نصرة المسلمين ، ألقى القبض عليهما وأشهرهما ووضعهما في الزنجير[3] . ثم أخذ الأمير يشبك يهدد ويتوعد ، عندئذ أصدر قاضي القضاة الشافعي في الديار المصرية ولي الدين الأسيوطي أمراً بعدم جواز المنع الصادر من القدس لفساده ، ثم أفتى بعض العلماء في الديار المصرية بجواز إعادة الكنيس أما قضاة بيت المقدس فأمر السلطان بعزلهم ومنعهم من سكنى القدس[4] .

ونتيجة لهذه الفتاوي التي حصل عليها اليهود ، تقدموا يطلبون من السلطان بتمكينهم من اعادة كنيسهم ، وكان اكبر المساعدين لهم الامير يشبك الدوادار الكبير بسبب ما بذلوه له من اموال طائلة[5] . واخيرا تمكن الامير يشبك اقناع السلطان باعادة كنيسهم ، فأصدر مرسوما بذلك ، فشرعوا باعادة بنائه في ١١ ربيع الآخر سنة ٨٨٠ هـ . ان اعادة بناء الكنيسة اليهودي يدل على النفوذ الكبير الذي تمتع به اليهود في بيت المقدس ولدى السلطنة المملوكية بسبب امتلاكهم الاموال الطائلة وبذلهم الاموال للامراء ورجال الدولة ، وقد سموا اليوم الذي اعادو فيه كنيسهم (عيد النصر)[6] . ومن هنا نرى ان اليهود في بيت المقدس رغم عددهم القليل الا انهم كانوا في العصر المملوكي يتمتعون بنفوذ قوي لدى الحكام ، ونفوذ مادي بسبب اشتغالهم بالتجارة والصناعة .

مما تقدم نستطيع القول بأن أهل الذمة من اليهود والنصارى تمتعوا في العصر المملوكي بتسامح ديني ، ومارسوا حقوقهم كاملة دون تعصب ، وزاولوا مهنهم بحرية تامة ، وعاشوا

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٩ .
(٤) الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ .

مع المسلمين في المدن والقرى . وان كنا نجد بعض النصارى يعيشون ويشكلون نسبة كبيرة في بعض المدن والمناطق ، مثل نصارى وادي موسى والكرك في شرقي الاردن ، والقدس والناصرة وبيت لحم وبيت جالا في فلسطين(١) .

ولم يكن النصارى بمنأى عن الاحداث السياسية في المنطقة ، فنجد ان نصارى الكرك والشوبك وقفوا الى جانب السلاطين المماليك ، فأيدوا الناصر محمد بن قلاوون في ثورته بالكرك ، وقدّم أحد التجار النصارى الشوابكة الى الظاهر برقوق مائة الف دينار لينفقها في اعداد القوات والعساكر . لذا منحهم السلاطين امتيازات خاصة ، فنجد ان محمد بن قلاوون اصدر مرسوما في سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) حدد بموجبه زي النصارى واليهود ، فألزم النصارى بلبس العمائم الزرقاء ، واليهود الصفراء ، والسامرة العمائم الحمراء ، ولكنه استثنى من ذلك نصارى الكرك والشوبك لما لهم من مكانة خاصة في نفسه ، فبقوا يلبسون العمائم البيضاء اسوة بالمسلمين(٢) . وفي عهد برقوق نال نصارى الكرك والشوبك حظوة لديه ، فأعفاهم من الضرائب والمصادرات اكراما لموقفهم ، ومساعدتهم اياه(٣) .

وكان للنصارى في بلاد الشام بطركان اثنان الاول في انطاكية والثاني في القدس وكانت بطريركية بيت المقدس تحكم نصارى فلسطين وشرقي الاردن(٤) . وفي العصر المملوكي ذكرت المصادر وجود هذا البطرك في دمشق واليه مرجعهم في التحليل والتحريم والحكم والفصل بينهم بحكم مذهبهم في مواريثهم وانكحتهم ، واليه امر الكنائس والديارات والرهبان ورعاية شؤونهم(٥) . اما اليهود فكان لهم رئيس يتكفل امورهم واقامة حدود التواراة بينهم مركزه دمشق ايضا ، أما السامرة فرئيسهم في نابلس(٦) .

---

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٤٧ . Hütteroth, op. cit., p. 54.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ١ ص ٩١٢ . ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢١ . يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١١٦ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٠ .

(٤) Rey, Les Colonies, p. 89.

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٤ ، ج ١٢ ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩٤ ، ج ١٢ ص ٤٢٨ .

وعاش الناس في بيت المقدس حياة الرغد والثراء ، فامتهن عدد منهم التجارة والصناعة التي درت عليهم الارباح الطائلة ، ونستدل على عظم تجارته بكثرة اسواقه وتشعبها . وكان للقدس موارده من المواسم والاعياد ، فالحجاج المسلمون كانوا يبلغون عشرين الفا ، وكذا الحجاج النصارى واليهود . وكان اهالي القدس والمنطقة المجاورة يكسبون الكثير في تلك المواسم . ثم هناك الاموال التي خصصت للاوقاف وطلبة العلم وتلك التي كان يتصدق بها السلاطين على بيت المقدس وأهله ، كل هذه الامور مجتمعة ساعدت على تكوين طبقة ثرية في القدس . ونستدل على ذلك من امتلاك الموسرين للقصور (المصايف) خارج القدس في (البقعة) الواقعة غربي القدس ، حيث يقضون فصل الصيف في تلك القصور وينفقون الاموال الطائلة عن سعة[١] .

ومع ما للمدينة المقدسة من مكانة روحية ولكثرة المؤسسات الدينية والعلمية ، الا ان هذا لم يمنع من وجود بعض العادات السيئة التي اعتادها بعض الاهالي في بيت المقدس . من ذلك تعاطي نبات الحشيش ، فذكر ابن صرصري ان السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد زار المدينة المقدسة سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) في طريقة الى القاهرة ، بعد ان امتلك تيمورلنك بغداد وهروب ابن اويس منها[٢] . وذكر شرف الدين المرجاني والي بيت المقدس ان (جماعته باعوا الحشيش في القدس وفي دمشق ، ومقدار ما باعوه في القدس من الحشيش ١٢٠٠ درهم)[٣] .

واقام الأهالي في بيت المقدس الاحتفالات في المواسم والاعياد وعند تجديد ولاية النائب أو قاضي القضاة ، فيلبس الامير أو القاضي خلعة التجديد أو الولاية ويدخل المدينة بعد ان يخرج الجميع لاستقباله ، وينتهي هذا الموكب الى المسجد الاقصى حيث يتلى على المجتمعين مرسوم السلطان . واقيمت الاحتفالات عند خروج الحجاج الى الحجاز ، ولم يكن لنيابة بيت المقدس ركب خاص ، بل يخرج الحجاج من القدس والخليل والرملة ونابلس وبلاد الساحل الى غزة وينضمون الى (الركب الغزاوي)[٤] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٦٠ .
(٢) ابن صرصري ، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم بريز ، كالفورنيا ، ١٩٦٣ ، ص ١٤٠ .
(٣) ابن صرصري ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١٠٧٠ .

(٢)
الدور والحارات وطبوغرافية المدينة

كان سكان بيت المقدس يعيشون في بيوت مبنية من الحجر والجير ، يتألف بعضها من طابق واحد ، واخرى من طابقين أو اكثر ، ولا زالت معظم بيوت بيت المقدس الحالية مملوكية البناء ، حتى يمكننا وصفها (القدس المملوكية) . وتتكون المدينة من احياء أو حارات متعددة ، ويحيط بالجميع سور مرتفع قوى ، وقلعة حصينة في الجهة الغربية من المدينة قرب باب الخليل . ويقع الحرم الشريف في الجهة الشرقية والجنوبية من المدينة ، ويشغل مساحة كبيرة تبلغ ١٤٣٠٠٠ مترا مسطحا أو ما يعادل ١٣٦ دونما ، والاسوار الجنوبية والشرقية للحرم تشكل جزءا من سور المدينة الكبير . اما اطوال اضلاعه فالشرقي يبلغ ٤٧٤ مترا ، والجنوبي ٢٨٣ مترا ، والغربي ٤٩٠ مترا ، اما الشمالي فهو ٣٢١ مترا . وتحتوي ساحة الحرم على المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، وبعض المنشآت الاخرى ، وتحف به من الجهة الغربية والشمالية الاروقة والابنية التي انشئت في العصر الايوبي والمملوكي ، وتشتمل هذه الاروقة على عدة مدارس . اما ابواب الحرم فهي من الشمال : باب الاسباط ، وباب حطة ، وباب العتم ، وباب الغوانمة ، وباب الناظر ، وباب الحديد ، وباب القطانين ، وباب المطهرة ، وباب السلسلة ، وباب السكينة ، وباب المغاربة ، ولا يوجد للحرم ابواب من الجهتين الجنوبية والشرقية .

ويحيط بالحرم الشريف الاسواق والحارات والاحياء والازقة ، واسواق القدس متخصصة سقف بعضها ، فقد خصص كل سوق لسلعة معينة ، اما الحوانيت فأقيمت على جانبي تلك الاسواق . والحوانيت معقودة بالحجر والجير ارتفاع بعضها ستة اذرع بذراع العمل[1] ، وتساوي نحو ٤,٨ مترا . واشتملت المدينة المقدسة على احياء أو حارات سميت اما باسم طائفة معينة كحارة النصارى القريبة من كنيسة القيامة وباب الخليل ، أو حارة اليهود القريبة من الحرم ، أو حارة المشارقة نسبة للنصارى المشرقيين القادمين من

---

(١) وذراع العمل تعادل ٦٦,٥ سم . انظر : فالترهنتش ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٨٩ .

منطقة شرقي الاردن ، وتقع شمال باب حطة ، ثم حارة صهيون الواقعة غربي حارة اليهود . أو نسبة الى عائلة مثل حارة الغوانمة نسبة لبني غانم شيوخ الخانقاه الصلاحية والمسجد الاقصى ، وتقع الى الغرب من المسجد الاقصى قرب منارة الغوانمة ، ويتوصل اليها من باب الغوانمة . وحارة بني مرة قرب سوق الفخر ، وبقربها حارة الزراعنة ، وحارة المغاربة وسميت كذلك لكونها موقوفة عليهم وسكنهم فيها ، وحارة بني الحارث وتقع خارج البلد قرب القلعة ، وقد نصت الوثيقة رقم ١٢٤ على وجود (دار السريان) في هذه الحارة وكانت موقوفة على الحرم الابراهيمي في الخليل(١) ، وحارة الجوالقة الى الغرب من حارة النصارى . أو نسبة الى مكان أو شخص معين ، مثل حارة حمام علاء الدين بخط مرزبان أو حارة الشيخ محمد القرمي ، وحارة ابن الشنتر ، وحارة باب الحديد ، وحارة باب الناظر ، وحارة باب العامود ، وحارة باب الزاهرة ، وحارة باب حطة ، وحارة باب شرف الانبياء ، وحارة الغورية وتمتد من باب الاسباط وتنتهي الى سور المدينة الشمالي ، وحارة الحيادرة ، وحارة العلم ، وحارة الشرف غربي حارة المغاربة . أو نسبة الى ذوي مهنة معينة مثل حارة الحصرية(٢) . وحارات بيت المقدس جميعها ضيقة متعرجة ، وبعضها يتطرق اليه بواسطة درج بسبب طبوغرافية الارض الجبلية . وبلطت شوارع القدس بالحجارة(٣) وهذا الطابع الفريد يمكن مشاهدة بقاياه في شوارع القدس القديمة وازقتها . وكان لهذه الدروب والحارات حراس خاصون ، يقومون على حراستها وحمايتها من اللصوص ، وينبهون سكانها ليلا اذا شب حريق لديهم وهم نيام ويقدمون لهم المساعدة اللازمة(٤) .

وكانت دور بيت المقدس تتألف من طابق واحد أو اكثر ، في وسطها ساحة سماوية تشتمل على بئر ماء وبعض الاشجار واحواض الزهور ، وقد روعي في هذا النمط من البناء بحيث تجد المرأة في داخل الدار المتعة والراحة . اما نوافذ الدار المطلة على الشارع فوجد

---

(١) وثيقة رقم ١٢٤ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ — ٥٤ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ ، القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر — بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ١٦٠ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٤٥ .

فيها (المشربيات)[1] ، التي من خلالها تستطيع المرأة النظر الى الشارع دون ان يراها احد . ولدينا وصف لاحدى دور بيت المقدس ، فالوثيقة رقم ٣٥ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس وصفت دار (ابن اللونين) بحارة النصارى بالقرب من طاحونة الهولي . وتشتمل هذه الدار على ثلاثة بيوت عقود ، ومطبخ عقد ، ومطهرة عقد . وصحن الدار يتكون من ساحة سماوية ، وبهذه الساحة صهريجان للماء ، واشجار مختلفة الاجناس ، وتشتمل الدار على قبو ارضي يتوصل اليه من صحن الدار[2] ، وهذا الوصف لا يختلف عن تقسيمات الدور الاسلامية في العصر الوسيط[3] . وكانت قيمة دور بيت المقدس متفاوته ، فلدينا وثيقة مبايعة باسم خديجة بنت الحاج أحمد بن عبد العزيز المشرقي ، اشترت الدار الكائنة بباب حطة من اخيها محمد سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) بمبلغ ٢٥٠ درهما ، ونصت هذه الوثيقة على حدود تلك الدار[4] .

وما دمنا بصدد الحديث عن طبوغرافية القدس التاريخية ، فلا بد من الحديث عن (كنيسة القيامة) التي بناها الامبراطور قسطنطين حوالي سنة ٣٣٥ م . وقد ورد ذكرها في كتب الجغرافيين العرب ، وهي بناء كبير يتسع لثمانية آلاف شخص ، بنيت على ايدي مهرة الصناع ، وزينت بالرخام الملون والنقوش الجميلة النفيسة ، وتعتبر كنيسة القيامة من اكبر الكنائس في القدس ، وهي فوق كل وصف وجمال ، بسبب غناها وهندستها الغربية[5] .

وتقع كنيسة القيامة في وسط المدينة تقريبا الى الغرب من المسجد الاقصى ، وأقرب الابواب اليها باب الخليل . والداخل من هذا الباب يسير في شارع باتجاه الشرق ليصل

---

(١) المشربيات : هي شرفات بارزة عن سمت البناء ، ترتكز على دعائم وكوابيل ، مصنوعة من الخشب بطريقة هندسية جميلة ، بحيث يمكن للجالس فيها مشاهدة ما في الخارج دون ان يراه احد ، امعانا في حجاب السيدات . وغالبا ما كانت تزود مشربيات النوافذ بحنيات خارجة لوضع اباريق من الفخار لتبريد الماء . ولا زالت بعض دور القدس ودمشق والقاهرة ومكة تحتوي على مثل تلك المشربيات الخشبية . (ديماند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨م ، ص ١٢٣) .

(٢) وثيقة رقم ٣٥ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٣) عن اقسام البيت انظر ، عفيف بهنسي ، جمالية الفن العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٤ شباط ١٩٧٩م ، ص ١٦٦ .

(٤) وثيقة رقم ٤٣ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٥) لي سترانج ، ص ١٨٥ .

الى كنيسة القيامة ، ونعتتها المصادر الاسلامية (كنيسة قمامة) . ويذكر الادريسي انها (الكنيسة المحجوج اليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الارض ومغاربها ، فيدخل من باب في غربيها فيجد الداخل نفسه في وسط القبة التي يشتمل على جميع الكنيسة ، وهي من عجائب الدنيا ، والكنيسة اسفل ذلك الباب ، ولا يمكن احد النزول اليها من هذه الجهة ، ولها باب من جهة الشمال ينزل منه الى اسفل الكنيسة على ثلثين درجة ، وعند نزول الداخل الى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة)[1] .

ويمكن الدخول الى بيت المقدس من سبعة ابواب ضخمة كبيرة هي على اتوالي من الشرق باب الاسباط ، ومن الشمال باب الساهرة ، وباب العامود ، وباب الحديد ، ومن الغرب باب الخليل ، ومن الجنوب باب النبي داود وباب المغاربة .

(١) الادريسي ، نزهة المشتاق (القسم الخاص بالشام) ص ٦ .

(٣)

المؤسسات الاجتماعية في النيابة

عاشت المدينة المقدسة عصرها الذهبي في العصر المملوكي ، فهي تحتوي على الاماكن المقدسة لدى الديانات الثلاثة ، وهي مركز اشعاع روحي وحضاري وعلمي وفكري . لذا أمّها الناس من جميع انحاء العالم للزيارة واداء مناسك الحج أو امتهنوا التعليم في مدارسها العديدة ، وقصدها طلاب العلم من كل فج . واختارها العديد من رجال الدين النصارى من قسس ورهبان ، فأقاموا في كنائسها وأديرتها فوجدوا التسامح من السلاطين والامراء المماليك . حتى ان السلاطين رفعوا المظالم عنهم ، واثبتوا ذلك في نقوش رخامية ألصقوها في جدران الحرم القدسي وكنيسة القيامة . فالسلطان جقمق فعل ذلك سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) وابطل عدة مظالم على نصارى بيت المقدس ، ولكي يضمن تحقيق ذلك جعل المتكلم في تطبيق هذا المرسوم من واجب ناظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل[١] .

ومن الجدير بالملاحظة ان السلاطين المماليك اختاروا القدس منفى مريحا لبعض الامراء الذين لا يشكلون خطرا مباشرا على الدولة ، ولا يريدون القسوة عليهم والتشديد . فالذي ينقم عليه السلطان كان يرسله الى سجن الاسكندرية أو الكرك أو صفد أو غيرها من الاماكن في مصر والشام . اما مرتكب الذنوب البسيطة فكان السلطان يرسلة الى بيت المقدس (بطالا) ، ففي سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) عزل السلطان الظاهر برقوق الامير بيدمر الخوارزمي عن نيابة دمشق وعين مكانه الامير استقتمر الماردين الذي كان يقيم في بيت المقدس بطالا[٢] . وهذا يعني ان الإمير المنفي الى القدس يمكنه العودة الى السلطة مرة اخرى وتقلد المناصب الهامة في الدولة واعادة الاعتبار اليه ، فالقدس على هذا النحو (منفى مريح) . وقد اشار استاذي الدكتور سعيد عاشور ان سبب اختيار بيت المقدس منفى للامراء يعود لاسباب منها ان النفي للقدس لا يعني السجن بل هو تحديد للاقامة ،

---

(١) راجع نص النقش في الفصل الثالث (موضوع الجوالي) .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٦٨٧ .

فهو يعيش داخل المدينة حرا طليقا يمارس اموره بحرية ، ولكن لا يمكنه مغادرتها الا باذن سلطاني(١) . ولأن الحياة في القدس أخف وطأة من غيرها من الاماكن التي اعتاد السلاطين نفي الامراء اليها ، ولاعتدال جوها وقربها من القاهرة . ولانها مدينة دينية ، فيقيم الامير هناك صحبة العلماء والفقهاء ، فلا يشعر بقسوة النفي لوجوده في ذلك الرحاب الديني الطاهر . ثم ان الامير المنفي لن يجد في القدس قوة تقف الى جانبه فيما لو حاول الثورة أو التمرد ، لان طبيعة المدينة لا تساعد على ذلك . فهي بمركزها الديني والعلمي تختلف عن كل من الكرك ودمشق وحلب وصفد وغزة التي يمكن ان ترفد اية ثورة أو تمرد على السلطة في القاهرة ، فلكل تلك الاعتبارات والامتيازات التي تمتع بها البيت المقدس ، تسابق السلاطين والامراء والاثرياء الى بناء المؤسسات الاجتماعية ووقفوا عليه الاوقاف العديدة في مصر وبلاد الشام كي تواصل مهمتها في تقديم الخدمات اللازمة لقاصديها (كالبيمارستانات) . كما اقيمت المؤسسات الاخرى التي تقدم خدماتها للمواطنين باجور معينة ، فتدخل السرور والراحة الى قلوبهم ، وتبعث فيهم النشاط (كالحمامات) التي هي في الحقيقة منتديات اجتماعية يلتقي فيها الرجال والنساء ، يتداولون ويتجاذبون اطراف الحديث ، وهي اشبه بالصالونات الاجتماعية للتعارف ونقل اخبار المجتمع .

أ ـــ البيمارستانات :

انشئت البيمارستانات منذ العصر الاموي ، وهي من مفاخر الحضارة العربية الاسلامية ، وزاد الاهتمام بها في العصر العباسي ، ولكن الايوبيين والمماليك استكثروا من هذه البيمارستانات وقاية لأهل البلاد من الاوبئة والطواعين التي ما فتئت تضرب المنطقة الفينة بعد الاخرى . ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على العلاج ، بل أدت دورا تعليميا ، فهي اشبه بكليات للطب ، فالطلبة يقسمون الى فرق ، كل فرقة تتخصص بفن معين ، فمنهم طبائعية (باطنية) وطائفة مجبرين (عظام) ، وجرائحية وفريق كحالين (العيون)(٢) . ووجد في البيمارستان قسم للصيدلة ، يتعلم الطلاب فيه كيفية تحضير العقاقير وطبخها وعمل المعاجين والمراهم وغيرها .

---

(١) سعيد عاشور ، بعض اضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٤٥ .

ووجد في البيمارستان أزمّة (سجلات) يدون فيها اسماء المرضى ، والنفقات التي يحتاجونها في ادوية واغذية . وكان الاطباء يبكرون الى البيمارستان ويتفقدون المرضى ، ويأمرون اعداد ما يحتاجونه من علاج . وهذه المعلومات كانت تسجل في لوح خاص يثبت على سرير كل مريض . ووجد لكل بيمارستان وقف خاص ينفق ريعه على شؤون هذا البيمارستان التي بلغت في احداها خمسة عشر دينارا يومياً[١] .

وقسم البيمارستان الى اقسام فهناك قسم خاص للنساء ، وآخر للجراحة ، وثالث للحميات ، ورابع للرمد ، وخصص قسم في بعضها للامراض العقلية[٢] ، ولكل بيمارستان ناظر يشرف على ادارته ، ويراقب المرضى والاطباء . ووجد في بيت المقدس بيمارستان منذ العصر الفاطمي ، فقد زار ناصر خسرو القدس سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٧ م) ، ووصفه بأنه (مستشفى عظيم) ، يصرف لمرضاه العلاج والدواء ، وله وقف يأخذ الاطباء مرتباتهم منه[٣] . وبقي هذا البيمارستان يقدم خدماته في فترة الاحتلال الفرنجي لبيت المقدس ، ففي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) زار الرحالة الالماني :
John of Wurzburg بيت المقدس وذكر ان البيمارستان يقع في الجهة الجنوبية المقابلة لكنيسة القيامة ، وانه يقوم بعلاج الفي شخص ، وله رؤوساء يشرفون عليه[٤] . وقد تمكن هذا البيمارستان من استقبال ٧٥٠ جريحا بعد معركة تل الصافية التي دارت بين الفرنج وصلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ م)[٥] .

وفي سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) زار الرحالة الاندلسي بنجامين التطلي بيت المقدس وأشار الى وجود بيمارستانين ، الاول يستوعب ٤٠٠ سرير ، أما الثاني فهو بيمارستان الملك

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٥٥ .
(٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٥٦ ، وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن في العصر المملوكي ، القسم الحضاري ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٧ .
(٤) Hume, (Edgar), Medical Work of the Knights Hospitallers of the Saint John of Jerusalem, 1940, pp. 13, 14.
(٥) Ibid., p. 8.
ولمزيد من التفاصيل عن معركة تل الصافية أنظر كتابي (أمارة الكرك الأيوبية) صفحة ١١٩ وما بعدها .

سليمان ويستطيع علاج نفس العدد ، وهؤلاء المرضى كانوا يأتون الى القدس من جميع أنحاء مملكة اللاتين في الشام[١] .

ووصف أسقف وزبيرج الذي زار القدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) هذا البيمارستان فقال : تقوم الكنيسة والبيمارستان في الجهة الجنوبية من كنيسة القيامة ، ولا يستطيع إنسان وصف جمال هذين المكانين . والبيمارستان مزود بالغرف والأسرة المهيأة لخدمة المرضى ، ولم نتمكن من معرفة عدد المرضى الذين يرقدون فيه ، ولكن لاحظنا أن عدد الأسرة كان يفوق الألف سرير[٢] .

وفي نفس هذه السنة ذكرت المصادر العربية أن صلاح الدين حرر بيت المقدس بعد معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ،فرتب أموره ، وجدد بناء أسواره ، وعمق خندقه . وبعد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) ، فوض صلاح الدين ولاية القدس الى الأمير عز الدين جرديك ، وزاد في أوقاف المؤسسات العلمية والاجتماعية التي أسسها فى القدس من ذلك رباط الصوفية فزاد في أوقافه[٣] . وكان قد جعل كنيسة صند حنا عند باب الأسباط مدرسة للشافعية فزاد في أوقافها أيضاً . أما الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار ، جنوب كنيسة القيامة والناحية المجاورة لها ، فقد إتخذها بيمارستانا للمرضى فأشغلت مساحة ١٧٠ × ١٥٠ ياردة ، وهيأ فيه العقاقير والأدوية ، ووقف عليه الأوقاف العديدة ، وجعل النظر في هذه الأوقاف للقاضي بهاء الدين يوسف بن رافع المعروف بابن شداد ، وسماه البيمارستان الصلاحي[٤] . أما دار الاسبتار فإن الامير شهاب الدين غازي حولها في سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) الى زاوية سماها (زاوية الدركاه) ، وكان نواب القدس ينزلون في هذه الزاوية قبل أن يتخذوا المدرسة الجاولية مركزاً لهم[٥] . وبقي هذا البيمارستان يؤدي دوره في العصر الأيوبي والمملوكي ، فالوثيقة رقم ٢٠ تاريخ ٧٦٨ هـ

---

(١) Benjamin of Tudela, op. cit., p. 83.
Hume, op. cit., p. 15.

(٢) Theodorich's Description of the Holy Land, London, 1896, p. 22.
Hume, op. cit., p. 16.

(٣) العماد الكاتب ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٦١٢ .

(٤) العماد الكاتب ، المصدر نفسه ، ص ٦١٢ .

(٥) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ . Hume, op. cit., p. 6.

من وثائق المتحف الإسلامي في القدس نصت على أن جعفر بن محمد أبي بكر السعاد من القدس ، وقف الدار الكائنة بخط باب العامود على مصالح البيمارستان الصلاحي (يسلك بذلك مسلك أوقاف البيمارستان المذكور وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً ، وحبساً دايماً محللاً ، لا يباع ولا يوهب ولا يملك بوجه من وجوه الملكان)[1] ، وهذا يؤكد استمرار البيمارستان الصلاحي يؤدي خدماته للمواطنين في العصر المملوكي علاجاً وتدريساً .

ويؤكد وجهة النظر التي ذهبنا إليها الرحالة الأجانب الذين زاروا القدس وقدموا لنا وصفاً لبيمارستانها ، ففي سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) زار الرحالة **Sir John Maundville** بيت المقدس ، فذكر قائلاً : على بعد ٢٠٠ خطوة الى الجنوب من كنيسة القيامة يوجد بيمارستان عظيم ، وهو البيمارستان الذي وضع أسسه الفرسان الاسبتارية ، وبداخل هذا البناء يوجد ١٢٤ عاموداً حجرياً . والى الشرق من البيمارستان تنهض كنيسة جميلة تسمى كنيسة **Our Lady the Great** وفي الغرب توجد كنيسة أخرى تدعى **Our Lady the Latin**[2] .

أما الرحالة الإلماني **Ludolph von Suchem** الذي عاش في فلسطين مدة خمس سنوات ٧٣٧ هـ — ٧٤٢ هـ (١٣٣٦ — ١٣٤١ م) ، فذكر ان البيمارستان الصلاحي ظل يؤدي دوره . وأشار الى أنه يقع قرب كنيسة القيامة ، وأنه بيمارستان عظيم يتسع لألف مريض . وجرت العادة في العصر المملوكي أن يدفع كل حاج قادم الى المدينة المقدسة بنيان فينيسيان **Two venetian Pennies** بدل معالجتهم في المستشفى . ويدفع هذا المبلغ مرة واحدة ، بغض النظر عن المدة التي يبقاها الحاج في المستشفى سواء أكانت يوماً واحداً أو سنة كاملة[3] .

وظل هذا البيمارستان مستخدماً لفترة ما في العصر العثماني ، ففي سنة ١٨٦٩ م زار الأمير فردريك أمير بروسيا بيت المقدس ، فنحه السلطان العثماني عبد العزيز بن محمود الثاني النصف الشرقي من البيمارستان الصلاحي . ثم وضع الجزء الجنوبي من النصف

---

(١) وثيقة رقم ٢٠ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

(٢) Hume, op. cit., p. 16.

(٣) Ibid., pp. 17-18.

الشرقي تحت تصرف الجماعة الدينية الانجليزية British order of Saint John [١] ثم قام الإلمان فيا بعد ببناء شارع يمر خارج البيمارستان ويقطعه من الشمال الى الجنوب وأطلقوا عليه إسم شارع الأمير فردريك Prince Frederick William وفصلوا ممتلكاتهم عن ممتلكات اليونانيين[٢] . وانشأوا بوابة عند مدخل شارع داود تحمل النسر الإلماني شعارهم ، ولم يكتفوا بذلك ، بل قاموا سنة ١٨٩٨م ببناء الكنيسة اللوثرية الحالية Lutheran Church ، وجعلوا بناءها على نمط بناء الكنائس القديمة ، وذلك برعاية وتشجيع وضغط الامبراطور الإلماني نفسه[٣] .

وهكذا فان البيمارستان الصلاحي إندثرت معظم معالمه وأقيمت مكانه الكنيسة اللوثرية وغيرها من المنشآت الأخرى منذ القرن التاسع عشر ، ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تتمثل في أربع قاعات كبيرة تقع بجانب دار الوكالة وجنوب الكنيسة اللوثرية . وهذه القاعات كبيرة الاتساع كانت تستخدم لإقامة المرضى ، فالقاعة الأولى والثانية والرابعة تستخدم حالياً لبيع الخضار ، أما الثالثة فهي بيزار لبيع التحف الخشبية والصدفية . وتحتوي هذه القاعات على عقود مدببة ، وتقوم على دعامات قوية مربعة ضخمة ، وبعد الانتهاء من القاعة الرابعة ، تأتي الى دهليز واسع من نفس نمط بناء العقود الأخرى ، هو الشارع الذي أقامه اللوثريون ليقسم البيمارستان الى قسمين ويقود الى الكنيسة اللوثرية .

ويمكن الوصول الى البيمارستان الصلاحي عن طريق باب السلسلة ، وفي مواجهة البيمارستان يقوم حالياً ما يسمى سوق الحصريين .

وذكرت المصادر عن وجود البيمارستان المنصوري في مدينة الخليل انشأه السلطان المنصور قلاوون في سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١م) ووقف عليه الأوقاف العديدة[٤] . والبيمارستان الفخري في مدينة الرملة بناه القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيوش المصرية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قبل سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١م)[٥] .

---

(١) Ibid., p. 6.

(٢) Hume, op. cit., p. 6.

(٣) Ibid., p. 6.

(٤) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ ، ٨٩ .

(٥) النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٩٦ .

٢ ـــ الحمامات :

تعتبر الحمامات من أهم المؤسسات الاجتماعية في الإسلام ، وكانت ظاهرة تعدد الحمامات في العصور الإسلامية واضحة ، فللحمام في العمارة الإسلامية مكانة خاصة ، فعادة الاستحمام من العادات الهامة في المجتمع الإسلامي لأنها مظهر من مظاهر الطهارة والنظافة التي يحض عليها الإسلام . وروعي في تخطيط تلك الحمامات أن تحتوي على ثلاثة بيوت أو قاعات ، فالبيت الأول مبرد مرطب يخلع فيه المرء ملابسه ، والثاني مسخن مرّخ ، والبيت الثالث مسخّن مجفف[١] . والمقصود من هذا التقسيم التدرج في درجة الحرارة حتى لا يتعرض المستحم للمرض من انتقاله فجأة من الجو البارد الى الحار وبالعكس .

ووجد في كل حمام قدر كبيرة من النحاس يسخن فيها الماء ، وينقل منها في أنابيب فخارية الى الأحواض ، وتبلط أرضيته ببلاد خاص ، وزينت جدران قاعاته بالنقوش الجمليلة . ويتزود الحمام بالمياه الباردة من برك خاصة أو بواسطة (السقا) الذي يجلب الماء بالروايا والقرب . وكان في كل حمام قومة وموظفون يقومون على خدمة المستحمين وتنظيف الحمام كل يوم ، ويشرف المحتسب على هذه الحمامات ، فيراقب ما يجري فيها حماية للفضيلة والأخلاق ومحافظة على نظافته وطهارته[٢] . ويستعملون فيها البخور في اليوم مرتين كي تبقى رائحتها ذكية ، كما يراعي عدم دخول المرضى هذه الحمامات كالمجذوم والأبرص ، وعلى كل مستحم أن يغطي عورته بمئزر خاص .

وخصصت حمامات للرجال وأخرى للنساء ، ولكن بعضها كانت تحدد أوقاتاً معينة للرجال وأخرى خاصة بالنساء . وانتشرت هذه الحمامات في المدن الشامية وقراها ، فوجدت الحمامات في دمشق وحلب وحمص وحماه وطرابلس وصفد والكرك وعمان وحسبان وعجلون[٣] ، والرملة ، والخليل ونابلس وغيرها من المدن ، وذكر ابن جبير في القرن السادس الهجري ان عدد حمامات دمشق مئة حمام[٤] . أما بيت المقدس فوجد به عدد من الحمامات نذكر منها : حمام السوق الكائن في سوق العطارين ، وحمام علاء

---

(١) ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ٢٤٠ .

(٢) ابن الأخوة ، المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

(٣) للمؤلف ، تاريخ شرقي الاردن في العصر المملوكي ، القسم الحضاري ، ص ١٨٧ .

(٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦١ .

الدين البصير في خط مرزبان جوار المدرسة اللؤلؤية ، وحمام العين ، وحمام الشفا ويعودان للقرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)[١] . وحمام البترك أو البطرك في حارة النصارى ، وهو وقف على الخانقاه الصلاحية[٢] ، وقد أشارت الوثيقة رقم ٤٦ تاريخ ٧٤٧ هـ عن سند إيجار هذا الحمام الى داود بن نصر وشقيقه أحمد بمبلغ ثلاثة عشر درهم فضة نقرة يومياً ، عشرة دراهم أجرة للحمام وثلاثة ترصد لتنظيفه . وقد دفع المستأجران القسط الأول وقدره ثلاثمائة درهم أجرة شهر كامل ، أما الباقي فيقسط ويدفع عند غروب شمس كل يوم[٣] . وذكرت المصادر عن وجود (حمام الملكة) في نابلس ، وقفه الأمير سنجر الدواداري الصالحي على مصالح الخانقاة الدويدارية التي انشأها في القدس سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م)[٤] .

وزودت هذه الحمامات ببرك خاصة لتزويدها بالمياه ، أو لجمع المياه القذرة فيها ، فحمام علاء الدين كانت له بركة كهذه ، وكذا حمام البترك ، وقد نصت الوثيقة رقم ٤٦ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس أن على المستأجرين نزح مياه هذه البركة .

---

(١) الارشيف التاريخي لقسم الآثار الإسلامية بالحرم القدسي الشريف .
(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٩ .
(٣) وثيقة رقم ٤٦ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .
(٤) Van Berchem, Jerusalem Ville, p. 214.

الفصل الخامس

الحياة العلمية في النيابة

١ — ازدهار الحركة العلمية في القدس في العصر المملوكي .

٢ — المدارس :

أولاً : نشوء المدرسة في الاسلام وانتشارها .

ثانيا : المدارس الموجودة في اروقة الحرم أو المطلة عليه .

ثالثا : المدارس الموجودة خارج اروقة الحرم :

أ — المدارس الواقعة في الجهة الشمالية من الحرم .

ب — المدارس الواقعة في الجهة الغربية من الحرم .

رابعا : الخوانق في بيت المقدس .

(١)
ازدهار الحركة العلمية في القدس في العصر المملوكي

خرجت اول بعثة علمية حجازية الى بلاد الشام بعد الفتوحات العربية الاسلامية مباشرة لتعلم اهلها وتثقفهم امور دينهم ، وهم : معاذ بن جبل الذي خرج الى فلسطين ومات في طاعون عمواس ودفن في غور الاردن ، وعبادة بن الصامت الذي أقام في حمص اولا ثم توجه الى فلسطين واليا على بيت المقدس للخليفة عمر بن الخطاب فأقام فيه الى ان توفي ، وابو الدرداء الخزرجي الذي اقام في دمشق فلم يزل فيها الى ان مات(١) .

وان استقرار الامور في بلاد الشام ساعد على قيام حركة علمية ارتبطت بالاسلام فكريا ، وتناولت موضوعاتها الدراسات الاسلامية الممثلة بعلوم القراءات والحديث والتفسير والفقه والدراسات العربية كعلوم النحو والبلاغة والشعر ، ثم الاهتمام بالدراسات الانسانية كالسيرة والمغازي والتاريخ . وكان للدراسات العقلية دورها ، فقد ظهرت بوادرها الاولى في العصر الاموي ، ولكنها تطورت وازدهرت في العصر العباسي متأثرة بعلوم الامم القديمة وحضاراتها .

ولما كانت فلسطين احدى كور الشام ، فقد امتدت اليها النهضة العلمية ونبغ من رجالها العديد في شتى العلوم والفنون ، فأول من حدث رواية القرآن بدمشق هشام بن اسماعيل ، وبفلسطين الوليد بن عبد الرحمن . ومن علماء فلسطين في القرن الاول الهجري نذكر : أوس بن أوس الصحابي الشاعر الذي سكن بيت المقدس والرملة ، وروح بن زنباع الجذامي الفلسطيني كان له اختصاص بالخليفة عبد الملك بن مروان ، ورجاء بن ابي سلمة الفلسطيني المحدث ومالك بن دينار الذي اقام في القدس . ورجاء بن حيوة الفلسطيني الكندي الاردني الفقيه العالم الذي كان يجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ويحيى بن عمرو السيباني من أهل الرملة (وسيبان بطن من حمير) .

---

(١) ابن الجوزي ، فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ١٣٠ .
محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ص ١٥ .
يوسف غوانمة ، علماء وفقهاء محافظة اربد في العصر الاسلامي ، منشورات جامعة اليرموك ، ١٩٨٠ م ص ٣ .

وكان القرن الثالث الهجري عصر العلوم والابداع الفكري في العراق ، فوصلت بغداد اوج عظمتها العلمية ، ولكن الشام لم تصل درجة بغداد والعراق ، وان كنا نرى اعدادا من العلماء ممن ينسبون الى دمشق وبيروت وصيدا وغزة وطبريا وغيرها من المدن .

ويعتبر القرن الرابع الهجري عصر الابداع الادبي والشعري في بلاد الشام ، ففيه نبغ فحول الشعراء الشاميين كأبي فراس الحمداني ، وأبي العلاء أحمد بن سليمان المعري ، وابي القاسم الحسن الواساني الدمشقي ، واحمد بن محمد الطائي الدمشقي ، وكشاجم الرملي (ت ٣٦٠ هـ) وغيرهم كثير . الا ان هذا الا ان هذا الابداع لم ينسحب على فلسطين وبيت المقدس بشكل خاص ، فقد وصف المقدسي مدينة بيت المقدس في كتابه احسن التقاسيم ، بأنها قليلة العلماء ، ومسجدها خلا من الجماعات والمجالس[١] ، ثم يتعرض الى فقهائها فيشير الى قلة البدعة فيهم[٢] ، والظاهر ان الصبغة التي رآها المقدسي غالبة على طبيعة الحياة الثقافية في القدس هي الصبغة التعبدية ، اما حلقات البحث والمناظرة والدرس التي رآها البلدان الاخرى اثناء تجواله فيها وهو الجغرافي والرحالة والعالم ، فلم يجدها في بلده القدس ، ففقهاؤها كانوا من ذوي الثقافة الدينية المحافظة . ولكن المقدسي يتطرق الى ناحية اخرى من الحركة العلمية في بيت المقدس ، فيشير الى كثرة الحذاق والاطباء ، وهذا يعني تأكيده جانب الثقافة المهنية التي اختارها بعض المثقفين في القدس ورسوخ التراث المهني والطبي والتقني[٣] . فبرز في هذا المجال أبو عبدالله محمد بن سعيد التميمي الطبيب ، والمقدسي الجغرافي ، وقد شغف هذان العالمان بوطنهما فلسطين . فالمقدسي الجغرافي عرف بلاده بقعة بقعه وتحدث عنها من جميع النواحي المعمرانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، فتحس عند قراءة كتابه (احسن التقاسيم) صدق انتمائه وشغفه بفلسطين وحبه الكبير اليها[٤] . وكذا التميمي النباتي الذي لم

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ط ٢ ، بريل ١٩٦٧م ، ١٦٧ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٨٣ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ص ٥٤٧ .
احسان عباس ، الحياة العمرانية والثقافية في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ١٨ .

(٤) احسن التقاسيم ، ص ١٦٦ .

يترك بقعة من ارض فلسطين الا وتعرّف عليها وعلى نباتاتها واستغلها في صنع الادوية وتركيبها [1] .

ويشير الدكتور احسان عباس الى فقر ثقافي في فلسطين في القرن الرابع الهجري ، فلم يكن في فلسطين آنذاك أي تميز في النواحي الادبية ، وكل ما هناك نماذج قليلة لبعض الادباء والشعراء ، ولكنها غير كافية لاعطاء رأى قاطع ومصيب في هذه الناحية [2] .

ثم يعود الانتعاش الى الحركة العلمية والثقافية في القرن الخامس الهجري ، فالعلوم الدينية كالحديث والفقه والتفسير تتصدر على يد ابناء البلاد انفسهم . وتصبح فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة قبلة العلماء والفقهاء الوافدين ، فتنتعش حلقات الدرس والمناظرة التي افتقدها المقدسي في بلده في القرن الرابع ، ويعود للقدس مكانتها العلمية والثقافية [3] . ومن علماء القدس في هذا العصر نذكر : نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي ، الـــذي درّس في القـــدس ودمشق وصور ولـــه عـــدة تصانيف (ت ٤٩٠ هـ) [4] ، وسلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي الضرير ، كان كثير الحفظ له عدة تصانيف (ت ٤٨٠ هـ) والحسن بن عبد الصمد بن الشخباء العسقلاني الناثر المجيد صاحب الخطب البديعة (ت ٤٨٢ هـ) [5] ، وغيرهم . وحظيت المدينة المقدسة في اواخر القرن الخامس الهجري باستقطاب مجموعات كبيرة من علماء المشرق والمغرب منهم : أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي الفهري (ت ٥٢٠ هـ) ، من كبار علماء المالكية الاندلسيين من طلابه في القدس العالم الأندلسي محمد بن عبدالله بن محمد بن عربي الاشبيلي (ت ٥٤٣ هـ) . فابن عربي يقول : (تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا ابي بكر الفهري الطرطوشي حديث أبي ثعلبة) [6] . والعالم ابن الكازروني الذي

---

(١) القفطي ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبعة دار الآثار ، بيروت ، ص ٧٤ ، ٧٥ . ابن أبي اصبيعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ٥٤٧ .

(٢) احسان عباس ، المرجع السابق ، ص ٢١ ، ٢٣ .

(٣) ابن عربي ، العواصم من القواصم ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤) ابن عربي ، العواصم من القواصم ، ص ١٦ ،
محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ص ٣٣ .

(٥) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٦) ابن عربي ، العواصم من القواصم ، ص ١٥ .

اخذ عنه ابن عربي وقال عنه (تمتعنا به ثلاث سنوات)[1] ، والغزالي الذي اعتكف في احدى مدارس القدس وبدأ في تأليف كتابه (احياء علوم الدين) . وقد ترافقت هذه الحيوية العلمية بظهور المدارس وانتشار حلقات الدرس والمناظرة في المدينة المقدسة . ثم ان المصادر ذكرت وجود بيمارستان عظيم في بيت المقدس ، فناصر خسرو الذي زار القدس سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٧ م) قال عن البيمارستان انه (يصرف لمرضاه العديدين العلاج والدوراء ، وبه اطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف)[2] ، مع العلم ان للبيمارستان مهمة اخرى تعليمية ففيه يتعلم الطلاب العلوم الطبية والصيدلانية .

ثم كانت الهجمة الصليبية الشرسة التي اجتاحت بلاد الشام واحتلت المدينة المقدسة يوم الجمعة ٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ (١٥ تموز ١٠٩٩ م) . فقتل الفرنجة كل سكان القدس بينهم ثلاثة آلاف ما بين عالم وعابد ومعتكف[3] . وباحتلال القدس والساحل الفلسطيني خمدت الحركة العلمية في فلسطين طيلة الاحتلال الفرنجي لها .

وبعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) على يد صلاح الدين الايوبي شهدت المدينة المقدسة حياة فكرية وثقافية نشطة ، فصلاح الدين لم يدخل القدس الا صحبه عدد كبير من العلماء الافاضل بحيث لم يتخلف معروف من الحضور[4] . وبعد ان رتب امور المدينة أنشأ فيها مدرسة للشافعية ، والخانقاه الصلاحية ، والبيمارستان الصلاحي .

وقد تعصب الايوبيون لمذهب السنة ، وحاربوا مذهب الشيعة ، فأقاموا المدارس في ربوع مصر والشام لهذه الغاية ، وزادهم تعصبا للدين قيام الحروب الصليبية . لذا شجعوا الدراسات الدينية واللغوية ، وان كنا نجد ان بعضهم شجع الدراسات العقلية كالمعظم

---

(١) ابن عربي ، المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٧ .

(٣) عن الصورة الوحشية لما فعله الفرنج في المدينة المقدسة انظر : Fulcher of Charters, p. 122. William of Tyre, vol. 1, p. 372.

وللباحث ، بيت القدس في الحملة الصليبية الاولى ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م ، ص ١٤ وما بعدها .

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ٨٢ .

عيسى وابنه الملك الناصر داود . فملوكهم احاطوا انفسهم بخيرة العلماء والفقهاء في شتى العلوم والفنون ، ووضعت المصنفات في مختلف العلوم الدينية ، وعلوم العربية ، والعلوم العقلية والطبيعية ، والعلوم الانسانية ، واستأثرت المدينة المقدسة بخيرة هؤلاء العلماء .

اما في العصر المملوكي فقد بلغت الحياة الفكرية في المدينة المقدسة أزهى أدوارها ، فاستقطبت العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب على حد سواء ، منهم الامام الفاضل مسعود ابن خطيب مالقة بالاندلس ، نزل في القدس بمدارس المالكية وكان يقرىء العربية وعبارته جيدة (ت ٧٨٩ هـ) . والشيخ الرباني علاء الدين علي العشقي البسطامي (عشق بلدة من اعمال خراسان) ، وتلميذه الشيخ جلال الدين الصالح الرباني الذي اشتغل بالتدريس في القدس وصنف رسالة مفيدة ، وكانت له زاوية في القدس توفي فيها سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) ، والسيد الشريف موسى بن أحمد بن منصور شرف الدين العدوي المغربي المالكي ، اشتغل بالعلم وله اعتراضات وسؤالات واستنباطات حسنة ، اقام في القدس مدة وتوفي في الخليل سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٣ م)[١] . بل ان عددا كبيرا منهم كان يفضل الاقامة في بيت المقدس لاعتدال جوه ووقوعه داخل دائرة النشاط الحضاري للدولة المملوكية[٢] . وان كتب التراجم لتزخر باعداد كبيرة ممن ينتسبون للمدينة المقدسة ، أو الوافدين اليها ، نجدهم في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، والضوء اللامع للسخاوي ، وشذرات الذهب لابي الفلاح ، والانس الجليل للحنبلي وغيرها من كتب التاريخ المختلفة كالسلوك للمقريزي ، والنجوم الزاهرة لابي المحاسن وبدائع الزهور لابن اياس .

ومن الملاحظ ان المدينة المقدسة اصبحت من مراكز الاشعاع العلمي والفكري والحضاري في العصر المملوكي ، خصوصا بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وهجرة علماء العراق الى مصر والشام وسكناهم في امهات مدنها كحلب ودمشق وبيت

---

(١) ابن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ، ١٩٧٧ م ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩٨ .

(٢) سعيد عاشور ، بعض اضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢ .

المقدس والقاهرة . وقد تمثل هذا النشاط في عدد كبير من المؤلفات والرسائل ارتبطت ولادتها في المدينة المقدسة ، وكان للعلوم الدينية النصيب الاوفر في تلك الدراسات والبحوث ، ومع ذلك فقد نبغ العديد في علوم الادب واللغة والنثر والتاريخ والعلوم العقلية والتجريبية ، مما يدل على اتساع دائرة النشاط العلمي في بيت المقدس في العصر المملوكي واستمراره واتصال حلقاته حتى نهاية دولتهم .

(٢)
المدارس

أولاً : نشوء المدرسة في الإسلام وانتشارها :

عرفت بلاد الشام المدارس منذ العصر الهليني والروماني والبيزنطي ، وكانت مدرسة بيروت إحدى أربع مدارس مشهورة في الدولة الرومانية ، وقد تهدمت هذه المدرسة قبل الإسلام بسبب الزلازل التي ضربت المدينة في القرن السادس الميلادي ، ثم أن حريق سنة ٥٦٠ م أتى على معظم بيروت ومعاهدها العلمية . وهناك مدارس أخرى اشتهرت في بلاد الشام في ذلك العصر نذكر منها : مدرسة قيسارية وغزة وأريحا وتدمر وبصري وصيدا وجدرا (أم قيس) ، وقد تخرج من هذه المدارس العديد من العلماء والخطباء والفلاسفة[١] . وهكذا فان بلاد الشام عرفت المدارس والمعاهد العلمية قبل مجيء الإسلام .

وقد اختلفت الآراء حول نشوء المدرسة في الإسلام ، ولما كان العلم من إختصاص الجماعة الإسلامية ، فقد استخدمت الجماعة المساجد معاهد للتعليم . فالتعليم لم يكن من إختصاص الخلفاء والسلاطين ، بل كان من اختصاص الأفراد والجماعة ، وقد تكفلت الجماعة الإسلامية بمعاش المعلمين سواء أولئك الذين يعلمون الصبيان القراءة والكتابة أو الشيوخ الاجلاء الذين يعلمون الطلاب الكبار في المسجد علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب . ولم تقرر الدولة راتباً لمعلم أو شيخ الا ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، فالتدريس بأجر أو راتب معلوم شارع منذ ذلك القرن[٢] .

والمعروف أن الدرس والتدريس نشأ بنشأة الإسلام ، فروي أن جماعة من الصحابة كانوا يعلمون في مسجد قباء في عهد الرسول . ويذكر ابن خلكان أن أبا عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ (المعروف بربيعة الرأي) كانت له في مسجد الرسول بالمدينة

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) حسين مؤنس ، المساجد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١م ، ص ٣٥ .

(حلقة وافرة) ، وعنه أخذ مالك بن أنس وأشراف أهل المدينة[1] . وقد انتشرت هذه الحلقات في المساجد الجامعة في الحجاز والشام ومصر والمغرب والأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية وعواصمها .

وسمي الدرس (حلقة) لأن الطلاب كانوا يتحلقون حول الشيخ أي ينتظمون في حلقة أو دائرة[2] ، وهذه الحلقات كانت تتسع أو تضيق تبعاً لعدد الطلاب . وكان كل شيخ يستند الى سارية أي أسطوانة[3] ، ولكل سارية وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس[4] ، وتبقى هذه الاسطوانة وقفاً عليه ما دام يقوم بمهمة التدريس في المسجد ، وفي بعض الاحيان تبقى معروفة بإسمه حتى بعد وفاته[5] . وسمي مجلس الشيخ في بعض الاحيان (طاقا)[6] ، وأطلق بعضهم على الحلقة (زاوية) ، فابن جبير ذكر في وصفه للجامع الأموي أن (للمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي)[7] . وتبلغ الحلقات في بعض المساجد أعداداً كبيرة ، وقد حظي المسجد الأقصى كغيره من المساجد الجامعة بحلقات العلم والتدريس والمناظرة ، وذكر ابن عزاي أنها بلغت في القرن الخامس الهجري ثمان وعشرين حلقة ، وكان التركيز يدور في تلك الحلقات على ثلاثة علوم هي : علم الكلام وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف[8] ، وبقي التدريس قائماً في المساجد قروناً طويلة منذ العصر الإسلامي الأول .

وقد اختلف المؤرخون في نشأة المدارس في الاسلام ، فأول إشارة للمدارس ذكرها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم الذي ألفه سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥ م)[9] . فذكر أنه

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
(٢) ابن جبير ، الرحلة ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ٢٤٤ .
(٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٤٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .
(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ٢٩٥ .
أحمد فكري ، مساجد القاهرة مدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ج ٢ ص ١٤٤ .
(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ٢٩٤ .
أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٤٤ .
(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٤٥ .
(٨) إحيان عباس ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨ .

اختلف الى المدارس عند جمعه مادة كتابه فقال : (وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت في المساجد وذكرت في الجوامع واختلفت الى المدارس ودعوت في المحافل)[1] . واعتبر المؤرخون أن نيسابور الموطن الذي نشأت المدارس فيه أو انتشرت منه وذلك بعد (الاربعمائة) من الهجرة (أوائل القرن الحادي عشر الميلادي) ، وان أقدمها عهداً مدرسة ابن فورك قبيل سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م)[2] . ولكن المقريزي ذكر أن (المدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بني مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية)[3] ، نسبة الى أبي بكر البيهقي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)[4] .

ثم انتشرت المدارس بعد هذا التاريخ على يد نظام الملك الوزير السلجوقي المشهور (ت ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م) ، فمنذ أن تولى الوزارة في سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) إهتم ببناء المدارس (فبنى ببغداد مدرسة ورباطاً وبنى مدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور ومدرسة بهراة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ، أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ط ٢ فسبادن ، ١٩٧٤م ص ٣٤٤ ،
وأنظر : السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ج ٢ ص ٢٥٥ .
محمد بن الحسن بن فورك ، عالم جليل له تصانيف جمة في الكلام بلغت مصنفاته قريباً من مائة ، كان رجلاً صالحاً له مناظرات ، استوطن نيسابور وبني له بها مدرسة ، وأحيى الله به أنواعاً من العلوم ، كانت وفاته سنة ٤٠٦ هـ .
(الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ص ٣٤٤) .
نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان ، ذات فضائل جسيمة ، وصفت بأنها معدن الفضلاء ومنبع العلماء .
معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٥٧م ، ج ٥ ص ٣٣٢) .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ط بولاق سنة ١٢٧٠ هـ ، صورة بالاوفست عن دار الكتاب اللبناني ، ج ٣ ص ٣١٤ .
وأنظر :
السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) أحمد بن الحسن بن علي بن عبدالله البيهقي النيسابوري ، كان أحد الأئمة المسلمين وهداة المؤمنين والدعاة الى حبل الله المتين ، فقيه جليل حافظ كبير ، ولد سنة ٣٨٤ هـ رحل في طلب العلم وشيوخه أكثر من مائة ، اشتغل بالتصنيف وصف بأنه كان أوحد زمانه وأحذق المحدثين وأحدهم ذهناً وأسرعهم فهما ، بلغت تصانيفه ألف جزء ، توفي بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ .
(السبكي ، طبقات الشافعية ، ط ٢ على الأوفست ، دار المعرفة ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٤ ، ٥) .

ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ، ومدرسة بأمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل ، ويقال أن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة)[1] . ويرى السبكي والمقريزي أن المدرسة النظامية ببغداد أشهر ما بني من المدارس قديماً ، لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء والطلبة معاليم معينة[2] .

وقد أشارت المصادر الى وجود (المدارس) في بيت المقدس ، في الفترة نفسها ، فابن عربي ذكر عند زيارته لبيت المقدس في أواخر القرن الخامس الهجري عن دخوله الى (مدارس) الحنفية والشافعية ، وميز منها مدرستين الأولى مدرسة الشافعية بباب الأسباط ونرى أن هذه المدرسة هي التي أطلق عليها فيما بعد (المدرسة النصرية) أو الناصرية نسبة الى الشيخ نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي الشافعي (ت ٤٩٠ هـ) ، وبهذه المدرسة اعتكف أبو حامد الغزالي سنة ٤٨٨ هـ وشرع في كتابة سفره الكبير (أحياء علوم الدين)[3] . والثانية مدرسة أبي عقبة الحنفية جوار كنيسة القيامة[4] .

ولكننا نشير الى أن بلاد الشام عرفت المدارس قبل ذلك بقرن من الزمان ، أي من القرن الرابع الهجري ، فالمقدسي أشار الى (المدارس) سنة ٣٧٥ هـ ، ثم أن المدرسة الصادرية بدمشق أسست سنة ٣٩١ هـ[5] . وبذا تكون بلاد الشام قد عرفت المدارس قبل نظام الملك ، وكانت هذه المدارس موئل العلماء والفقهاء ، يرتادونها من جميع أنحاء العالم الإسلامي . أما عن النظامية في بغداد فذكر السبكي والمقريزي أنها (أشهر ما بني من المدارس) لأنها أول مدرسة قرر فيها للفقهاء والطلاب المعاليم (الرواتب) ولم تكن أقدمها . لذا فاننا نتحفظ على ما أورده المقريزي في خططه من أن أهل نيسابور هم أول من بنوا مدرسة في الاسلام ، فالادلة التي أوردناها سابقاً تشير الى أن المدارس وجدت في

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ١٣٧ .
(٢) السبكي ، المصدر نفسه ، ج ٣ ص ١٣٧ .
المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤ ، عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف القدس ، ١٩٦١م ، ج ١ ص ٢٤٠ .
(٤) إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ ص ١٥٤ .

القدس ودمشق قبل سنة ٤٠٦ هـ ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار أن بلاد الشام عرفت المدارس منذ العصر الروماني . ومن هنا فلن ندعي خطأ اذا قلنا أن المدارس نشأت في بلاد الشام وفي دمشق وبيت المقدس بالذات قبل نيسابور ، وان العلماء من المغرب والمشرق أموا تلك المدارس وأقاموا فيها .

ثم انتشرت المدارس وازدادت في العصر الايوبي ، فالايوبيون اهتموا ببناء المدارس في مصر والشام لنشر المذهب الشافعي والقضاء على المذهب الشيعي بعدما أنهوا الخلافة الفاطمية الشيعية . ويحدثنا ابن جبير الذي زار العراق والشام في أوائل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) عن وجود ثلاثين مدرسة في بغداد أشهرها المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك[١] . ووجد في حلب ست مدارس وبيمارستان واحد[٢] ، أما حماه فوجد فيها ثلاث مدارس وبيمارستان[٣] ، وفي حمص مدرسة واحدة وبيمارستانا واحداً[٤] ، أما فلسطين ومدن الساحل الشامي فكانت تحت الاحتلال الصليبي .

وبعد أن حرر صلاح الدين الأيوبي المدينة المقدسة سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) رتب أمور المدينة وانشأ فيها الخانقاة الصلاحية جوار كنيسة القيامة ، وجعلها للصوفية ، وانشأ مدرسة للفقهاء الشافعية عند باب الأسباط ووقف عليها الوقوف العديدة[٥] . وبعد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) زار صلاح الدين بيت المقدس وفوض الولاية فيه للأمير عز الدين جرديك ، وفوض الأمير علم الدين قيصر أعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم ، وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاستبار بقرب كنيسة القيامة بيمارستانا للمرضى . وفوض النظر في أوقاف هذه المؤسسات العلمية والاجتماعية الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع المعروف بابن شداد صاحب كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)[٦] .

ثم زاد انتشار المدارس في بلاد الشام في العصر الايوبي واوائل العصر المملوكي ، فذكر ابن شداد عز الدين محمد (ت ٦٨٤ هـ) في كتابه الاعلاق الخطيرة عن وجود

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .
(٥) العماد الكاتب ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد صبح ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ١٤٥ .
(٦) العماد الكاتب ، المصدر السابق ، ص ٦١١ ، ٦١٢ .

ست واربعين مدرسة في مدينة حلب وظاهرها[(١)] . اما مدارس دمشق فبلغت في عهد ابن شداد تسعين مدرسة للمذاهب الاربعة[(٢)] . وكانت المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ (١٢٢٦ — ١٢٤٢ م) في بغداد خير نموذج لمدارس هذا العصر ، فقد وصفت بأنها اول جامعة في العالم الاسلامي اهتمت بتدريس علوم القرآن ، والسنة والفقه وعلوم اللغة العربية والرياضيات ، وعلم الطب ، وقسمة الفرائض والتركات ، ومنافع الحيوان ، وحفظ قوام الصحة وتقويم الابدان ، وبذا جمعت معظم العلوم العقلية والدينية واللغوية[(٣)] .

وقد شهد بين المقدس في العصر المملوكي قفزة هائلة في بناء المدارس والاربطة والخوانق والزوايا ، وانسحب ذلك على مصر وبلاد الشام . فاهتم السلاطين والامراء باقامة المنشآت العلمية والدينية والخيرية والاجتماعية في بيت المقدس لتوفير اسباب الحياة الطيبة لرواد وسكان القدس وتنشيطه بعد تحرره من الخوف والغربة الطويلة بيد الفرنج . فجعلوا منه (نيابة مستقلة) وجعلوا فيه نائبا برتبة كبيرة ، واقاموا عشرات الابنية ووقفوا فيه الوقوف الهائلة . فأصبح بيت المقدس في العصر المملوكي قبلة العلماء والأدباء وطلاب العلم من المغرب والمشرق ، واضحى بؤرة اشعاع فكري وحضاري في بلاد الشام ، وامه العلماء والفقهاء واصحاب الفكر من جميع انحاء العالم الاسلامي للاقامة والتحصيل ، فازدادت مدارسه فبلغت نيفا واربعين مدرسة . وقد قامت دراسات وابحاث عديدة قديمة وحديثة عن مدارس بيت المقدس منها ما ذكره ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار ، ولكن الحنبلي اسهب في ذكر مدارس القدس في كتابه الانس الجليل ، الذي يعتبر بحق خير مصدر عن تاريخ القدس في العصر الوسيط ودراسة للمنهاجي السيوطي في مخطوطه اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى ذكر فيها بعض المدارس . وهناك دراسات حديثة عن هذه المدارس في مقدمتها كتاب فان برشيم (Van Berchem) الخاص بالقدس يتحدث فيه عن هذه المدارس ونقوشها ورسم مخططات لبعضها . ثم كتاب المفصل في تاريخ القدس لعارف العارف ، وتعرض محمد

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ج ١ ق ١ ، دمشق ، ١٩٥٣م ، ص ٩٦ — ١٠٧ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، الجزء الخاص بتاريخ دمشق ، ١٩٥٦م ، ص ١٩٩ — ٢٥٩ .

(٣) ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، ط ٢ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٥م ، ج ١ ص ٢٧ .

كرد علي لهذه المدارس في كتابه خطط الشام . ولا بد من ذكر جهود المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس الذي يقوم مهندسوها وعلماؤها بمساعدة القسم الهندسي بوزارة الاوقاف في القدس برفع العديد من هذه المدارس ورسم مخططاتها . وقد نشرت هذه المدرسة عدة ابحاث عن مدارس القدس في مجلتها ليفانت (LEVANT) واصدرت نشرة بعنوان (الابنية الاثرية في القدس الاسلامية) سنة ١٩٧٧ م اعدها المهندس بورغوين ، وهذه النشرة اول فهرس للعمارة الاسلامية في القدس . وصدر في عمان حديثا دراسة للزميل الدكتور كامل العسلي بعنوان (معاهد العلم في بيت المقدس) سنة ١٩٨٠ م . اما دراستي في بحثي هذا عن مدارس القدس فقد توخيت فيها دراسة تلك المدارس التي ما زالت اماكنها معروفة للآن واهتديت بفهرس المهندس بورغوين في ترتيبها . فبدأت اولا بالمدارس الموجودة داخل اروقة الحرم أو المطلة عليه ثم المدارس الموجودة خارج الحرم . واعتمدت في دراسة تلك المدارس على المصادر التاريخية المتوفرة ، فطبيعة بحثي تطلبت مني هذه الدراسة ، كي يجيء البحث عن (نيابة بيت المقدس) متكاملا من النواحي الطبوغرافية والادارية والاقتصادية والسكانية والثقافية .

ثانيا : المدارس الموجودة في اروقة الحرم أو المطلة عليه :

معظم أروقة الحرم القدسي من بناء المماليك والقليل منها بني في العصر الايوبي ، والاروقة عبارة عن دعامات حجرية ضخمة تعلوها العقود والقباب ، وجميعها مبنية من الحجر. أما ارضيتها فكسية ببلاطات حجرية وترتفع هذه الاروقة عن ساحة المسجد الاقصى ببضع درجات .

فالاروقة التي بين باب الاسباط وباب حطة بنيت في عهد الملك الاشرف شعبان بن حسين سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) . أما الاروقة الواقعة بين باب حطة وباب العتم فهي من بناء الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم عيسى نائب السلطنة في القدس ، وناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل في عهد السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م)[١] . أما الاروقة الموجودة غربي باب العتم فهي قديمة الا انها جددت سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في عهد الملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وقد اثبت ذلك في لوحة تأسيسية غربي باب العتم عليها النص التالي :

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧١ .

« جدد هذا الرواق في ايام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمدلله وحده ، في ولاية الامير الاجل عز الدين عمر بن يغمور »[١] .

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد بنى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) الاروقة الواقعة بين باب الغوانمة وباب الناظر في الجهة الغربية من ساحة الحرم . واثبت ذلك في لوحة تأسيسية مثبتة على حائط باب الناظر من الجهة الجنوبية منقوش عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، انشىء هذا الرواق المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاوون اعز الله انصاره بنظر العبد الفقير الى الله بلناق بن خبان الخوارزمي تقبل الله منه وذلك سنة سبع وسبعمائة[٢] .

وللناصر محمد بن قلاوون آثار جليلة في المدينة المقدسة ، فقد بنى ايضا الاروقة الواقعة غربّي الحرم بين باب السلسلة وباب المغاربة ، ونقش ذلك على لوحة رخامية موجودة فوق النافذة الشرقية للمدرسة التنكزية جنوبي باب السلسلة ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم انشىء هذا الرواق في ايام مولانا السلطان الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون اعز الله انصاره بنظر الامير شرف الدين موسى بن حسن الهدباني في سنة ثلاث عشرة وسبع ماية »[٣] .

أما المدارس الموجودة في هذه الاروقة أو المطلة على الحرم فهي :

---

(١) مباني الحرم القدسي الشريف ، المكتب المعماري الهندسي لاصلاح وعمارة الصخرة المشرفة بالقدس ، القاهرة ، ص ١٥ .

(٢) مباني الحرم القدسي الشريف ، المكتب المعماري الهندسي لاصلاح وعمارة الصخرة المشرفة بالقدس ، القاهرة ، ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ . وانظر : المنهاجي السيوطي ، اتحاف الاخصا ، لوحة ٤٦ أ (مخطوط) .

١ ــ المدرسة الغادرية :

تقع بين مئذنة باب الاسباط وباب حطة شمالي الحرم ، بنتها (مصر خاتون) زوجة الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٢ م) في عهد الملك الاشرف برسباي سلطان مصر المملوكية . أما لوحتها التأسيسية المثبتة في واجهتها فقد محيت ولم يبق منها سوى الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ... الملك الاشرف خلد الله ملكه وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر من شهور ... »[١] .

ولكن الاستاذ عارف العارف ذكر ان النقش كان نصه ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، انشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الامير ناصر الدين محمد بن القادر في ايام مولانا السلطان الملك الاشرف خلد الله ملكه ، وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست وثلاثين وثمانماية »[٢] .

٢ ــ المدرسة الكريمية :

بنى هذه المدرسة كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم بن هبة الله بن السديد ، ناظر الخاص السلطانية سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وتقع المدرسة شمالي الحرم ملاصقة لباب حطة من جهة الشرق ، وذكر ابن فضل الله العمري ان طول هذه المدرسة من الشرق الى الغرب خمسة وعشرون ذراعا . وفي سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) زارها الرحالة ابن بطوطة وعدها خانقاة وقال ان من فضلاء القدس (شيخ الخانقاه الكريمة أبو عبدالله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس)[٣] .

(١) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٤ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٠ ، عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ج ١ ، القدس ١٩٦١ م ، ص ٢٥٣ .

التسجيل بقسم الآثار بدائرة الاوقاف الاسلامية بالمسجد الاقصى .

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩٢٤ م ، ج ١ ص ١٥٧ ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٥٥ . الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٩ ، عارف العارف ، المفصل ج ١ ص ٢٤٤ .
=

٣ — المدرسة الباسطية :

تقع بالقرب من باب العتم شمالي الحرم ، وتطل على المدرسة الدويدارية واول من اختطها وقصد عمارتها شيخ الاسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين ، الا انه توفي قبل اتمامها . فأكمل عمارتها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش وذلك سنة ٨٣٤ هـ (١٤٣٠ م) في عهد السلطان الاشرف برسباي . وقد استغلت هي والدويدارية للتدريس في الوقت الحاضر(١) .

٤ — المدرسة الامينية :

تقع في الجهة الشمالية من الحرم الى الغرب من باب العتم (شرف الانبياء) ، نعتها ابن فضل الله العمري (بزاوية الصاحب أمين الدين المعروف بأمين الملك) ، وذكر بأنه يمكن الصعود إليها من الرواق الواقع غربي باب العتم . بنى هذه المدرسة الصاحب أمين الدين عبدالله سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وفي الطابق الأرضي منها دفن عدد من آل الإمام وعلمائهم منهم : الشيخ أسعد الإمام ، والشيخ يوسف ، والشيخ محمد صالح ، والشيخ ابراهيم ، ودفن معهم أيضاً الشيخ يحيى شرف الدين بن قاضي الصلت . تحولت المدرسة في الوقت الحاضر الى دار للسكن(٢) .

= كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم بن هبة الله بن السديد ، ناظر الخاص ووكيل السلطان وعظيم دولته وهو اول من باشر هذه الوظيفة بتجمل ولم تكن تعرف اولا . أصله من كتبة النصارى ثم اسلم كهلا في ايام السلطان بيبرس الجاشنكير وكان كاتبه . ثم اصبح في خدمة الناصر محمد بن قلاوون فعينه ناظرا للخاص وهو من جملة من ناله السعادة والوجاهة عنده وصار اعز الناس عليه . الا ان السلطان غضب منه فأخرجه الى الشوبك ثم نقله الى القدس ثم ارسله الى سجن اسوان . وقيل ان كريم الدين شنق نفسه بعمامته ، وقيل ان الناصر محمد امر بقتله سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) . (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط مطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٣٨) .

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٩ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٣ .
التسجيل بقسم الآثار بالمسجد الاقصى .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٥٨ .
الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٩ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٥ .

٥ — المدرسة الفارسية :

تقع داخل الحرم في جهته الشمالية ، متوسطة بين الامينية شرقاً والملكية غرباً . واقفها الأمير فارس البكي بن الأمير قطلو ملك ابن عبدالله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩ م) في عهد السلطان محمد بن قلاوون وفيما بعد تحولت هذه المدرسة الى دار للسكن[١] .

٦ — المدرسة الملكية :

في الجهة الشمالية من الحرم بين الفارسية من الشرق والمدرسة الاسعردية من الغرب على يمين الداخل من باب العتم . بناها الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار سنة ٧٤١هـ (١٣٤٠ م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون . ذكرها ابن فضل الله العمري ونعتها (بمدرسة آل ملك) ، وذكر أنها تقع فوق الرواق المخصص لصلاة النساء قرب باب شرف الانبياء (العتم) ، ويمكن الصعود إليها من سلم داخل هذا الرواق . وهناك لوحة تأسيسية على حجر رخامي مثبتة على حائطها القبلي المطل على ساحة الحرم نقش عليه النص التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى الحاج الأمير الجوكندار الملكي الناصري ، غفر الله له حياً وميتاً ولمن دعا له بالرحمة والمغفرة . وكان الفراغ منه في شهر الله الحرام غرة عام أحد وأربعين وسبع ماية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام »[٢] .

وتحولت هذه المدرسة فيما بعد الى دار للسكن[٣] .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٧ .
التسجيل بقسم الآثار بالمسجد الأقصى .

(٢) راجع النص في مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٥ .

(٣) وعن المدرسة أنظر :
ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٥٩ ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٨ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٦ .

٧ ــ المدرسة الاسعردية :

تقع شمالي الحرم الى يمين الداخل من باب العتم بجوارالمدرسة الملكية وفوق رواق النساء ، ذكرها ابن فضل الله العمري ونعتها (بخانقاه الاسعردي) وقال : أنها تقع والمدرسة الملكية فوق الرواق السالف الذكر ، ويصعد إليها من درج داخل ذلك الرواق .

وذكر العمري أن بانيها هو مجد الدين الاسعردي التاجر(١) ، ولكن الحنبلي قال ان واقفها الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الاسعردي سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨ م)(٢) ، وذكر العارف أنها بنيت حوالي سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٨ م)(٣) . إلا أننا نرى غير ذلك ، فالمدرسة ذكرها العمري الذي توفي سنة ٧٤٩هـ ، فهي إذن موجودة قبل هذا التاريخ ، ونرى أن التاريخ الذي أورده الحنبلي هو تاريخ حجة الوقف وليس البناء . وقد رممت المدرسة حديثاً واستخدم قسم منها داراً للكتب وقسم للسكن .

٨ ــ المدرسة الصبيبة أو النصيبية :

تقع في الجهة الشمالية من الحرم بجوار المدرسة الجاولية ، بناها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد الكركي عندما تولى بنيابة بيت المقدس . وكان علاء الدين قد تولى نيابة قلعة الصبيبة وقلعة نصيبين قبل تولية القدس ، وتوفي في دمشق سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق فنقل جثمانه الى القدس ودفن في مدرسته(٤) . وقد أضيفت هذه المدرسة حديثاً الى المدرسة الجاولية لتشغلها المدرسة العمرية الحالية مع مجموعة من الأبنية الأخرى .

---

(١) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٨ .
(٣) عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٨ .
(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٨ ، محمد كرد علي ، مخطط الشام ، ج ٦ ص ١١٩ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٢ .

٩ ــ المدرسة الجاولية :

في الركن الشمالي الغربي من المسجد الأقصى قرب منارة الغوانمة مطلة على الحرم ، ذكرها ابن فضل الله العمري فقال : (وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة علم الدين سنجر الجاولي رحمه الله وليس لها استطراق الى الحرم)(١) . والملاحظ أن جدران المدرسة المطلة على الحرم بنيت فوق منطقة صخرية تستطيع ملاحظتها عندما تقف أسفل هذا الجدار من داخل الحرم . وبأني هذه المدرسة الأمير علم الدين سنجر الجاولي بحدود سنة ٧١٣هـ (١٣١٢م) في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في هذه السنة كان سنجر الجاولي نائباً في غزة وبالإضافة الى نيابة غزة عهد إليه السلطان ولاية القدس وبلد الخليل ونابلس وقاقون ولد والرملة . ثم انتدبه السلطان في نفس السنة لايصال الماء من عين مدينة الخليل الى القدس (ولم يزل مجداً في العمارة مصراً على اعتماد الإشارة الى أن فار الماء بالبيت المقدس بعد فراره)(٢) .

وقد ناقشت في الفصل الأول من هذه الدراسة تاريخ تحول هذه المدرسة الى (دار للنيابة) ، وفي رأينا أن التحول تم بعد سنة ٧٩٦ هـ ، ثم إتخذها النواب في أواخر القرن التاسع الهجري مكاناً لسكناهم ، وذلك في حياة مجير الدين الحنبلي فيقول (وهي التي صارت في عصرنا سكناً للنواب بالقدس الشريف)(٣) . وتشغل المدرسة العمرية الحالية في القدس مجموعة من الأبنية من ضمنها المدرسة الجاولية(٤) .

١٠ ــ المدرسة المحدثية :

تقع عند قبو باب الغوانمة في الركن الشمالي الغربي من ساحة المسجد الأقصى واقفها رجل من أهل العلم والفضل هو المحدث عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الاردبيلي

---

(١) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ج ١ ، لوحة ٩٨ (مخطوط) .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة ، راجع الفصل الأول موضوع (دار النيابة)
وعن المدرسة الجاولية أنظر :
Van Berchem, Jerusalem Ville, Le Caire, 1922, pp. 226, 233, 240.

سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) في عهد السلطان صلاح الدين محمد . وحديثاً أضيف قسم من هذه المدرسة الى المدرسة العمرية الحالية والباقي ظل داراً للسكنى(١) .

١١ ـــ المدرسة المنجكية :

وتقع في طرف الحرم من الناحية الغربية الى الشمال من باب الناظر ، فوق مبتدأ الاروقة الغربية للحرم . بناها الأمير سيف الدين منجك بأمر السلطان الناصر حسن ، وعندما قتل السلطان سنة ٧٦٢هـ (١٣٦١م) بناها لنفسه فنسبت اليه(٢) . وقد إتخذها المجلس الإسلامي الأعلى في القدس مقراً له ، ثم أصبحت مقراً لرئيس الهيئة الإسلامية ودائرة الأوقاف العامة بالقدس .

١٢ ـــ المدرسة الحسنية :

تقع في طرف الحرم من الناحية الغربية جوار باب الناظر ، وتعلو أول الاروقة الغربية بالقرب من المدرسة المنجكية . بنيت سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) ، في عهد السلطان الأشرف برسباي ، وواقفها هو الأمير حسن الكشكيلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس(٣) . وقد إتخذها المجلس الإسلامي الأعلى مقراً له هي والمدرسة المنجكية ، ثم أصبحت مقراً لدائرة الأوقاف العامة بالقدس .

١٣ ـــ المدرسة الجوهرية :

تقع على أمتار قليلة الى الغرب من باب الحديد تجاه المدرسة الارغونية انشأها جوهر

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٣ . محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ص ١٢١ . عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٩ . التسجيل بقسم الآثار بالمسجد الأقصى .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧ .
محمد كرد علي ، خطط الشام ، ص ١١٨ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٣ .
محمد كرد علي ، المرجع نفسه ، ص ١٢١ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٣ .

القنقباي الخازندار زمام الآدر الشريفة سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) في عهد السلطان سيف الدين جقمق ، وأثبت ذلك في لوحة تأسيسية نقلها إلينا برشيم هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم — أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة والرباط من فضل الله تعالى العبد الفقير الى الله تعالى جوهر القنقباي الخازندار وزمام الآدر الشريفة الملكي الظاهري وشيخ المشايخ خدم (؟) الحرم الشريف النبوي ابتغاء وجه الله الكريم وكان الفراغ منه في مستهل رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمان مائة »(١) .

كانت المدرسة الجوهرية من المدارس المهمة في بيت المقدس ، وتولى التدريس فيها نخبة من العلماء منهم كمال الدين محمد بن أبي شرف المقدسي ، والشيخ محمود الديري ، وقد تحولت فيما بعد الى دار للسكنى(٢) .

١٤ — المدرسة الارغونية :

وتقع في الجهة الغربية من الحرم بباب الحديد على يسار الخارج منه(٣) ، تجاه المدرسة الجوهرية ، ملاصقة للمدرسة الخاتونية . شرع في انشائها الأمير أرغون الكاملي نائب الشام ، ولكنه توفي سنة ٧٥٨هـ (١٣٥٧م) قبل إتمام عمارتها ، فتولى إكمالها الأمير ركن الدين بيبرس السيفي سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧م) في عهد السلطان الناصر حسن ونقش ذلك بخط نسخي جميل على بلاطة جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذه التربة والمدرسة المباركة المقر الأشرف السيفي أرغون الكاملي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، توفي الى رحمة الله تعالى ثامن عشر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وتولى شدها وتكميلها ركن الدين بيبرس السيفي ، وأكملت في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبع مائة » . »

---

(١) Van Berchem, pp. 327-328.

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧ .
محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٤ .

(٣) المنهاجي السيوطي ، أتحاف الا خصا ، لوحة ٤٦ أ (مخطوط) .

وارغون هو الذي استجد بناء (باب الحديد) الذي كان يطلق عليه سابقاً (باب أرغون) ، فأرغون بالتركي تعني (حديد)[1] ، ورسم برشيم مخططاً لهذه المدرسة في كتابه الخاص بنقوش وآثار بيت المقدس[2] ، ويوجد فيها قبر ارغون شاه ، وتحولت فيما بعد الى دار للسكنى[3] .

١٥ ـــ المدرسة المزهرية :

تقع في الجهة الغربية من ساحة الحرم بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية ، وبعضها راكب على ظهر المدرسة الارغونية ، بناها الزيني أبو بكر بن مزهر الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) في عهد السلطان الأشرف قايتباي ، وقد تحولت فيما بعد الى دار للسكنى[4] .

١٦ ـــ المدرسة الخاتونية :

وتقع غربي الحرم الى الشمال من باب القطانين وجنوبي المدرسة الارغونية ، واقفتها (أغل خاتون) بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) في عهد السلطان الناصر حسن . وقد زيد بناء هذه المدرسة من قبل الأميرة أصفهان شاه بنت الامير قازان شاه ووقفتها سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) في عهد السلطان المنصور علاء الدين علي ، وتحولت المدرسة فيما بعد الى دار للسكنى ، ويوجد فيها قبر خاتون القازانية البغدادية[5] .

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٦١ .

(٢) Van Berchem, p. 277.

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ . محمد كرد علي ، المرجع نفسه ، ص ١١٨ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٧ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧ ،
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٥ .
التسجيل بقسم الآثار بالمسجد الأقصى .

(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٥ ، مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٨ .

١٧ ـــ المدرسة العثمانية :

تقع في الجهة الغربية من الحرم جنوبي باب المطهرة (المتوضىء) تجاه سبيل قاتيباي ، واقفتها أميرة تركية إسمها أصفهان شاه خاتون بنت محمود العثمانية وتلقب بخاتم وذلك سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) في عهد السلطان الأشرف برسباي ، ووقفت عليها وقوفاً عديدة في بلاد الروم وأثبتت ذلك في لوحة تأسيسية فوق مدخلها نقشت عليه ما يلي :

> « بسم الله الرحمن الرحيم ، أمرت بعمارة هذه المدرسة المباركة الست الجليلة المحجبة أسفهان شاه خاتون ابنة المرحوم الأمير محمود العثمانية الشهيرة بخاتم لطف الله بها ووفق عليها الانتقال سنة أربعين وثمان مائة ، وكان الفراغ من عمارتها في سلخ سنت المذكورة ، وذلك بهمة جميع الخواجا ولد صاطي الرومي »[١] .

ودرّس في هذه المدرسة العديد من العلماء والفقهاء الا فاضل ، ثم حولت فيما بعد داراً للسكنى ، أما واقفتها فدفنت في التربة المجاورة لسور المسجد الأقصى[٢] .

١٨ ـــ المدرسة السلطانية (الاشرفية) :

وتقع في الجهة الغربية من ساحة الحرم شمالي باب السلسلة ، وتمتد من باب السكينة أو باب السلام جنوباً حتى المدرسة العثمانية شمالاً[٣] .

بناها الأمير حسن الظاهري في عهد السلطان الظاهر سيف الدين خوشقدم سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) وسميت آنذاك (المدرسة السلطانية) . ولكن السلطان خوشقدم توفي دون أن تتم ، فقدمها الأمير حسن للسلطان الأشرف قايتباي فقبلها منه وسميت بإسمه (المدرسة الأشرفية) . إلا أن السلطان عندما زار القدس سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) لم تعجبه فأمر بهدمها وأعادة بنائها ، فكملت في سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) ، وتولى عمارتها

---

(١) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٩ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٦ ،
محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ص ١١٨ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٤ .

(٣) المنهاجي السيوطي ، أتحاف الاخصا ، لوحة ٤٦ أ (مخطوط) .

القاضي فخر الدين بن نسيبة الخزرجي ، وجاءت آية في الإبداع والإتقان حتى أن مجير الدين الحنبلي وصفها بأنها (الجوهرة الثالثة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الأقصى) . أما مدخلها فهو مدخل مئذنة باب السلسلة ، وتطل بعض نوافذها على ساحة المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وقد أثبت الأشرف قايتباي تاريخ بنائها في لوحة تأسيسية موجودة على أحد جدرانها الباقية نصها :

«أمر بانشاء هذه المدرسة الشريفة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثماني مائة ، وذلك في أيام مولانا المعز الأشرف الناصري سيدي محمد الخازندار ناظر الحرمين الشريفين عظم الله شأنه»[١] .

وعلى جانب آخر من نفس الجدار نقش آخر نصه :

«أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة الإمام الأعظم والملك المكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره ، فكان الفراغ من ذلك في شهر رجب الفرد سنة سبع وثمانين وثمانمائة»[٢] .

ورسم برشيم مخططاً لهذه المدرسة أثبته في كتابه صفحه ٣٥٢ ، ولم يبق من هذه المدرسة سوى بعض الجدران ، وتشغلها في الوقت الحاضر مدرسة دار الايتام[٣] .

١٩ ـــ المدرسة البلدية :

تقع في الجهة الغربية من الحرم الى الشمال من باب السلام (السكينة) بجوار المدرسة السلطانية وباب السلسلة[٤] . كانت تدعى مدرسة (منكلي بغا) نسبة الى واقفها الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي نائب حلب الذي دفن بها سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) في عهد السلطان المنصور علاء الدين علي ، وعلى باب إحدى غرفها النقش التالي :

---

(١) Van Berchem, p. 358.

(٢) Ibid., p. 359.

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥ ، ٣٩ .
محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ص ١١٧ ، ١١٨ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) المنهاجي السيوطي ، أتحاف الاخصا ، لوحة ٤٦ أ (مخطوط) .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه تربة المرحوم السيفي منكلي بغا الأحمدي كافل المملكة الحلبية تغمده الله تعالى برحمته ، توفي ودفن بها في جمادي الآخر سنة إثنتين وثمانين وسبع مائة»[1] .

والمدرسة في الوقت الحاضر تابعة لأوقاف القدس[2] .

٢٠ ــ المدرسة التنكزية :

تقع بخط باب السلسلة في الجهة الغربية من الحرم ، بناها الأمير تنكز بن عبدالله نائب دمشق سنة ٧٢٩هـ (١٣٢٨م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وصفت بأنها «مدرسة عظيمة ليس في المدارس إتقن من بنائها»[3] ، وللمدرسة بابان شرقي مطل على ساحة الحرم ، وآخر شمالي خارج الحرم عن يمين الخارج من باب السلسلة . وللمدرسة التنكزية شباكان في الرواق الكائن بين باب السلسلة وباب المغاربة وصفها ابن فضل الله العمري فقال (وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة التنكزية ، أبوابهما من الابنوس والعاج)[4] . وفي آخر هذا الرواق يوجد باب يصعد منه الى أعلى المدرسة وسكن الصوفية . وذكر العمري أيضاً أن ظهر هذا الرواق (حامل للخانقاه التنكزية)[5] ، وباعتقادنا أن المدرسة قامت بوظيفة المدرسة والخانقاه في آن واحد ، واشتملت على سكن لعدد من الصوفية الذين رتبوا فيها . رسم برشيم مخططاً لهذه المدرسة في كتابه الخاص بآثار ونقوش القدس صفحة ٢٥٣[6] .

وهناك نقش تأسيسي كتب فوق بابها الشمالي نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، انشأ هذا المكان المبارك راجياً ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري عفا الله عنه وأثابه ، وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبع مابة»[7] .

---

(١) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٩ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥ ، محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ص ١١٧ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥١ . Van Berchem, p. 291.

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥ .

(٤) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٥) ابن فضل الله العمري ، المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

(٦) Van Berchem, p. 253.

(٧) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ٢٠ .

وكان في داخل هذه المدرسة (الخانقاة) مسجد لخدمة طلابها ومدرسيها ويوجد على حائط بهوها القبلي نقش نصه ما يلي :

«البيت الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض وإختار لعبادته مواطن لإقامة السنن والفرض وجعل هذا المسجد جار المسجد الأقصى ونعم الجار الطاهر ، وأجرى لبانيه جزيل الثناء والثواب الوافر لقوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، اختار لعمارة بيوته من رضي فعله وقوله وأطال بالسعد والبذل طوله . . . »(1) .

وقد استخدم السلاطين هذه المدرسة مكان إقامة لهم عند زيارتهم المدينة المقدسة ، وفي أحيان كانت مركزاً للقضاة والنواب(2) .

ثالثا : المدارس الموجودة خارج اروقة الحرم :

أ ـــ المدارس الواقعة في الجهة الشمالية من الحرم :

٢١ ـــ المدرسة الصلاحية :

من اقدم المدارس التي اقيمت في بيت المقدس بعد تحريره من الفرنج ، فقد ذكر العماد الكاتب الاصفهاني ان صلاح الدين بعد ان رتب امور المدينة سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) « فاوض السلطان جلساؤه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للعلماء الصوفية ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب الاسباط وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط ووقف عليها وقوفا وأسدي بذلك الى الطائفين معروفا »(3) . ويذكر ابن واصل ان كنيسة صندحنة صارت في الاسلام (دار علم) ، وكان يدرس بها العلم الفقيه نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي (ت

(1) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ٢٠ .

(2) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥ ، محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١١٧ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(3) العماد الكاتب ، الفتح القسي ، ص ١٤٥ ، وانظر : المنهاجي السيوطي ، اتحاف الاخصا ، لوحة ٧٣ ب (مخطوط) .

٤٩٠ هـ) قبيل اخذ الفرنج للقدس ، وبعد الاحتلال الصليبي للقدس اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام ، ولما فتح صلاح الدين القدس اعادها مدرسة[١] .

والمدرسة الصلاحية تقع على بضعة امتار من سور القدس الشرقي قرب باب الاسباط في الجهة الشمالية من الحرم . وبعد صلح الرملة في سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) زار صلاح الدين المدينة المقدسة ، فزاد في اوقاف المدرسة وفوض النظر في اوقافها للقاضي بهاء الدين يوسف بن رافع المعروف بابن شداد[٢] . وكتب هذه الوقفية على قطعة رخامية اثبتت على باب المدرسة وما زالت للآن هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وما بكم من نعمة فمن الله هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبي المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي محي دولة امير المؤمنين ، اعز الله انصاره وجمع له بين خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من اصحاب الامام أبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه سنة ثمان وثمنين وخمس مئة »[٣] .

ومن خلال ما ورده العماد الكاتب نرى ان المدرسة اسست في سنة ٥٨٣ هـ ، اما كتاب الوقفية فكان بتاريخ ٥٨٨ هـ حسب ما ورد في النقش السابق وما ذكره العماد في احداث سنة ٥٨٨ هـ ايضا . وكانت هذه المدرسة من اجل المدارس في بيت المقدس ، ولا يتولى المشيخة فيها الا من شهد له بالعلم والفضل . ويتم ذلك بمرسوم سلطاني من القاهرة ، وكان لشيخ الصلاحية تقديره واحترامه الخاص لدى الملوك والسلاطين[٤] .

وبقيت هذه المدرسة تؤدي دورها طيلة العصر المملوكي ، ولكن الاتراك تنازلوا عنها في سنة ١٨٥٦ م للفرنسيين مكافأة لهم على مساعدتهم اياهم في حرب القرم ضد الروس . فسلمها السلطان عبد الحميد لنابليون الثالث ، فنحها الفرنسيون للآباء البيض الذين جعلوها مدرسة اكليركية . ولكن الاتراك وضعوا ايديهم عليها سنة ١٩١٥ م فجعلها

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٤٠٧ .
(٢) العماد الكاتب ، المصدر السابق ، ص ٦١٢ .
(٣) Van Berchem, p. 92.
(٤) لمزيد من التفاصيل عن وظيفة شيخ الصلاحية انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة (مشيخة الصلاحية) .

جمال باشا مدرسة عصرية لتعليم العلوم الدينية باسمها القديم (الصلاحية) . وتوجد لوحة كبيرة في المتحف الاسلامي بالقدس عليها جدول الدروس التي كانت تعطي في الصلاحية آنذاك وتشمل العلوم الدينية واللغوية العلوم الرياضية ، والعلوم الحقوقية ، والفلسفية والطبيعية ، وعلم الاقتصاد والمالية والتاريخ .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى اعادها الانجليز في سنة ١٩١٧ م الى الآباء البيض ، وذلك بعد احتلالهم للقدس وفلسطين . فأعاد الآباء البيض فتح المدرسة الاكليركية فيها واقاموا بداخلها متحفا ومكتبة وكنيسة وما زالت باقية حتى الوقت الحاضر(١) .

٢٢ ــ المدرسة الكاملية :

تقع خارج المسجد الاقصى في الجهة الشمالية بجوار المدرسة الكريمية ، يتوصل اليها عن طريق باب حطة وهي على يسار الطريق الموصلة بين باب حطة وطريق باب الاسباط . واقفها الحاج كامل من أهل طرابلس سنة ٨١٦ هـ (١٤١٣ م) وصارت فيما بعد دارا للسكني(٢) .

٢٣ ــ المدرسة الدوادارية :

تقع خارج الحرم في الشمال منه قرب المدرسة السلامية على يمين الطريق الموصلة بين باب العتم وطريق باب الاسباط . اطلق عليها (الخانقاه الدوادارية أو دار الصالحين) ، وسماها ابن فضل الله العمري (بالرباط العلمي الدواداري)(٣) . بناها الامير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبدالله الدوادار الصالحي النجمي سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) في عهد السلطان الايوبي الملك الصالح نجم الدين ايوب وتاريخ وقفها سنة ٦٩٦ هـ

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص٤١ ،
محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٢ .
محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٢ .

(٣) ابن فضل الله العمري ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(١٢٩٦ م)[١] . ونص كتاب الوقف ان تستقبل الخانقاه ثلاثين نفرا من الصوفية والمتصوفة عربا وعجما منهم عشرون عزابا وعشرة مزوجون يقيمون في الخانقاه صيفا وشتاء ، ونصت الوقفية ان الاوقاف التي وقفها على هذا الخانقاه تشمل قرية بير نبالا قرب القدس ، وقرية حجلا قرب اريحا اما في نابلس فقد وقف عليها دارا ومصبنة وست حوانيت ووراقة وحمام الملكة . ونصت الوقفية على وقف ثلاثة بساتين وثلاثة حوانيت واربع طواحين في بيسان وفرنا وطاحونا في القدس . ثم تعرضت الوقفية الى اسلوب التدريس والعمل في الخانقاه وعدد من يقومون بالتدريس والتلاوة . ونقش هذه الوقفية على لوح رخامي اثبته على بابها الخارجي نصها ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه الخانقاه المباركة المسماه بدار الصالحين العبد الفقير الى الله تعالى عبدالله بن عبد ربه ابن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي ووقفها ابتغاء وجه الله تعالا على ثلاثين نفرا من الطائفة الصوفية والمتصوفة من العرب والعجم منهم عشرون نفرا عزابا وعشرة مزوجون مقيمون بها لا يظعنون عنها صيفا ولا شتاء ولا ربيعا ولا خريفا الا لحاجة وعلى ضيافة من يرد اليها من الصوفية والمتصوفة مدة عشرة ايام ، ووقف عليها قرية بير نبالا من القدس الشريف وقرية حجلا من اريحا وفرن وطاحون وعلوهما بالقدس ودار ومصبنة وست حوانيت ووراقةبنابلس وثلاثة بساتين وثلاث حوانيت واربع طواحين ببيسان وقف ذلك على هذه الخانقاه وعلى تدريس مذهب الشافعي وعلى شيخ يسمّع الحديث النبوي وقارىء يقرأ عليه وعلى عشر نفر يسمعون الحديث وعشر نفر يتلون كتاب الله كل يوم ختمة وعلى مادح ينشد مدح النبي كل ذلك بالجامع الاقصى وذلك في مستهل سنة خمس وتسعين وستمائة بتولية الفقير الى الله سنجر القيمري عفا الله عنه ومن جملة وقف هذه الخانقاه المباركة ووظائفها المذكورة قرية طبرس من قاقون وحمام الملكة من نابلس المحروسة عمل المعلم على يد سلامة المهندس »[٢] .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٩ .

(٢) Van Berchem, p. 214.

وما زالت المدرسة باقية للآن تقوم بمهمتها التعليمية وتشغلها في الوقت الحاضر (المدرسة البكرية الابتدائية للذكور) .

٢٤ ـــ المدرسة السلامية :

وتقع خارج الحرم من جهته الشمالية الى الشمال من المدرسة الدوادارية على الطريق الخارجة من باب العتم والموصلة الى طريق باب الاسباط . واقفها الخواجا مجد الدين أبو الفدا اسماعيل الاسلامي بعد سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ثم صارت دارا للسكني وما زالت باقية للآن(١) .

٢٥ ـــ المدرسة المعظمية :

تقع في الجهة الشمالية من الحرم مقابل باب العتم ، ويتوصل اليها عن طريق باب الاسباط . بناها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ، وهناك لوحة تأسيسية ما تزال موجودة في جدارها القبلي الداخلي منقوش عليها ما يلي :

« أمر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن أبي بكر بن أيوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقهة من اصحاب الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه ، وذلك في شهور سنة اربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية تقبل الله منه وغفر له وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما »(٢) .

وقد قام الملك الظاهر ابن الملك المعظم عيسى في زيادة بناء هذه المدرسة من جملتها المنارة التي ما زالت باقية للآن في سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م) في عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس المملوكي ، واثبت ذلك في لوحة تأسيسية مثبتة على جدار المنارة القبلي هذا نصها :

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٢ ،
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٣ ،
التسجيل بقسم الآثار بالحرم القدسي الشريف .

(٢) مباني الحرم القدسي الشريف ، ص ١٤ . Van Berchem, p. 171.

« أمر بعمارة هذه المأذنة المباركة الملك القاهر الناظر بهذه المدرسة غفر الله له وتغمد برحمته والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى قدس الله روحه في شهور سنة ثلاث وسبعين وستمائة »[1] .

وكان الملك المعظم عيسى حنفي المذهب عالما فاضلا يجلس الى العلماء ويناظرهم ويناقشهم ويجزل لهم العطاء ، وشجع العلوم العقلية والدراسات الفلسفية والادبية والدينية وصنف عدة تصانيف حتى عدوه (مأمون بني ايوب) . وقد بنى الملك المعظم عيسى مدرسة اخرى داخل حرم المسجد الاقصى ، وتقع في الركن الجنوبي الغربي من صحن الصخرة ، سماها ابن فضل الله العمري (المدرسة المعظمية) ، وتعرف الآن (بالقبة النحوية) . وهي مدرسة صغيرة تتألف من غرفتين وصالة ، غرفة في الجهة الغربية تعلوها قبة ، وغرفة في الجهة الشرقية سقفها افقي ، وبينهما صالة بسقف افقي ايضا . ويصف العمري هذه المدرسة فيقول : (لها بابان يفتحان للشمال ، بخدهما ثلاثة اعمدة من الرخام ، كل عمود به اربعة في جسد واحد ملفوفة متعبنة ، وتلو ذلك عمودان لطاف وارتفاع بنائها تسعة اذرع من ارض صحن الصخرة)[2] .

وقد رتب الملك المعظم لهذه المدرسة اماما مفردا يصلي الصلوات الخمس ورتب بها خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم ، وشرط ان يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته التي خارج الحرم . ووقف على ذلك قرية بيت لقيا من عمل القدس ، وبداخل قبة هذه المدرسة نقش هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي انشأ جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ، أمر بانشاء هذه القبة المباركة وما يليها من العمارة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو النصر عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو بكر بن أيوب اعز الله انصارهما وجرى ذلك على يد عبده الراجي عفو ربه الامير حسام الدين أبي سعد

---

(١) Van Berchem, p. 169.
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤١ .
(٢) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

قباز بن عبدالله المعظم الوالي بالبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة اربع وستمائة »[1] .

والملاحظ ان تاريخ النقش السابق ٦٠٤ هـ ، الا ان ابن فضل الله العمري ذكر ان المعظم اهتم بعمارتها سنة ٦٠٨ هـ حيث قال : (وعلى سقفها مكتوب انه اهتم بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة)[2] .

والمدرسة المعظمية الموجودة خارج الحرم تكاد تكون اليوم مندثرة الا من بقايا بعض جدرانها ، وقد رسم برشيم مخططا تقريبيا لهذه المدرسة في كتابه[3] .

ب ـــ المدارس الواقعة في الجهة الغربية من الحرم :

٢٦ ـــ المدرسة التشتمرية :

تقع خارج الحرم في الجهة الغربية منه بخط باب الناظر غربي المدرسة الحسنية وبالقرب من رباط علاء الدين البصير والرباط المنصوري . واقفها هو الامير تشتمر السيفي في عهد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) . وقد تحولت هذه المدرسة فيما بعد الى دار للسكني[4] .

٢٧ ـــ المدرسة الحنبلية :

في الجهة الغربية من الحرم على خط باب الحديد الى الغرب من المدرسة المزهرية ، واقفها الامير بيدمر الخوارزمي نائب الشام ، وكان السلطان الاشرف شعبان قد ولاه نيابة

---

(١) مباني الحرم القدسي الشريف ، المجلد الثاني ، ص ٣٣ .

(٢) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٣) Van Berchem, p. 171. وانظر : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٢ ،
محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٢١ ،
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٠ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٣ ،
محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٢١ ،
عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٨ .

الشام سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) عوضا عن الامير منجك[١] ، فعمد الى بناء هذه المدرسة وفرغ من بنائها سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) ، وقد اصبحت هذه المدرسة فيما بعد دارا للسكني[٢] .

٢٨ — المدرسة البدرية :

الى الغرب من الحرم على طريق باب القطانين وبقرب المدرسة اللؤلؤية واقفها الامير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد أبو عبدالله الهكاري في سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) على فقهاء الشافعية . وقد استشهد الامير بدر الدين محمد في احدى معاركه مع الفرنج على الطور في غور الاردن قرب الناصرة سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ، فنقل جثمانه الى القدس ودفن بمدرسته . وصفه أبو المحاسن بأنه (من اكابر امراء الملك المعظم ، كان يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق به لصلاحه ودينه)[٣] . وقد تحولت هذه المدرسة الى دار للسكني وعلى بابها نقش هذا نصه :

> « بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة على اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه الملكة العلية المجاهدة بدرية »[٤] .

٢٩ — المدرسة اللؤلؤية :

تقع خارج الحرم في الجهة الغربية منه ، بجانب المدرسة البدرية ويمكن الوصول اليها عن طريق باب القطانين ، واقفها احد مماليك السلطان الاشرف شعبان الامير لؤلؤ غازي قبل سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) . تحولت هذه المدرسة الى دار للسكني مما ادى الى تغير ملامحها[٥] .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ٢٢٤ .
(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٤ ، عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٠ .
(٣) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٢١ .
(٤) عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٠ .
(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٦ ،
التسجيل بقسم الآثار بالمسجد الاقصى .

٣٠ ــ المدرسة الطازية :

الى الغرب من الحرم على طريق باب السلسلة بين التربة الجالقية والتربة الكيلانية ، واقفها الامير سيف الدين طاز بن عبدالله الناصري سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦٢ م) . وكان الامير طاز من خواص السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تقلد عدة مناصب في الدولة المملوكية منها نيابة حلب . القي القبض عليه بعد امور جرت له ، فسجن وسملت عينيه ، ثم اطلق سراحه وارسل الى القدس بطالا ، فمات بها سنة ٧٦٣ هـ ودفن في مدرسته(١) .

ويذكر عارف العارف انه اطلع على سجلات المحكمة الشرعية في القدس واتضح انه كان ينتدب للتدريس فيها فطاحل العلماء المقادسة . وقد تحولت هذه المدرسة الى دار للسكني ، ويقطنها الآن جماعة من دار هداية ، ويوجد على احد نوافها لوحة رخامية عليها النقش التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى المقر الاشرف السيفي طاز ، توفي رحمه الله سنة ثلث وستين وسبعمئة »(٢) .

٣١ ــ المدرسة الطشتمرية :

وتقع في الجهة الغربية من الحرم ، على طريق باب السلسلة وعند ملتقى هذه الطريق بطريق حارة الشرف ، وواجهتها الشمالية مطلة على طريق باب السلسلة ، وعلى مقربة منها تقع تربة بركة خان والتربة الكيلانية بناها الامير الكبير سيف الدين طشتمر بن عبدالله الدوادار العلائي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)(٣) . وكتب ذلك في نقش اثبته على واجهتها الشمالية نصه :

« أمر بانشاء هذا المكان المبارك المقر الاشرف السيفي طشتمر العلائي بتاريخ سنة اربع وثمانين وسبعمائة »(٤) .

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ١٥ .
(٢) عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥٠ ، وانظر : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٥ .
(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٥ . Van Berchem, p. 293.
(٤) عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥١ .

والامير طشتمر تقلد عدة مناصب في الدولة ، منها اتابك العساكر بالديار المصرية ونيابة الشام . اخرجه الملك الظاهر برقوق الى القدس بطالا ، ثم عفا عنه في عهد السلطان الصالح حاجي وولاه نيابة صفد ثم حماه الى ان مات[1] . ودفن جثمانه في مدرسته سنة ٧٨٦ هـ . وصفه المقريزي بأنه «كان خيرا محسنا له مشاركة في فهم العلوم ، محبا لاهل العلم ، كثير الاجتماع بهم ، ويعرف الكتابة ويحب الآدب واهله »[2] .

وتضم المدرسة قبر ابنه ابراهيم وعلى قبره كتب النقش التالي :

« هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى المرحوم ابراهيم ولد المرحوم طشتمر العلائي ، توفي الى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة ثاني شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة »[3] .

وقد تحولت هذه المدرسة الى دار للسكني ، واصبحت مع الزمن وقفا لدار الامام مما ادى الى تغير كثير من معالمها .

رابعاً : الخوانق في بيت المقدس :

ومن المؤسسات الدينية التي نالت إهتماماً خاصاً لدى السلاطين في العصر الأيوبي والمملوكي (بيوت المتصوفة) ، فتيار التصوف إشتد في بلاد الشام منذ العصر الأيوبي ، وبلغ أقصى انتشاره في العصر المملوكي . وإنقطع المتصوفة والزهاد للعبادة في بيوت خاصة في بيوت خاصة أقيمت لهم في أمهات المدن الشامية كحلب ودمشق وبيت المقدس ، حتى أنها بلغت في العصر المملوكي ٢٩ بيتاً في القدس منها خانقاوتان وستة أربطة و ٢١ زاوية .

أما الزاوية فكانت صغيرة الحجم لا تتسع الا لعدد قليل من المتصوفة والزهاد ومن وظائفها أنها استخدمت كمصلي صغير ، أو مكان وخلوة خاصة لأحد الزهاد والمتصوفة ومريديه ، حتى أن بعضها عرفت باسماء هؤلاء الشيوخ مثل الزاوية المهمازية نسبة للشيخ

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣٠٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٥٢٨ .

(٣) عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٥١ ، وعن المدرسة الطشتمرية انظر : جلال اسعد ، المدرسة الطشتمرية في المقدس ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م .

كمال الدين المهازي ، وزاوية الازرق نسبة للشيخ ابراهيم الازرق ، وزاوية البلاسي نسبة الى الشيخ أحمد البلاسي . وبعضها عرف بأسماء إحدى الطرق الصوفية أو الفقراء مثل الزاوية الحمراء للفقراء الوفائية ، وزاوية الهنود للفقراء الرفاعية ، والزاوية اليونسية نسبة للفقراء اليونسية . أما الرباط فقد تحول معناه ، فالاربطة في الأصل تلك الاماكن التي يرابط فيها المجاهدون وتوضع في الثغور الإسلامية لمراقبة العدو وصد غاراته البرية والبحرية . ثم تطورت وظيفة الأربطة فأصبحت تمثل أماكن للمتصوفة والزهاد . أما الخانقاه فكانت أكبر حجماً وأكثر استعداداً لاستيعاب أعداد كبيرة من الصوفية ، والخانقاة كلمة فارسية مكونة من لفظتين : خوان بمعنى الأكل وجاه بمعنى المكان ، وكان يطلق على المكان الذي يأكل فيه الملك . ثم أطلقت على الأمكنة التي أعدت للمتصوفة ، ولم تعهد هذه الخوانق في مصر قبل القرن السادس الهجري والذي نشرها في مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي (فلم تكن الخوانق والأربطة معروفة قبل الدولة الأيوبية)(١) . ثم صار تشابه ومزج بين وظيفة الخوانق والاربطة(٢) ، وحتى بين المدارس والخوانق ، فنرى أن بعض المدارس أطلق عليها خانقاه مثل المدرسة الدوادارية التي سميت أيضاً (بالخانقاه) وخصصت لثلاثين من الصوفية(٣) ، والخانقاه الصلاحية التي أطلق عليها (رباطا للعلماء الصوفية)(٤) .

وزودت الخانقاه بالمرافق الأساسية كالمطبخ والفرن والحمام ولبعضها حلاق خاص ، وتحتوي الخانقاه على عدد من الخلوات ، كل خلوة خصصت لأحد الصوفية . ولكل خانقاه شيخ أو ناظر يشرف على شؤون الخانقاه والنظر في أوقافها ومصالحها ، وللخانقاه مهمة تعليمية بجانب مهمتها التعبدية ، فالمتصوفة هم طلاب علم أيضاً ، لذا عين في تلك الخوانق عدد من الشيوخ والعلماء والفقهاء ليقوموا بمهمة التعليم فيها .

ومن الجدير بالذكر أن عدداً من الخوانق والأربطة خصصت للنساء ، فابن شداد ذكر في أعلاقه الخطيرة عن وجود سبعة خوانق للنساء في حلب في القرن السابع

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ص ٣٦٤ .

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ١٥٨ .

(٣) Van Berchem, p. 214.

وراجع نص الوقفية في (المدرسة الدوادارية) من هذا الفصل .

(٤) العماد الكاتب ، الفتح القسي ، ص ١٤٥ .

الهجري[1] ، وذكر المقريزي أن بعض الأربطـــة خصصت للنساء الأرامـــل والمطلقات[2] ، فهي أشبه ما تكون بالملاجئ بمفهومنا الحالي ، وبعد هذا من مفاخر مجتمعنا الإسلامي ، فهذه المؤسسات لها وظيفة إجتماعية الى جانب وظيفتها الدينية .

ومن أهم الخوانق في بيت المقدس :

٣٢ ــ الخانقاه الصلاحية :

أنشأ صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصلحاء الصوفية ، وعين دار البطرك القريبة من كنيسة القيامة للرباط ووقف عليها الوقوف العديدة[3] ، وتاريخ وقفها في الخامس من رمضان سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م)[4] .

والملاحظ هنا أن الكاتب مزج بيت الرباط والخانقاه ، فوظيفة الرباط تحولت مع الزمن الى بيت للصوفية ، بينما كان معداً للمرابطة من الرجال للدفاع والجهاد في الثغور الإسلامية المختلفة .

وتقع الخانقاه الصلاحية غربي الحرم بالقرب من كنيسة القيامة عند ملتقى طريق الخانقاه بطريق حارة النصارى ، وبداخل الخانقاه مسجد صغير فوق محرابه لوحة رخامية نقش عليها ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أشار بانشاء هذا المحراب وعمارة المجمع المبارك الفقير عيسى بن أحمد بن غانم عفا الله عنه ورحم سلفه في

---

(١) وعن الخوانق في حلب ودمشق أنظر :
ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ٣ اجزاء ، دمشق ١٩٥١ ــ ١٩٦٨ م .
ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ٢ جزء ١٩٥٣ ــ ١٩٦٣ م .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٣) العماد الكاتب ، الفتح القسي ، ص ١٤٥ ،
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٤٠٨ ،
المنهاجي السيوطي ، أتحاف الاخصا ، لوحة ٧٣ ب (مخطوط) .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ .

أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عز نصره في شعبان سنة أحد وأربعين وسبعمائة »[1] .

وأول من تولى مشيخة الخانقاه الصلاحية الشيخ القدوة المحقق الملك غانم بن علي بن حسين الانصاري المقدسي من بني غانم ، وهي عائلة عربية مدنية حجازية سكنت بيت المقدس بعد سنة ٥٨٣ هـ ، واستقروا في حي خاص بجوار الحرم في الجهة الشمالية الغربية منه . وعرف هذا الحي بأسمهم (حارة الغوانمة) ، كما عرف أحد أبواب الحرم وهو المؤدي الى حارتهم باسم (باب الغوانمة) ، وكذلك المئذنة المطلة على هذا الباب وعلى حارتهم باسم (مئذنة الغوانمة) .

وقد توارث علماء وفقهاء الغوانمة مشيخة الخانقاه الصلاحية ، فمعظم شيوخها البارزين كانوا منهم . وظلت هذه المشيخة بأيديهم حتى أواخر القرن التاسع الهجري ، ففي سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) تنازل الشيخ ناصر الدين محمد بن الشيخ جمال الدين عبدالله بن غانم شيخ حرم القدس الشريف عن ربع وظيفة مشيخة الخانقاه الصلاحية الى القاضي شهاب الدين بن المهندس (وبمقتضى هذا النزول من الشيخ ناصر الدين خرجت مشيخة الخانقاه من يد بني غانم وكانت بأيديهم من زمن الواقف الملك صلاح الدين)[2] .

والخانقاه الصلاحية مهملة في الوقت الحاضر ، فقد استخدمت كبيوت للسكنى ، فانسحبت عليها يد الخراب والاهمال ، وهي بحاجة الى ترميم وإصلاح .

٣٣ — الخانقاه الفخرية :

تقع في داخل أسوار الحرم في الجهة الغربية الجنوبية منه ، على أمتار قليلة من جامع المغاربة ، وبابها من داخل الحرم . واقفها القاضي فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية بالديار المصرية (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م)[3] . وذكر أبو

---

(١) Combe, Sauvaget, Wiet, Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, Tome quinzième, No. 5924, p. 200.

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤ ، محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ . عارف العارف ، المفصل ، ص ٢٤٦ .

المحاسن أن فخر الدين كان نصرانياً وأسلم ، فحسن إسلامه وحج أكثر من مرة ، وزار القدس وبنى مساجد كثيرة ، وبنى مدرسة بنابلس وبيمارستانا في الرملة[1] .

ونعتها ابن فضل الله العمري (بالزاوية الفخرية) وذكر أنها بجوار جامع المغاربة وجامع النساء[2] . ثم أصبحت مدرسة وتحولت بعد ذلك الى خانقاه عرفت بالخانقاه الفخرية وبهذه الخانقاه أماكن وخلوات خاصة للمتصوفة ، ولم يبق منها في الوقت الحاضر سوى جزء بسيط ، فقد هدمت السلطات الاسرائيلية أجزاء كبيرة منها خصوصاً تلك الواقعة خارج الحرم في جهة حارة المغاربة .

* * * *

وأرجو أن أنوه هنا بأن هناك العديد من المدارس والزوايا والأربطة لم نشر إليها في هذه الدراسة ، فدراستنا اقتصرت على المدارس التي أثبتت الدراسات الحديثة وجودها وبقاءها للآن وحددت أماكنها وعينت مواقعها . فالمدينة المقدسة حوت العديد من المدارس ، ولكن بعضها إندثر وزال ولم يستطع الآثاريون معرفة مواقعها وتحديده . وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على فهرس السيد بورغوين للعمارات الإسلامية القديمة القائمة في القدس والصادر عن المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس لعام ١٩٧٧ م . بالإضافة الى أن بعض الدارسين خلطوا بين المدارس والزوايا والأربطة ، كالزاوية الختنية والجراحية والمدرسة الاباصيرية (رباط علاء الدين) . ونحن هنا ركزنا على المدارس فقط بمعناها المعروف .

وهناك مدارس لم نذكرها ولم تحدد في فهرس بورغوين منها : المدرسة الفزية ، والمدرسة الأفضلية ، والمدرسة الحسنية ، والمدرسة الطولونية ، والمدرسة الوجيهية ، والمدرسة البارودية ، فمنهجنا هو دراسة المدارس المحددة المواقع في الوقت الحاضر .

أما الزوايا والأربطة المحددة المواقع من العصر المملوكي في فهرس بورغوين فهي : الزاوية الختنية وقف ٥٨٧ هـ ، الزاوية الجراحية ٥٩٨ هـ ، زاوية الهنود في القرن السابع

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٢٩٦ .

(٢) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

الهجري ، رباط علاء الدين البصير ٦٦٦هـ ، دار الحديث ٦٦٦هـ ، زاوية الشيخ حيدر ٦٧٤هـ ، الرباط المنصوري ٦٨١هـ ، الزاوية الكبكية ٦٨٨هـ ، الرباط الكرد ٦٩٣هـ ، الزاوية المهازية قبل ٧٤٥هـ ، دار القرآن السلامية ٧٦١هـ ، الزاوية الادهمية ٧٦٢هـ ، زاوية البسطامية قبل ٧٧٠هـ ، الزاوية اللؤلؤية ٧٨١هـ ، الزاوية القرمية قبل ٧٨٨هـ ، الزاوية الوفائية في بداية القرن التاسع الهجري ، الزاوية الظاهرية القرن التاسع الهجري ، زاوية الشيخ يعقوب العجمي القرن التاسع الهجري ، رباط زمني ٨٨١هـ ، دار الخطابة نهاية القرن التاسع الهجري .

مَلاحق البَحث
و
مصَادره
و
مَراجعه

الملاحق

١ — نسخة توقيع شريف بتعيين شرف الدين قاسم ليقوم بتحصيل الرسوم المفروضة على الفرنج الجرحان القادمين لزيارة بيت المقدس .
٢ — نسخة توقيع بتعيين شرف الدين موسى الردادي نائباً لقلعة القدس .
٣ — نسخة توقيع بتعيين وال في مدينة بيت المقدس .
٤ — نسخة توقيع بتعيين شاد لتحصيل المكوس في كنيسة القيامة .
٥ — نسخة توقيع بتعيين الأمير أبي بكر أمير علم كاشفاً للرملة .
٦ — نسخة توقيع بتعيين وال في ولاية نابلس .
٧ — نسخة توقيع بتعيين الشيخ شمس الدين بن البرهان الجعبري في مشيخة الحرم الخليلي .
٨ — مرسوم شريف بأبطال متحصل قرية مجدل فضيل من الخليل باسم مجلس الأمير الكبير سعد الدين سعود بن محمد السراي .
٩ — وثيقة وقف باسم جعفر بن محمد أبي بكر ، وقف فيها داره الكائنة في القدس بخط باب العمود على مصالح البيمارستان الصلاحي .
١٠ — وثيقة مبايعة باسم خديجة بنت الحاج أحمد بن عبد العزيز المشرقي اشترت بموجبها من أخيها الدار الكائنة بباب حطة بالقدس الشريف .

ملحق رقم (١)

نسخة توقيع شريف بتعيين شرف الدين قاسم ليقوم بتحصيل الرسوم المفروضة على الفرنج الجرجان القادمين لزيارة بيت المقدس من انشاء أحمد بن علي القلقشندي (من كتاب صبح الأعشى جزء ١٣ ص ٤٦ — ٤٧) .

رسم بالأمر الشريف — لا زال عدله الشريف لمال الفيء بين ذوي الاستحقاق قاسماً ، وفضله العميم لأولى الفضل في سلك الصّلات ناظماً ، ومعروفه المعروف لمواقع البرّ يؤمّ عالماً ويبيت غانماً — أن يستقرّ لمجلس القاضي فلان الدين على الفرنج الجرجان الواردين لزيارة قمامة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما اشتمل عليه : من مبين العلم ومتين العمل وجميل السّيرة ، واجتمع لديه : من طيّب الذّكر وجميل الأثر وصفو السّريرة ، ولإقامته بالمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ الرجال إليها ، وإحدى القبلتين المعوّل في أول الإسلام عليها ، ومجاورة الصخرة المعظّمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرّمة ، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا القاهرة ، والابتهال الى الله تعالى بدوام أيامنا الزاهرة .

فليتناول هذا المعلوم مهنأً ميسّراً ، وليرج من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهراً ، وليشهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويرمهم بسهام الليل التي لا تخطئ إن شاء الله تعالى الطّغاة المتمردين ، فبذلك يستحق هذا السهم من الفيء حقاً ، ويعدّ من المقاتلة الذّابّين عن الإسلام صدقاً ، وليقم على جادّة الاستقامة في الدّين وليكن مما سوى ذلك بريّاً ، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنيّاً مريّاً ، والخط الشريف أعلاه ....

ملحق رقم (٢)

نسخة توقيع بتعيين شرف الدين موسى الردادي نائباً لقلعة القدس ، من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباته (من كتاب صبح الأعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٥ — ٣٢٦) .

رسم ... لا زالت ولاة أيامه عالية الشّرف ، سامية المستشرف آوية من جنّات خير الدنيا والآخرة الى غرف من فوقها غرف — أن يستقر المجلس السامي ... علماً باهتمامه الوفي ، واعتزامه المتيقظ اذا نام حدّ المشرفي ، واستناداً الى رأيه الذي يقول نجمه الطالع : « ما أبعد العيب والنقصان من شرفي » ... وإرشاد سعيه الى أن إتخذ من الأرض المقدسة داراً ، ومن حرمه الشريف جاراً ، واتقاد ذهنه وشجاعته اللذين آنس بهما من جانب الطّور ناراً ، وكيف لا ؟ وقد قالت همته : يا موسى أقبل ولا تخف ، وأخرج يدك البيضاء في النيابة تكن أحق من اغترف بها الاحسان واعترف .

فليباشر ما فوّض إليه مباشرة يعلو بها شرف إسمه ومسماه ، ويبدو للاختيار والاختبار فضل التقدم الذي اذا بدا له كفاه ، وليجر بهذه الرتبة رأيا حسن الاحكام ، وليواظب على حفظ هذه القلعة التي فتح بها عليه فانها من أعظم فتوح الإسلام ، وليمدّ عليها من كفايته سوراً حول سورها ، وليتفقد رجالها وعددها تفقّد الشهب في ديجورها ، وليردّ عنها بعزمه الردّاديّ عيون الاعادي الزّرق حتى لا يراع في أرض الحرم ولا حمامات طيورها . وليشكر نعمة أوته الى هذه المنازل الطاهرة ، وليقرب ليد آمله طلب خير الدنيا والآخرة . وليقدّم من الوصايا تقوى الله التي عن أصلها تتفرع نعمه الباطنة والظاهرة ، حتى يجعل له في الوادي المقدس ربعاً مأنوساً ، وجمعا محروساً ، وأحاديث حسنة تقول لمستمع مثلها في الآفاق : « هل أتاك حديث موسى » . والله تعالى يمده بأعانته ، ويلهمه شكر مارزق من فضل مكانه ومكانته ، بمنّه وكرمه .

ملحق رقم (٣)

نسخة توقيع بتعيين وال في بيت المقدس ، من انشاء جمال الدين بن نباته (من كتاب صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٣٠ — ٣٣١) .

رسم بالأمر... لا زال يشمل بظلّه وفضله ، ويجمّل باحسانه وعدله ، وينقل شمس الولاة من البرج الظّاهر الى مثله — أن ينقل فلان من كذا الى ولاية القدس الشريف : علماً بكفايته التي تقدمت ، وشهامته التي تحكمت ، وأمامته التي سلمت فيما سلمت ، وهمّته التي وضحت شمساً فلا تنفس ، وقالت لقيامه في المصالح : «أخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس» .

فليباشر هذه الولاية مباشرة ، تمحو بضياء شمسه ظلماً وظلاماً ، وتقول لنار الحوادث في المشاهد الجليلة : «يانار كوني برداً وسلاماً» ، مجتهداً فيما هو بصدده ، عارفاً بوجوه المصالح حتى يكون السكن أعرف بشمس بلده ، ناهضاً بأمور الديوان جليها وخفيها ، وعبء المهات حافلها وحفيّها ، مستزيداً بالشكر لمبادئ النعم ، قائلاً في محل البلدين المباركين : ما سرت من حرم الاّ الى حرم .

ملحق رقم (٤)

نسخة توقيع بتعيين شاد لتحصيل المكوس من كنيسة القيامة ، من انشاء ابن نباته (من كتاب صبح الاعشى ج ١٢ ص ٣٣٦ — ٣٣٧) .

رسم بالأمر — بسط الله تعالى على الأمم مهابته وظلّه ، وبأسه وفضله ، ووجّه اليه آمال الخلق من كلّ قبله ، وأعلى آراءه التي يقال لعدلها : «لقد جدت حتى جزت في كلّ ملّه» — أن يرتّب ... مضافاً لما بيده ، واستناداً الى صحيح خبره في الكفاءة وعلو سنده ، وارتياداً لهممه التي أن رواها مسلم عن طوعه رواها نصراني عن تجلّده ، وسكوناً الى حركته التي تحصّل مالاً ، وتصل الى مالاً ، وتستخرج الوفر من مكمنه ، وتأخذ الحق (من) قدّام يدي المائل ومن خلف أذنه ، وعلماً أن ما لمتحصل قمامة مثل عزمه المختار ، ورفقه الذي يستنزل درّ القصد المدرار ، واجتهاده الذي زرعه المستنهضون فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار .

فليباشر هذه الوظيفة بشدّة ولين يجعل كلّ واحد منهما في موضعه ومقامه ، وحقّ منير يجعل سبت نور كلّ لياليه وأيامه ، وأمانة مدلّه ، وكفاءة مظلّة ، وصيانة توجب مزيد الخير اذا له ، ومهابة اذا أدخلت مستخرج قمامة أصلحته وجعلت أعزّه أهلها أذلّة ، لا يثني هممه النفيسة ، ولا يلتفت — كما يقال — لتبخير الكنيسة ، بل يستعمل فراسة تروع من حمل عن أداء الحق بهتاناً ، ومناقشة من حمل عن اداء الحق بهتاناً ، ومناقشة تكشف عن جبال التجلّد أكنانا ، ورأفة مع ذلك بالظاهري العجز : ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، ومتابعة للضرائب القديمة لا يصرف عنها ، واستخلاص ما على الرأس حتى يقال : «ليس تحت الزرقاء أخضع منها» ، عاملاً بتقوى الله تعالى فإن أهل معاملته أهل ذمة ، مجتهداً في إستحقاق ما يترشح له من ولايات الأمور المهمة .

ملحق رقم (٥)

نسخة توقيع بتعيين الأمير أبي بكر أمير علم كاشفاً للرملة وذلك في عهد الدولة الظاهرية برقوق (من كتاب صبح الأعشى ، ج ١٢ ص ٣١٥ ٩ ٣١٧) .

الحمد لله الذي قلّد أجياد المجاهدين ، سيف نصره ، وأكد بعزائم أهل اليقين ، حماية حوزة الإسلام وصيانة ثغره ، وجعل السنة أسنة المرابطين في فم الثغور زيناً اذا ازدان بغرّة بدره ، وأنزل باعداء الدين قوادح نقمه وقوارع قهره .

أحمده أن حمى بأولى النجدة والبأس للمسلمين جمى ، وأشكره على ما همع من صيب نعمائه وهمى ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة إتخذها عند الله ذخراً ، وأرجو بها في العقبى أجراً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيد يده بالسيف وأمده أيداً ، وعلى آله الذين حلّى بهم للإسلام جيداً ، وصحبه الذين جلا ببوارق صفاحهم ، وخوارق رماحهم ، غمّم المجال ، وغمم القتال ، فلم يهمل الاعداء ولم يمهلهم رويداً .

وبعد ، فان أولى من جعل في نحر البحر هماماً صارم[1] ، وأشدّ من قاطع أعداء الدين وصارم ، من تضرب بشجاعته الأمثال ، ويورد في صدور الأبطال صمّ الاسل النّهال ، ويحمي حمى الثغر فلا يدع عدوا ولا يرهب نهباً ، ويرقى رقاب الكفر فيؤمنون وإن كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً .

ولما كان الجناب الكريم فلان ـــ أدام الله تعالى نعمته ـــ هو الذي أخلص في الطاعة ، ونصح سلطانه حسب الطاقة والاستطاعة ـــ رسم بالأمر الشريف العالي ـــ لا زال سيف عدله ماضياً ، وكلّ بحكمه راضياً ـــ أن يستقرّ الجناب المشار إليه كاشفاً بالرملة المعمورة ، على عادة من تقدمه في ذلك .

---

(١) وقف عليه بلغة ربيعة .

فليباشر ذلك معمّراً تلك البلاد بعدله ، مجتهداً على إيصال الحقّ الى أهله ، وليتخذ الشرع الشريف أماما ، وليتوخ أوامره ونواهيه نقضاً وإبراماً ، وليقف عند حدوده المشروعة ، ولا يتعدّها : ومن يتعدّ حدود الله فيده من برّ الإيمان منزوعة ، وليلن جانبه للرّعيّة ، وليحملهم من العدل والأنصاف على المحجة الواضحة الجلية ، (فإنهم الرعية الضعفاء الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه)[1] وليعتمد فيهم قول النبي :

«اللهم من ولي من أمور أمتي شيئاً فرفق بهم فارق به ، ومن شقّ عليهم فاشقق عليه» .

والوصايا كثيرة وأهمها التقوى فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسيادة والسعادة تلحظه ، والله تعالى يكمّل توفيقه ، ويسهل الى نجح المقاصد طريقه ، والاعتماد في معناه ، على الخط الكريم أعلاه .

---

(١) الزيادة مأخوذة مما تقدم .

ملحق رقم (٦)

نسخة توقيع بتعيين وال في ولاية نابلس من انشاء جمال الدين بن نباته (من كتاب صبح الأعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٢ — ٣٢٤) .

أما بعد حمد الله على ما هنأ من المواهب ، وهيأ من عليّ المراتب وأنجز من وعود السعود بعد مطال المطالب ، وزيّن من سماء الوظائف عند ازهائها بزينة الكواكب ، وعمّر من صدور الولاة والولاية بعلى تثنى عليه الرعية «ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب» . والصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي جرد لنصر الايمان حدّه القاضب ، وحزبه الغالب ، وندب لاحياء الحق عليه بعدما همّت به النّوادب ، وعلى آله وصحبه الذين هم في المهات جمال الكتب كما كانوا في الحياة جمال الكتائب ، صلاة تتعطر بنفحاتها الصّبا وتتقطّر من خلف سراها الجنائب — فان عقائل الولايات أولى بخطبة أكفائها ، ورغبة السراة من ذوي اصطفائها ، ونسبة من يقوم للأمور المعلّلة بقانونها وشفائها .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدراً ، وأمر الجهات أمراً ، وأسرى الولايات محلاّ وذكراً ، وأوفى النّواحي من زمان بني أيوب على تكاليف الملك صبراً ، وأنزه البقاع التي لو رآها الملك المصري لما استغلى غرطة الشام بشبرين من شبراً ، بلد إعارته الحمامة طوقها وحمّلت الثناء فوق طوقه ، ونجم نبات واديها الزهر حتى تساوي النجمان من تحته ومن فوقه — تعيّن أن يختار لولايتها من تعيّن ولاؤه ، وتمكن في الرّتب علاؤه ، وتبين في مصالح الولايات احتفاله واحتفاؤه ، وشهر وفاؤه بالخدمة فلا شرف بسعي الاّ له منه شينه وراؤه وفاؤه ، من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحراً ، وأفاض الوصف درّا ، وشهدت الزّكاة — وديوانها المادح — أنه أفلح من زكاها خيراً وخبراً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتّب فلان ... علماً بأنه الأوحد الذي جمع الأوصاف المتقدمة ، وأسمع من المحامد نتيجة لها من كلا قوله وفعله مقدمه ، وأطلع في آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة راية وسيفه وقلمه ، وإطّلع على محاسن التدبير فكان

في رعايا بلده ممّن تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، وأنه الكافي الذي اذا ولي ثمّر ، واذا صال على المفسدين دمّر ، واذا شامت المهمات بارق عزم ، أسبل واذا سامت قواه شمّر ، وأنه الأمين اذا تصرّف ، والمأمون اذا تعرّف ، والشّجاع اذا تحصّنت البلاد بنسبه الحصني : فسواء في شمول الأمن ما توسط منها وما تطرّف .

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضّح بشرها ، وينجح أمرها ، ويقيم في خطبة علاه عذرها ، وحزم يثمر مالها وغلالها ، وينقع غلّتها ويضع أغلالها ، وبأس يدع المفسدين من سيفه أو قيده في طوق أو حجل ، ويذر السارق والمارق يشير بلا كفّ ويسعى بلا رجل ، مشيداً لنواحيها بالترغيب والترهيب على أوثق المباني ، مصلحاً بين أهل الأهواء حتى لا يضر قول القائل : «رفيقك قيسي وأنت يماني» ، متفقداً من الأحوال كلّ جليل وحقير ، ناهضاً في تلقّي المهمات على قدم التقدم بالعزم الأثير ، جاعلاً من لدى محجة عمله لصلاح العشيرة نعم العشير ، عاملاً بتقوى الله تعالى في كلّ أمر واليها بالحديث يشير .

ملحق رقم (٧)

نسخة توقيع بتعيين الشيخ شمس الدين بن البرهان الجعبري في مشيخة الحرم الخليلي من انشاء جمال الدين بن نباته (من كتاب صبح الاعشى ج ١٢ ص ٤١٩ — ٤٢٠) .

رسم بالأمر الشريف — أعلاه الله تعالى ، وبسط عدله الذي لا يبلغه الواصف ولو تغالى ، وسرى لأولياء نبي الاولياء ببرّه الذي تسنّن بسنة الغيث ثم توالى — ان فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوي الاناة والافادة ، وكفاة المناصب الذين على سعيهم الحسنى وعلى الدّولة تصل الزّيادة ، وليسلك في الأشغال عادة نطقه الأحسن ، وليعامل طلبته في المباحث بغير ما ألفوا من الخلق الأخشن ، وليعلم أنّه قد جمع بين بره وتربه الام كي تقرّ عينها ولا تحزن ، فليسرّها بنبله ، وليبرها بفضله ، وليوفر السعي إليها كل وقت في المسير ، وليفسر أحلام أملها فيه فمن مفردات علومه التفسير ، وليحسن لتلامذته الجمع ، وليحم حمى رواياتهم من الخطأ ولا عجب أن يحمي حمى السبع ، تالياً كلام ربه كما أنزل وحسبه ، داعياً بنسب قراءته الى ابن كعب فحبذا نسبه المبارك وكعبه ، ناصباً بمنظر شخصه أشخاص أمثاله الاول بعدما ضمهم صفيح اللّحد وتربه ، حتى يميس «الكسائي» في برد مسرته الفاخر ، ويفتح عيون «حمزة» على زهرات روض عبق المباخر ، ويترنّم ورشان «ورش» في الأوراق على بحره الزاخر ، ويظهر بفضله ذكر «الشّاطبيّ» فيكون «القاضي الفاضل» رحمه الله قد أظهره في الزمن الأول «القاضي الفاضل» أجلّه الله قد أظهره في الزمن الآخر ، وتقوى الله تعالى كما علم ختام الوصايا البيض فليتناول مسكها الذي هو بشذا المسك ساخر ، والله تعالى ينفع بعلوم صدره الذي ما ضاق عن السؤال فلّه ، ويمتع بعلوّ قدره الذي أن لم يكن هو لفضل الثناء فمن له .

ملحق رقم (٨)

نسخة المرسوم الاشرفي الناصري الذي أبطل السلطان الأشرف شعبان بموجبه ما هو مقطع من الجوالي بمجدل فضيل من الخليل باسم الامير سعد الدين مسعود بن محمد السراي سنة ٧٦٧ هـ (من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس رقم ٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

المرسوم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي الناصري أعلاه الله تعالى وشرفه وأيده في الآفاق وصرفه أن يبطل حكم ما هو مقطع من الجوالي بمجدل فضيل من الخليل عليه السلام باسم مجلس الأمير الأجل الكبير سعد الدين مسعود بن محمد السراي أحد أمراء العشرات بدمشق المحروسة مما كان مرتباً باسم خدام الحرم الشريف بالقدس الشريف في تقادم السنين والى آخر وقت ولا يمكن المذكور ولا أحداً ممن تقدم من التعرض الى ما هو مستقر بيد خدام الحرم الشريف بمقضى الورقة المشمولة بالخط الشريف عن ورود مطالعة نايب السلطنة الشريفة بالشام المحروس .

حسب الامر الشريف شرفه الله وعظمه
بعد الخط الشريف شرفه الله وعظمه
رابع جمادي الآخرة سنة ٧٦٧ هـ

ملحق رقم (٩)

وثيقة وقف باسم جعفر بن محمد بن أبي بكر وقف فيها داره الكائنة في القدس بخط باب العمود على مصالح البيمارستان الصلاحي تاريخ ٥ صفر سنة ٧٦٨هـ (وثيقة ورقم ٢٠ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس) .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوقف وحبس وسبل وحرر وأبد وتصدق به جعفر بن محمد بن أبي بكر السعاد من القدس الشريف تقرباً الى الله عز وجل يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ما هو له وملكه وتحت تصرفه الى حال الوقف وهو جميع عمارة الدار الكائنة بالقدس الشريف بخط باب العمود ، حدها بكمالها من القبلة دار ورثة حسين عريف سوق التجار بالقدس الشريف كان ، ومن الشرق دار محمد عرف بأي كدس ومن الشمال دار داوود رمكي وبها من دار ورثة الحاج محمد الطروفي ، ومن الغرب دار ورثة محمد النقيب ، وبها من دار الحاج صالح الرملي عرف بأي ولأبيه وقف لكل جميعه بجميع حدوده وحقوقه وما يعرف به وينسب إليه على نفسه مدة حياته ثم من بعده على مصالح البيمارستان الصلاحي بالقدس الشريف يسلك بذلك مسلك أوقاف البيمارستان المذكور وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً وحبساً دايماً محللاً لا يباع ولا يوهب ولا يملك بوجه من وجوه الملكان أبداً ما دامت الأرض والسماوات وأخرج الواقف هذا الوقف عن ملكه وأبان عن حيازته وجعله وقفاً على ما سمح أعلاه على أن الناظر بالملك من ريعه بعمارته وترميمه وإصلاحه وما فيه ، ثم ما فضل بعد ذلك يصرف على الوجه المشروح أعلاه ووقع أجر الواقف على الله تعالى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم (؟) يوم عطش الأكباد ، يوم يكون الله هو الحاكم فيه بين العباد ممن بدله بعد ما سمعه ما بها أثمه على الدين يبدلونه أن الله سميع عليم ، وذلك شهد عليه في خامس شهر صفر من سنة ثمان وستين وسبعماية .

ملحق رقم (١٠)

وثيقة مبايعة باسم خديجة بنت الحاج أحمد بن عبد العزيز المشرقي ، اشترت بموجبها من أخيها الدار الكائنة بباب حطة بالقدس الشريف مؤرخة في ٤ رجب سنة ٧٨٥هـ (وثيقة رقم ٤٣ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس) .

بسم الله الرحمن الرحيم

اشترت المرأة الكامل خديجة بنت الحاج أحمد بن عبد العزيز المشرقي زوجة الحاج علي أبي طالب الطباخ المشرقي بالقدس ، وبمالها من نفسها من شقيقها محمد مباعها صفقة واحدة بأمره لوارث الشرعي له من تركة والده ، ومن جميع عمارة البلد المفروز بالقسمة بينه وبين أخوته من جهة الدار الكاينة بباب حطة بالقدس ، وفي حكر المدرسة الصلاحية بالقدس حد البلد المذكور من القبلة بيت أخيه عبد العزيز وهو من القسمة ، ومن الشرق ساحة الدار ومن الشمال قسمة المشترية من الدار المذكورة ومن الغرب خان العناية وقف المدرسة المذكورة بجميع حدوده وحقوقه وما يعرف به وينسب إليه شرعاً (لبقاً ؟) صحيحاً شرعاً بثمن مبلغه من الدراهم مقابلة يومها بالشام المحروسة مايتاً درهم وخمسون درهماً حالة مقبوضة بيد البالغ المذكور يزيد بذلك وبيد المشترية من الثمن المذكور بترك شرعه وسلمت المشترية المذكورة المبلغ المذكور سالماً شرعاً وهو بعد النظر والمعرفة والمعاملة الشرعية والتعرف ماله بدار عبد الرحمن منها وعلمت المشترية له على (؟) الحاملة للبنا البلد المذكور أجله في كل منه يمضي من تاريخه ثلاثة دراهم وربع درهم (وحلت من تاريخه) على المشترية ورضيت بذلك .

رابع من رجب الفرد سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

شهد عليها بذلك	شهد عليها بذلك
أحمد التويجي	محمد عبد الرحمن

المصادر والمراجع

١ ـــ الوثائق والمخطوطات .
٢ ـــ المصادر العربية المطبوعة .
٣ ـــ المراجع العربية والاجنبية المعربة .
٤ ـــ المصادر والمراجع الاجنبية .

١ ـــ الوثائق والمخطوطات :

١ وثائق المتحف الاسلامي بالقدس وتبلغ ٧٥٠ وثيقة من العصر المملوكي مكتوبة على رقاع من الرق ويحتفظ بها المتحف الاسلامي في المسجد الاقصى بالقدس .

٢ ابن الامام (شمس الدين أبو العباس أحمد)
تحفة الانام في فضائل الشام ، مخطوط ، دار الكتب المصرية .

٣ ابن بهادر (محمد بن محمد بن بهادر المؤمني)
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، مخطوط دار الكتب المصرية .

٤ ابن حبيب (الحسن عمر بن الحسن بن عمر)
درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ٣ مجلدات مخطوط دار الكتب المصرية .

٥ ابن النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل)
الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ، مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية .

٦ أبو المحاسن (جمال الدين يوسف)
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ٣ اجزاء ، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة نسخة مصورة بمكتبة جامعة الاسكندرية .

٧ البدرني (تقي الدين أبو بكر محمد بن عبدالله)
نزهة الانام في محاسن الشام ، مخطوط جامعة برنستون رقم ٢٦٤ .

٨ الخالدي (بهاء الدين محمد بن أحمد)
كتاب المقصد الرفيع المنشا الهادي الى ديوان الانشا ، مخطوط مكتبة جامعة القاهرة .

السلامي (شهاب الدين أحمد)
مختصر التواريخ ، مخطوط دار الكتب المصرية .

١٠ العماد الكاتب (أبو عبدالله محمد بن صفي الدين)
البرق الشامي ، نسخة مصورة عن نسخة الخزانة العامة بالرباط ، مكتبة جامعة الاسكندرية .

١١ المنهاجي السيوطي (أبو عبدالله محمد بن أحمد المنهاجي)
اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى ، مخطوط جامعة برنستون رقم

١٢ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)
نهاية الارب في فنون الادب ، جزء ٣١ مخطوط دار الكتب المصرية .

٢ ـــ المصادر العربية المطبوعة :

١٣ ابن الاثير (علي بن أبي الكرم)
الكامل في التاريخ ١٠ اجزاء ، ط ٢ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

١٤ ابن الاثير
التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٥ ابن اياس (محمد بن أحمد)
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

١٦ ابن الاخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي)
معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .

١٧ ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم)
عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

١٨ ابن بطوطة (ابو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي)
رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

١٩ ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الاندلسي)
رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

٢٠ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن الجوزي)
فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

٢١ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد)
الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ٥ اجزاء ، تحقيق محمد سعيد جاد الحق ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٢٢ ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن ابراهيم)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٦ اجزاء ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

٢٣ ابن دانيال
خيال الظل وتمثيليات دانيال ، تحقيق ابراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢٤ ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام)
كتاب الاموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

٢٥ ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ، ١٨٩٤ م .

٢٦ ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد)
فوات الوفيات ، ٢ جزء ، تحقيق محمد محي الدين ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٢٧ ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٢٨ ابن شداد (عز الدين علي بن ابراهيم)
الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ٢ جزء ، بيروت ، ١٩٥٣ — ١٩٦٣ م .

٢٩ ابن صرصري (محمد بن محمد)
الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم بريز ، كالفورنيا ، ١٩٦٣ م .

٣٠ ابن الصيرفي (علي بن داود)
نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، ٣ اجزاء ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ — ١٩٧٤ م .

٣١ ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد)
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ، ٢ جزء ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٣٢ ابن عبد الظاهر (محي الدين عبدالله بن رشيد الدين)
تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

٣٣ ابن عربي (ابو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي)
العواصم من القواصم ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م .

٣٤ ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد)
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، ٣ اجزاء ، دمشق ، ١٩٥١ — ١٩٦٨ م .

٣٥ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى)
مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الاول ، تحقيق احمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .

٣٦ ابن فضل الله العمري
التعريف بالمصطلح الشريف ، ط القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

٣٧ ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم)
تاريخ ابن الفرات ، الاجزاء ٧ ، ٨ ، ٩ ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ، ١٩٣٩ — ١٩٤٢ م .

٣٨ ابن قاضي شهبة (ابو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الاسدي)
تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، الجزء الثالث ، دمشق ، ١٩٧٧ م .

٣٩ ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن اسد)
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

٤٠ ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر)
البداية والنهاية ، ١٢ جزءا ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦ م .

٤١ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)
مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ٥ اجزاء تحقيق جمال الدين الشيال وحسنين ربيع وسعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٥٣ — ١٩٧٧ م .

٤٢ ابو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل)
الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ جزء في مجلد ، ط دار الجيل ، بيروت (بدون تاريخ) .

٤٣ ابو الفلاح (عبد الحي بن العماد الحنبلي)
شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .

٤٤ ابو الفداء (الملك المؤيد اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين)
تقويم البلدان ، مطبعة المثنى ، بغداد ، ١٨٥٠ م .

٤٥ ابو المحاسن (يوسف بن تغرى بردي)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٢ — ١٩٧٢ م .

٤٦ الادريسي (الشريف محمد بن العزيز)
نزهة المشتاق ، القسم الخاص ببلاد الشام ، بون ، ١٨٨٥ م .

٤٧ بنيامين بن يونه الاندلسي
رحلة بنيامين ٥٦١ — ٥٦٩ هـ نقلها الى العربية عزاز حداد ، بغداد ، ١٩٤٥ م .

٤٨ الحنبلي (ابو اليمن مجير الدين الحنبلي)
الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ٢ جزء في مجلد ، ط المحتسب ، عمان ، ١٩٧٣ م .

٤٩ السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين)
طبقات الشافعية الكبرى ، ط ٢ على الاوفست ، دار المعرفة ، بيروت (بدون تاريخ) .

٥٠ البكي
معيد النعم ومبيد النقم ، ليدن ، ١٩٠٨ م .

٥١ السبكي (تقي الدين علي بن عبد الكافي)
التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥١ م .

٥٢ سبط ابن الجوزي (ابو المظفر يوسف بن غزا أو غلي)
مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، الجزء الثامن ، نسخة مصورة بشيكاغو— امريكا (بدون تاريخ) .

٥٣ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)
الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٣ — ١٣٥٥ هـ .

٥٤ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر)
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضل ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

٥٥ شافع بن علي (ناصر الدين شافع بن علي)
حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ م .

٥٦ الصفدى (صلاح الدين خليل بن آيبك)
الوافي بالوفيات ، الجزء الثاني ، ط ٢ ، فسبادن ، ١٩٧٤ م .

٥٧ العماد الكاتب (ابو عبدالله محمد بن صفي الدين)
الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٥٨ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)
آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

٥٩ القفطي (جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف)
اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، دار الآثار ، بيروت (بدون تاريخ) .

٦٠ القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي بن احمد)
صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ط مصورة عن الطبعة الاميرية ، ١٤ جزءا ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٦١ الماوردي (ابو الحسن بن محمد بن حبيب)
الاحكام السلطانية ، ط دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

٦٢ مفضل بن ابي الفضائل
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ، ١٩٢٠ م .

٦٣ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي)
السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٤ اجزاء ، ١ و٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة ١٩٣٤ — ١٩٤٢ م ، ٣ و٤ تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٣ م .

٦٤ المقريزي
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط) ط بولاق سنة ١٢٧٠ هـ صورة بالاوفست عن دار الكتاب اللبناني (بدون تاريخ) .

٦٥ المقريزي
النقود الاسلامية ، القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ .

٦٦ المقريزي
اغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

٦٧ المقدسي (شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٢ ليدن ، ١٩٦٧ م .

٦٨ ناصر خسرو
سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

٦٩ النعيمي (عبد القادر محمد بن عمر)
الدارس في تاريخ المدارس ، ٢ جزء ، دمشق ، ١٩٤٨ م .

٧٠ نظام الملك الطوسي ، سياست نامة (سير الملوك) ترجمة يوسف بكار ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٨١ م .

٧١ النويري الاسكندراني (محمد بن قاسم بن محمد)
كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق
عزيز سوريال ، ٦ اجزاء ، الهند ، ١٩٦٨ — ١٩٧٣ م .

٧٢ ياقوت (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)
معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

٣ — المراجع العربية والاجنبية المعربة :

٧٣ احمد فكري
مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٧٤ احمد ابراهيم
احكام الوقف في الاسلام ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

٧٥ احمد رمضان احمد
المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٧٦ احمد صادق الجمال
الادب العامي في مصر في العصر المملوكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٧٧ احمد مختار العبادي
قيام دولة المماليك في مصر والشام ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

٧٨ احسان عباس
الحياة العمرانية والثقافية في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ م .

٧٩ الابنية الاثرية في القدس ، عن المدرسة البريطانية لعلم الآثار بالقدس ، القدس ، ١٩٧٧ م .

٨٠ جلال اسعد ناصر
المدرسة الطشتمرية في بيت المقدس ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ م .

٨١ جوزيف نسيم يوسف
العدوان الصليبي على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع في الاراضي المقدسة ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ط ٣ ، ١٩٧١ م .

٨٢ حسين مؤنس
المساجد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١ م .

٨٣ درويش النخيلي
فتح الفاطميين للشام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ م .

٨٤ ديماند
الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد محمد عيسى ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

٨٥ رشاد الامام
مدينة القدس في العصر الوسيط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٦م .

٨٦ سعيد عبد الفتحاح عاشور
مصر والشام في عصر الايوبيين والماليك ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٨٧ سعيد عبد الفتاح عاشور
المجتمع المصري في عصر سلاطين الماليك ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٨٨ سعيد عبد الفتاح عاشور
الظاهر بيبرس ، سلسلة اعلام العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٨٩ سعيد عبد الفتاح عاشور
بعض اضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين الماليك ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م .

٩٠ سمير شما النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، دمشق ، ١٩٨٠م .

٩١ سهيل زكار
مدخل الى تاريخ الحروف الصليبية ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٩٧٥م .

٩٢ السيد عبد العزيز سالم
طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، دار المعرفة بمصر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧م .

٩٣ السيد عبد العزيز سالم
دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ، بيروت ، ١٩٧٠م .

٩٤ عبد الحميد زايد
القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٩٥ عبد الحميد السائح
اهمية القدس في الاسلام ، مطبعة التوفيق ، عمان ، ١٩٨٠م .

٩٦ عبد العزيز الدوري
نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، فصلة من مجلة المجتمع العراقي ، بغداد ، ١٩٧٠م .

٩٧ عبد العزيز الدوري
النظم الاسلامية ، ج ١ مطبعة نجيب ، بغداد ، ١٩٥٠م .

٩٨ عارف العارف
المفصل في تاريخ القدس ، ج ١ ، مطبعة المعارف ، القدس ، ١٩٦١م .

٩٩ عفيف بهنسي
جمالية الفن العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٤ ، شباط ، ١٩٧٩م .

١٠٠ فالتر هنتش
المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠م .

١٠١ كامل العسلي
معاهد بيت المقدس ، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨١م .

١٠٢ لي سترانج
فلسطين في العهد الاسلامي ، ترجمة محمود عمايره ، عمان ، ١٩٧٠م .

١٠٣ مباني الحرم القدسي الشريف ، المكتب المعماري الهندسي لاصلاح واعمار الصخرة المشرفة بالقدس ، المجلد الثاني ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١٠٤ محمد عبيد القبيسي
احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ، ٢ جزء ، بغداد ، ١٩٧٧م .

١٠٥ محمد كرد علي
خطط الشام ، ٦ اجزاء ، ط ٢ دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٠٦ محمود رزق سليم
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ، المجلد السادس (النثر) القاهرة ، ١٩٦٤م .

١٠٧ محمود زايد
دراسة للتقسيمات الادارية في فلسطين من خلال رحلة دي لابروكيية ١٤٣٢م ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م .

١٠٨ ماير
الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيني ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

١٠٩ مصطفى الدباغ
بلادنا فلسطين ، ج ٩ القسم الخاص ببيت المقدس ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

١١٠ ناجي معروف
تاريخ علماء المستنصرية ، ط ٢ مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٥ م .

١١١ نقولا زيادة
فيلكس فابري في فلسطين ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ م .

١١٢ يوسف درويش غوانمة
تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى (القسم السياسي) ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٩ .

١١٣ يوسف درويش غوانمة
تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى (القسم الحضاري) وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٩ م .

١١٤ يوسف درويش غوانمة
عمان حضارتها وتاريخها ، دار اللواء للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٧٩ م .

١١٥ يوسف درويش غوانمة
علماء وفقهاء محافظة اربد (نيابة عجلون) منشورات جامعة اليرموك ، ١٩٨٠ م .

١١٦ يوسف درويش غوانمة
امارة الكرك الايوبية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٠ م .

١١٧ يوسف درويش غوانمة
غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨١ م .

١١٨ يوسف درويش غوانمة
عمان في التاريخ الاسلامي الوسيط ، بحث في ندوة الحضارة الاسلامية ، جامعة الاسكندرية ، تشرين اول ١٩٧٦ م .

١١٩ يوسف درويش غوانمة
الاردن في استراتيجية صلاح الدين ، بحث في مجلة افكار ، العدد ٤٢ كانون اول ١٩٧٨ م .

١٢٠ يوسف درويش غوانمة
دراسة في تاريخ مدينة الصلت (السلط) بحث في مجلة افكار ، العدد ٤٣ كانون ثاني ١٩٧٩ م .

١٢١ يوسف درويش عوانمة
القرية في جنوب الشام (الاردن وفلسطين) في العصر المملوكي (في ضوء وقفية قرية آدر) ، بحث في المؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره ، اكسفورد آذار ، ١٩٨٠ م .

١٢٢ يوسف درويش غوانمة
بيت المقدس في الحملة الصليبية الاولى ، بحث في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) عمان ، ١٩٨٠ م .

١٢٣ يوسف درويش غوانمة
شخصيتان في تاريخ فلسطين (ارناط وبيجن) دراسة مقارنة ، مجلة افكار ، العدد ٥١ ، ٥٢ كانون اول ١٩٨١ م .

١٢٤ يوسف درويش غوانمة
اضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس ، بحث في مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العدد الرابع ، نيسان ، ١٩٨١ م .

١٢٥ يوسف درويش غوانمة
نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، بحث في الندوة العالمية الاولى للآثار الفلسطينية ، جامعة حلب ١٩ — ٢٤ ايلول ١٩٨١ م .

١٢٦ يوسف سعيد النتشه
التربة الكيلانية ، داراسة رقم (٢) عن دائرة الاوقاف الاسلامية ، بالقدس ، ١٩٧٩ م .

٤ — المصادر والمراجع الأجنبية :

1 ATIYA,
The Crusade in Late middle ages, New York, 1970

2 AYALON, (D)
Aspects of the Mamluk Phenomenon, From Der Islam, Band 53, 54, Berlin, 1976.

3 BAEDEKER, (K.)
Jerusalem and its Surroundings, London, 1976, Reprinted 1973.

4 BARTON, (I.)
The Inner Life of Syria, Palestine and the Holy Land, 2 vols, London, 1976.

5 BENVENISTI, (M.)
The Crusaders in the Holy Land, New York, 1972.

6 BENJAMIN of TUDELO,
Early Travels in Palestine, Edited by: Thomas Wright, New York, 1968.

7 BESANT, (W.)
Jerusalem, The City of Herod and Saladin, New York, 1890.

8 BUCKINGHAM, (J.S.)
Travels in Palestine, London, 1821.

9 COHEN & LEWIS,
Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton, 1978.

10 COMBE, SAUVAGET, WIET,
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, Tome Quinziene, Le Caire, 1944.

11 ERACLES,
Recueil des Historiens, H. OCC.

12 FULCHER OF CHARTRES,
A History of the expedition to Jerusalem 1095-1127, Translated by Frances Rita, New York, 1973.

13 GRAY, JOHN,
A History of Jerusalem, London, 1969.

14 GOITEIN,
A Mediterranean Society, Economic Foundations, U.S.A. 1967.

15 HEYD,
Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, 2 vols, Leipzig, 1886.

16 HICHOLSON, (R.L.)
The Joscelyn 111 and the fall of the Crusader States, Leiden, 1973.

17 HUME,
Medical work of the knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore, 1940.

18 HUTTEROTH & KAMAL ABDULFATTAH,
Historical Geography of Palestine, Erlangen, 1977.

19 KEDAR,
Merchants in Crisis, Yele, U.S.A. 1976.

20 KELLY, (W.K.)
Syria and the Holy Land, London, 1884.

21 LOPEZ, (R.)
The Commercial revolution in the middle ages, U.S.A. 1976.

22 LAPIDUS,
Muslim Cities in the Late middle ages, U.S.A. 1976.

23 MANN, (J.)
The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 vols, Oxford, 1969.

24 MARCUS, (J.)
The Jew in the medieval world, Reprinted in U.S.A. 1975.

25 NOHL,
The Black death, London, 1924.

26 POLIAK,
Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, London, 1939.

27 POWICKE, MAURICE,
The Christian Life in the middle ages, Oxford, 1968.

28 PRAWER,
The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.

29 RABINOWITZ, (L.)
Jewish Merchant adventurers, London, 1948.

30 REY,
Les Colonies Franques de Syrie aux XII et XIII Siècles, Paris, 1883.

31 ROBERT IRWIN,
Iqta, and the end of the Crusader States, From the Eastern Mediterranean Lands, Edited by: Holt, England, 1977.

32 ROGER of WENDOVER,
The Crusade of Fredrick II, From Sources of Medieval History, Edited by: Edward Peters, U.S.A. 1971.

33 SAPORI (AMANDE)
The Italian Merchant in the middle ages, New York, 1970.

34 THEODORICH'S,
Description of the Holy Land, London, 1896.

35 TOMPSON, (J.)
An Economic and Social History of the middle ages, London, 1928.

36 VAN BERCHEM,
Corpus inscriptionum (Jerusalem Ville), Le Caire, 1922.

37 WILLIAM of TYRE,
A History of deads done beyond the Sea, 2 vols, New York, 1943.

38 WILLIAM, ALBERT,
The Holy City, New York, 1954.

39 WRIGHT; THOMAS,
Early travels in Palestine, New York, 1968.

40 WILLETT, (H.)
The Jew through the Centuries, New York, 1932.

41 ZIADEH, NICOLA,
Urban Life In Syria, Beirut, 1953.

42 LEVANT,
Vol. III 1971
Vol. VI 1974
Vol. VII 1975
Vol. XI 1979